



جوامع الجامع

تأليف

أمين الإسلام آية علي الفضل نيا الحسين الطهراني
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جواد السيّد كاظم الحكيم

الجزء الخامس

سورة ص - سورة الطلاق

مراجعته واعتنى بنشره

فيسر سنة ١٤٠٢ هـ في شهر ربيع الأول



جَوَامِعُ الْجَامِعِ

تأليف

أَمِينُ الْإِسْلَامِ أَبِي عَلِيٍّ
الْفَضْلُ بْنُ أَحْسَنِ الطَّبْرَسِيِّ
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِمِ الْجَكِيمِ

المجلد الخامس

سورة ص - سورة الطلاق

مراجعته واعتنى بنشره



قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية



العتبة العباسية المقدسة
قصر شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

WWW.MK.IQ

E.mail: media@mk.iq

الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد
كاظم الحكيم-. الطبعة الأولى-. كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف
الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ. = ٢٠١٧.

٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم

يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.

يتضمن مصادر وكشافات.

١. القرآن-تفاسير الشيعية-القرن ٦ هـ. الف. الحكيم، جواد كاظم--محقق. ب. العنوان.

BP130.4 .T33 2017

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع

تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم

راجعه واعتنى بنشره: قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية

الطبعة: الأولى

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م



سورة ص

مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي، ست بصري، عدّ الكوفي ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ و﴿غَوَاصٍ﴾.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة ص) أُعطي من الأجر بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأها في ليلة الجمعة أُعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبي مرسل أو ملك مقرب، وأدخله الله الجنة، وكل من أحب من أهل بيته))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْفُرَّانِ ذِي الذِّكْرِ ① بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ② كَرِهَ
أَهْلُكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَوْلَا حِينُ مَنَاصِ ③ وَعَجِبُوا أَن
جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ④ أَجَعَلَ
الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ⑤ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ
إِنَّ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ ⑥ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ⑥ مَا سَمِعْنَا

(١) الكشف والبيان ج ٨: ١٧٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٢.

يَهْدَا فِي أَلَمَلَةٍ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ

مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾

إن جعلت ﴿ص﴾ حرفاً من حروف المعجم ذكر على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز، فقوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الَّذِي الذِّكْرُ﴾ قسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه، فكأنه قال: والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز.

وإن جعلت ﴿ص﴾ خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة، فكأنه قال: هذه ﴿ص﴾ أي السورة التي أعجزت الفصحاء والقرآن ذي الذكر، كما تقول: هذا حاتم والله، تريد: هذا هو المشهور بالجوهر والله.

وإن جعلتها قسماً فكملته، كأنه قال: أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز.

وإن جعلتها مقسماً به وعطف عليها ﴿وَالْقُرْآنَ الَّذِي الذِّكْرُ﴾ جاز أن تريد بالقرآن القرآن كله، وأن تريد السورة بعينها^(١) فيكون معناه: أقسم بالسورة الشريفة وبالقرآن ذي الذكر، كما تقول: مررت بالرجل الكريم وبالنفس الشريفة، ولا تريد بالنفس غير الرجل.

والذكر: الشرف، أو الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه من الشرائع وغيرها من التوحيد وذكر الأنبياء وأخبار الأمم وأحوال القيامة.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [من أهل مكة]^(٢) ﴿فِي عِزِّ﴾ أي: في تكبر عن قبول الحق ﴿وَشِقَاقِي﴾ وخلاف وعداوة شديدة.

(١) ساقطة من د.

(٢) في ب: منهم.

﴿كَرَّ أَهْلَكْنَا﴾ وعيد لذوي العزة والشقاق.

﴿فَنَادُوا﴾ فدعوا واستغاثوا عند وقوع الهلاك بهم.

﴿وَلَاتَ﴾ هي لا المشبهة بليس، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على ربّ وثم للتأكيد، وتغيّر بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان، ولم يبرز إلا اسمها أو خبرها وامتنع بروزها جميعاً، فتقديره: ولات الحين ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: وليس الحين حين مناص، ولو رفع لكان تقديره: ولات حين مناص حاصلًا لهم، والمناص: الملجأ.

﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ ولم يقل: وقالوا، إظهاراً للغضب عليهم، ودلالة على أنّ هذا القول لا يحسر عليه إلا الكافر المتهادي^(١) في الكفر ﴿أَجْعَلُ آلَإِلهَةٍ إِلَهًا وَجَدًا﴾ ومعنى الجعل: التصيير في القول على سبيل الدعوى، كأنهم قالوا: أجعل الجماعة واحداً في قوله وزعمه.

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ﴾ بليغ في العجب.

و﴿الْمَلَأُ﴾: أشراف قریش، يريد: وانطلقوا عن مجلس أبي طالب لما أتوه وهم خمسة وعشرون رجلاً فيهم الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم، وأبو جهل، وأبي بن خلف، وأخوه أمية، وعتبة، وشيبة، والنضر بن الحارث، فقالوا: أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فإنه سقّه أحلامنا وشمم آلهتنا، فقال أبو طالب: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك فيقولون: دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك، فقال ﷺ: ((أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم؟ [فقال أبو جهل]^(٢): الله أبوك نعطيك ذلك وعشر أمثالها، فقال: ((قولوا: لا إله إلا الله فقاموا قائلين بعضهم لبعض:

(١) في ب: المتوغل.

(٢) في ب: فقالوا

﴿أَمْسُوا وَاصْبِرُوا﴾ فلا حيلة لكم في أمر محمد. وروي: أَنَّهُ ﷺ استعبر ثم قال: ((يا عم، والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه))، فقال له أبو طالب: امض لأمرك، فوالله لا أخذلك أبداً^(١). و﴿أَنْ﴾ هي المفسرة بمعنى: أي، لأنَّ انطلاقتهم من مجلس التقاول يتضمَّن معنى القول.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الأمر ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: يريد الله تعالى وما أراد الله كونه فلا مردَّ له، ولا ينفع فيه إلا الصبر، وقيل: معناه: أنَّ هذا الأمر الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء من نوائب الدهر يراد بنا ولا انفكاك لنا منه^(٢). ومعنى ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ﴾: اصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ في ملة عيسى التي هي آخر الملل، لأنَّ النصارى يقولون: ثالث ثلاثة ولا يوحدون، أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا، أو ما سمعنا بهذا كائناً في الملة الآخرة، على أن يكون ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ حالاً من ﴿هَذَا﴾ فلا يتعلق بـ ﴿مَا سَمِعْنَا﴾ كما في الوجهين، والمعنى: إنَّا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أَنَّهُ يحدث التوحيد في الملة الآخرة.

ما ﴿هَذَا إِلَّا أُخِيلَ﴾ أي: افتعال وكذب.

ثم أنكروا أن يختص ﷺ بشرف النبوة من بين رؤسائهم، وينزل عليه الكتاب دونهم.

(١) دلائل النبوة ج ٢: ١٨٧، تفسير القمي ج ٢: ٢٢٨.

(٢) معالم التنزيل ج ٤: ٣.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنَ الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ، وَوَصَفَهُمْ لَهُ بِالْاِخْتِلَاقِ مُخَالَفَ لِعَقَادِهِمْ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَهُ عَلَى سَبِيلِ الْحَسَدِ.

﴿بَلْ﴾ لم ﴿يَذُوقُوا﴾ عذابي بعد، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد.

أَمَّ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لُتَيْكَةَ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

أي: ليس ﴿عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ﴾ الرحمة، وما بأيديهم مفاتيح النبوة فيضعوها حيث شاؤوا واختاروا لها من شاؤوا.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى يتكلموا في التدابير الربانية والأمر الإلهية التي يختص بها رب العزة. ثم تهكم بهم سبحانه فقال: فإن كان إليهم تدبير الخلائق وعندهم الحكمة التي بها يعرفون من هو أحق بالنبوة ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ فليصعدوا في معارج السماء وطرقها التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستوا عليه، ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي إلى من يختارونه.

ثم أخبر عن حالهم ومآلهم فقال: ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ يريد: ما لهم إلا جند من الكفار المتحزبين على الله ﴿مَهْزُومٌ﴾ مكسور عما قريب فلا تبال بهم، و﴿مَّا﴾ مزيدة، وفيها معنى الاستعظام، كما في قول امرئ القيس:

وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصْرَةٍ^(١)

إلا أنه على سبيل الهزء، و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، كما يقول لمن ينتدب لأمر ليس من أهله: لست هنالك، وقيل: إشارة إلى مصارعهم، وجاء تأويله يوم بدر^(٢).

﴿ذُو الْأَوْدَادِ﴾ مستعار لثبات ملكه، كما قال الأسود:

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتٍ الْأَوْتَادِ^(٣)

وقيل: كان يعذب الناس بالأوتاد^(٤).

﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ وقصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم، وأنهم الذين وجد منهم التكذيب، وذكر تكذيبهم أولاً على وجه الإبهام في الجملة الخبرية، ثم أوضح ذلك في الجملة الاستثنائية، بأن كل واحد من الأحزاب ﴿كَذَّبَ﴾ جميع ﴿الرُّسُلِ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم ﴿فَحَقَّ عِقَابُ﴾ أي: فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم.

﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ أي: وما ينتظر ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ ما لتلك الصيحة ﴿مِنْ فَوَاقٍ﴾. قرئ بفتح الفاء وضمها، أي: ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، يعني: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا المقدار من الوقت، وعن ابن عباس: (ما لها من رجوع وترداد)^(٥)، من

(١) ديوان امرئ القيس: ١٢٧، وصدره: وحديث الركب يوم هنا.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٢٣: ٨٣.

(٣) البيت للأسود بن يعفر الأيادي. أمالي المرتضى ج ١: ٢٦.

(٤) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٢٣: ٨٣.

(٥) تفسير الطبري ج ٢٣: ٨٤.

أفاق المريض: إذا رجع إلى الصحة، وفواق الناقة: ساعة يرجع الدر إلى ضرعها، يريد: أنها نفخة واحدة فحسب لا تنثنى ولا تردد.

﴿عَجَلْنَا قَطَنًا﴾ أي: نصيبنا من العذاب الذي وعدته، أو عَجَلْنَا لصحيفة أعمالنا نظر فيها. والقط: القسط من الشيء، لأنه قطعة منه، من قطه: إذا قطعه، ولذلك قيل لصحيفة الجائزة: قط؛ لأنها قطعة من القرطاس.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ، يُسَبِّحُن بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْمِحْرَابِ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ، تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِنِّي نَعِاجِيهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ، ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾

﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ ذا القوة على العبادة، المضطلع بأعباء النبوة، وقيل: ذا القوة على الأعداء^(١)، لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر الرجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله، يقال: فلان أيد وذو أيد وذو آد، وأيد كل شيء: ما يتقوى به.

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجّاع عن كل ما يكره الله إلى ما يحبّ، وقيل: مسّبح مطيع^(١).
 ﴿يُسَبِّحُ﴾ حال، واختير على مسّبحات - وإن كان في معناه - ليدلّ على حدوث التسبيح من الجبال حالاً بعد حال. وكان داود إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبّحت، فذلك حشرها كل واحد من الجبال والطير.

﴿لَهُ﴾ لأجل داود، أي: لأجل تسبيحه؛ لأنها كانت تسبّح بتسبيحه. وضع الأواب موضع المسبّح، إما لأنها كانت ترجع التسبيح، والمرجع: رجّاع لأنّه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع، وإما لأنّ الأواب وهو التواب يكثر الرجوع إلى مرضاة الله ويديم تسبيحه وذكره، وقيل: الضمير في ﴿لَهُ﴾ لله، أي: كل من داود والجبال والطير لله مسّبح يرجع التسبيح^(٢).
 ﴿وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوّناه.

﴿وَأَيَّنَّهٗ أَنْحَاكُمَا﴾: وهي الزبور وعلم الشرائع، وقيل: كل كلام وافق الحقّ فهو حكمة.

﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ فصل بمعنى: مفصول كضرب الأمير، وهو الكلام البين المخلص الذي تبيّنه من يخاطب به ولا يلتبس عليه، أو بمعنى: فاصل كصوم وزور، أي: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الحقّ والباطل، والصحيح والفساد، وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك. وعن عليّ عليه السلام: ((هو قوله: البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه))^(٣)، وهو من الفصل بين الحقّ

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج ٢٣: ٨٦.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ٢٣: ٨٧.

(٣) الكشف والبيان ج ٨: ١٨٤.

والباطل، ويدخل فيه قول بعضهم: هو قوله: أما بعد^(١).

﴿وَهَلْ أَنتَكَ نَبُؤُاْ الْخَصْمِ﴾ ظاهره الاستفهام، ومعناه: الدلالة على أنه من الأنبياء العجيبة التي حقها أن لا تنفى. والخصم: الخصماء، وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف، لأنه مصدر في الأصل، أي: فريقان خصمان، ومثله قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾^(٢).

وانتصب ﴿إِذْ﴾ بمحذوف تقديره: وهل آتاك نبأ تحاكم الخصم حين ﴿سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ أي: تصعدوا سوره ونزلوا إليه. والسور: الحائط المرتفع، ونظيره: تسمه إذا علا سنامه، وتفرعه إذا علا فرعه.

﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى، ﴿خَصْمَانِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: نحن خصمان.

﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: ولا تجر، قال:

أَلَا يَا لِقَوْمِي قَدْ أَشْطَطَّ عَوَازِلِي^(٣)

﴿أَخِي﴾ بدل من ﴿هَذَا﴾ أو خبر لـ ﴿إِنَّ﴾، والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة والخلطة.

﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾ ملكنيها، وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي.

﴿وَعَزَّنِي﴾ أي: غلبني في مخاطبة الحجاج والجدال، أو أراد: خطبت المرأة وخطبها هو، فخاطبني خطاباً أي: غالبني في الخطبة فغلبني حيث تزوجها دوني،

(١) عن الشعبي. معاني القرآن للنحاس ج ٦: ٩٣.

(٢) الحج: ١٩.

(٣) شعر الأحوص بن محمد الأنصاري: ١٧٢، وبقيته: ويزعم أن أودى بحقي باطلاً.

وعلى هذا فيكون النعجة مستعارة من المرأة، كما استعير لها الشاة في نحو قوله:

يَا شَاةُ مَا قَنْصُ لِيْنَ حَلَّتْ لَهُ حَرَمْتُ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمَ^(١)

﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ جواب قسم محذوف، وسؤال مصدر مضاف إلى المفعول، كقوله: ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾^(٢)، وقد ضمن معنى الإضافة فعدي تعديتها، كأنه قال: بإضافة نعتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب.

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ للإيهام، وفيه تعجب من قلتهم.

﴿وَلَطَنَّ دَاوُدَ﴾ لما كان غلبة الظن كالعلم استعيرت له، أي: وعلم داود وأيقن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أي: اخترناه وابتليناه لا محالة بامرأة أوريا. قيل: إن أهل زمان داود كانوا قد اعتادوا أن ينزل بعضهم لبعض عن امرأته إذا أعجبه، فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له: أوريا فأعجبه، فسأله النزول له عنها، فاستحيا أن يرده ففعل، فتزوجها، فقيل له: إنك على ارتفاع منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها^(٣). وقيل: خطبها أوريا ثم خطبها داود فأثره أهلها^(٤). وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنه قال: ((لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلده حدين: حدًا للنبوة وحدًا للإسلام))^(٥).

(١) شرح ديوان عنتره: ١٧٨.

(٢) فصلت: ٤٩.

(٣) الكشف ج ٤: ٨٠.

(٤) الكشف والبيان ج ٨: ١٩٠.

(٥) التبيان ج ٨: ٥٠٧، الكشف والبيان ج ٨: ١٩٠.

وروي: أَنَّ التحاكم كان بين ملكين^(١)، وقيل: كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما: إما كانا خليطين في الغنم، وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من السراري والمهائر، والثاني معسراً ما له إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها^(٢).

وإنما فزع لدخولها عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين، وإنما عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت، وكان من حقه حين سمع الدعوى من أحدهما أن يسأل الآخر عما عنده فيها. وعن مجاهد: (مكث ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة، أو لحاجة لا بد منها)^(٣). وقد يعبر عن السجود بالركوع.

يَٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْضُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا سَوَوْا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَرْزَلُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ لِّدَّبْرُوا ءَايَاتِهِ وَلَسْتَ تَكْفُرُ أَوْ لَوْ أَنَّ الْأَلْبَبِ ﴿٢٩﴾

أي: ﴿جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ من كان قبلك من الأنبياء، أو استخلفناك على الملك في الأرض.

﴿يَمَّا سَوَوْا﴾ أي: بنسيانهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾، أو لهم عذاب يوم القيامة بسبب

(١) عيون أخبار الرضا ج ١: ١٥٤، عن ابن عباس وغيره. الكشف والبيان ج ٨: ١٩١.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. معاني القرآن للنحاس ج ٦: ١٠٠.

(٣) تفسير الماوردي ج ٥: ٨٩.

نسيانهم، وهو ضلالهم عن سبيل الله.

﴿بَاطِلًا﴾ أي: خلقاً باطلاً لا لغرض صحيح وحكمة بالغة، أو مبطلين عابثين ذوي باطل، أو وضع ﴿بَاطِلًا﴾ موضع عبثاً، كما وضع هنيئاً موضع المصدر وهو صفة، أي: وما خلقناها وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحقّ المبين، وهو أننا خلقنا نفوساً أودعناها العقل والتمييز، وعرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف، وأعدنا لها الجزاء على حسب أعمالها.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى خلقها باطلاً.

والظن بمعنى المظنون، أي: خلقها للعبث لا للحكمة، والغرض الصحيح مظنون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ولما كان إنكارهم للبعث مؤدياً إلى أنّ خلقها عبث جعلوا كأنهم يظنون ذلك، لأنّ الجزاء هو الذي ساق إليه الحكمة في خلق العالم، فمن أنكره فقد أنكر الحكمة، ومن أنكر الحكمة في خلق العالم فقد أظهر أنّه لا يقدره حقّ قدره.

﴿أَمْرٌ﴾ منقطعة، ومعنى الاستفهام فيها الإنكار، والمعنى: إنه لو بطل الجزاء لاستوت عند الله حال الصالح والطالح، والمحسن والمسيء، ومن سوى بينهم لم يكن حكيمًا.

وقرئ: لتدبروا على الخطاب. وتدبر الآيات: التفكر فيها والاتعاظ بمواعظها، والمبارك: الكثير النفع والخير.

وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِّعْمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِیُّنَ الْجَبَابِدُ ﴿٢١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٢﴾ رَدُّوْهَا عَلَيَّ فَمَنْ مَسَّحَا

بِالسُّوفِ وَالْأَغْصَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ
جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً
حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَأَخْرَيْنَا مُقَرِّبِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ
لَهُ عِندَنَا لُزْزَةً وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٤٠﴾

أي: ﴿يَغْمُ الْعَبْدُ﴾ هو والمخصوص بالمدح محذوف، وعلل كونه ممدوحاً
بكونه أواباً رجاعاً إلى الله عز اسمه في أموره، أو مؤوباً مرجعاً لتسبيحه وتقديسه
لأن كل مؤوب أواب.

و﴿الْفَصْفَنَتُ﴾: الخيل القائمة على ثلاث قوائم، الواضعة طرف السنبك
الرابع على الأرض.

﴿الْجِيَادُ﴾ السريعة المشي، الواسعة الخطو، جمع سبحانه بين وصفها
المدحوحين واقفة وجارية.

وضمن ﴿أَحْبَبْتُ﴾ معنى فعل متعدّد بـ(عن)، فكأنه قال: أنبت حبّ الخير
عن ذكر ربّي أو جعلت حبّ الخير مغنياً عن ذكر ربّي، والخير: المال كما في قوله:
﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(١) وقوله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾^(٢). والمال هنا: الخيل التي
شغلته، وسمى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها، كقوله ﷺ: ((الخيـل

(١) العاديات: ٨.

(٢) البقرة: ١٨٠.

معقود بنو اصبها الخير إلى يوم القيامة^(١). وقال عليه السلام في زيد الخيل^(٢) حين وفد عليه وأسلم: ((أنت زيد الخير))^(٣).

﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس أي: غربت، وهو مجاز عن توارى الملك بحجابه، ويدلّ عليه مرور ذكر العشي، ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر، وقيل: الضمير لـ ﴿الضُّفُنْتُ﴾ أي: حتى توارت بحجاب الليل يعني: الظلام^(٤).

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ أي: فجعل يمسح مسحاً، أي: يمسح بالسيف سوقها وأعناقها يعني: يقطعها، يقال: مسح علاوته: إذا ضرب عنقه، ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه، وقيل: مسحها بيده استحساناً لها وإعجاباً بها ثم جعلها مسبلة في سبيل الله^(٥). والسوق: جمع الساق، كأسد في جمع الأسد.

واتصل قوله: ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾ بمحذوف تقديره: قال: ردّوها عليّ، فأضمر ما هو جواب له، كأنّ قائلًا قال: فماذا قال سليمان؟ لأنّه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهراً، وهو اشتغال نبيّ الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها. وقيل: إنّما ذبحها تقرباً إلى الله تعالى ليتصدّق بلحومها، وقيل: معناه: أنّه سأل الله تعالى أن يرّد الشمس عليه فردّها عليه حتى صلى العصر. والهاء في ﴿رُدُّوَهَا﴾ للشمس^(٦).

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢: ١٨٥، صحيح مسلم ج ٦: ٣٢.

(٢) زيد بن مهلهل بن زيد الطائي، قدم على النبي ﷺ في وفد طيء سنة ٩ هـ، وكان شاعراً عبقرياً خطيباً لسناً شجاعاً، قيل: إنه مات منصرفه من عند النبي ﷺ. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٥٦٣.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج ١٠: ٢٠٢.

(٤) تفسير الماوردي ج ٥: ٩٣.

(٥) عن ابن عباس وغيره. الكشف والبيان ج ٨: ٢٠١.

(٦) عن علي عليه السلام. الكشف والبيان ج ٨: ٢٠٠.

﴿فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ اختبرناه وشددنا المحنة عليه، واختلف في الجسد الذي ألقي على كرسيه، فقيل: إنه قال ذات يوم: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تلد كل امرأة منهن غلاماً، يضرب بالسيف في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة وجاءت بشق ولد، فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه^(١). وروي أن النبي ﷺ قال: ((والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً))^(٢).

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ إلى الله وفزع إلى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه، وقيل: إنه ولد له ابن فاسترضعه في المزن - وهو السحاب - إشفاقاً عليه من كيد الشيطان، فلم يشعر إلا وقد وضع على كرسيه ميتاً، تنبيهاً له على أن الحذر لا ينفع من القدر^(٣).

قدّم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء في تقديم أمر الدين على أمور الدنيا.

﴿مَلَكًا لَا يَبْغِي﴾ أي: لا يتكون ولا يتسهل، ومعنى ﴿مِنْ بَعْدِي﴾: دوني. طلب من ربه سبحانه ملكاً زائداً على الممالك، زيادة تبلغ حد الإعجاز، ليكون دليلاً على صحة نبوته، فذلك معنى قوله: ﴿لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾، وقيل: كان ملكاً عظيماً فخاف أن يعطى غيره مثله فلا يحافظ على حدود الله فيه، كما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾^(٤).

(١) عن النقاش. تفسير الماوردي ج ٥: ٩٦.

(٢) صحيح البخاري ج ٢: ١٤١.

(٣) عن الشعبي. تفسير الماوردي ج ٥: ٩٦.

(٤) البقرة: ٣٠.

﴿رَحْمَةً﴾ أي: لينة طيبة لا تزعزع، وقيل: مطيعة له^(١).
 ﴿تَجَرَّى﴾ إلى حيث يشاء، وقوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ معناه: حيث قصد وأراد.
 و﴿الشَّيَاطِينِ﴾ عطف على ﴿الرَّيْعِ﴾، و﴿كُلَّ بَنَاءٍ﴾ بدل من ﴿الشَّيَاطِينِ﴾.
 ﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ عطف على ﴿كُلَّ﴾ داخل في حكم البدل، وهو بدل الكل من الكل. كانوا يبنون له ما يشاء من الأبنية الرفيعة، ويغوصون له في البحر على اللآلئ والجواهر، فيستخرجون ما شاء منها، وهو أول من استخرج الدر من البحر، وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والأغلال، ويجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة يؤدهم إذا تمردوا. والصفد: القيد، وسمي به العطاء لآته ارتباط للمنع عليه، وفرقوا بين الفعلين فقالوا: صفده: قيده، وأصفده: أعطاه.
 ﴿هَذَا﴾ الذي أعطيناك من الملك والبسط ﴿عَطَاؤَنَا... يَغْيِرُ حِسَابَ﴾ أي: جماعاً كثيراً لا يقدر على حسبه وحصره، أو لا يحاسب يوم القيامة على ما تعطي وتمنع.
 ﴿فَأَمْنُنْ﴾ [فأعط منه ما شئت من المنة وهي العطاء ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ مفوضاً إليك التصرف فيه، أو فامنن^(٢)] على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك من شئت منهم في الوثاق ﴿يَغْيِرُ حِسَابَ﴾ لا حساب عليك في ذلك.
 ﴿وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا﴾ النعمة الباقية في الآخرة، وهي الزلفة والقربى وحسن مآب.

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ نِصْصٍ وَعْدَايَ
 (١١) أَرْكُضْ بِرَحْمَتِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (١٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ،

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢٣: ١٠٣.

(٢) ساقطة من ج.

وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِدِكَ ضَعْفًا
فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْتِثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾
﴿يُؤَبِّ﴾ عطف بيان، و﴿إِذْ﴾ بدل الاشتغال منه.

﴿أَيَّ﴾ أي: بأيّ ﴿مَسْنَى﴾ حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحك
لقال: بأنّه مسه، وقرئ: ﴿يُنْصَبِ﴾ بضم النون، وبفتح النون والصاد، وضمهما،
والنُصب والنَّصب: التعب والمشقة، كالرُّشد والرَّشد، والنصب: تثقيل نصب،
والعذاب الأليم يريد مرضه وما كان يقاسيه فيه من أنواع الوصب. وقيل: النُصب:
الضرّ في البدن، والعذاب: في ذهاب الأهل والمال^(١). وإنّما نسبه إلى الشيطان لما
كان يوسوس به إليه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الجزع، فالتجأ إلى
الله سبحانه في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء.

﴿أَرْكَضْ بِرِجْلِكَ﴾ على تقدير القول، أي: [قلنا له]^(٢): ادفع برجلك الأرض
هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيراً باطنك وظاهره، وقيل: إنّهُ نبعت عينان
فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن
الله^(٣).

﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى﴾ مفعول لهما، والمعنى: أنّ الهبة كانت للرحمة له ولتذكير
أولي الأبواب، لأنّهم إذا سمعوا بذلك رغبوا في الصبر على البلاء.
﴿وَخُذْ﴾ معطوف على ﴿أَرْكَضْ﴾، ﴿ضَعْفًا﴾ هو ملء الكف من الشماخ^(٤)،

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٣: ١٠٦.

(٢) ساقطة من ب، د.

(٣) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ٢٣: ١٠٧.

(٤) الشماخ: العثكال الذي عليه البسر. (لسان العرب: مادة شمرخ)

وذلك أنه حلف على امرأته لقول أنكره منها لئن عوفي ليضربنها مائة جلدة، فاضربها دفعة واحدة.

﴿وَلَا تَحْنَتْ﴾ في يمينك.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ﴾ علمناه ﴿صَابِرًا﴾ على البلاء الذي ابتليناه به.

وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ ﴿١٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْتَهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿١٦﴾ وَلِيَتَّمَهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿١٧﴾ وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاجٍ ﴿١٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَّهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٢٠﴾ مُتَكَبِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ ﴿٢١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَنْزَابٌ ﴿٢٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمٍ الْحِسَابِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٢٤﴾

﴿إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطف بيان لـ ﴿عِبْدَنَا﴾ ومن قرأ عبدنا جعل ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وحده عطف بيان، وعطف ﴿إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾ على عبدنا.

﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ﴾ أولي الأعمال الدينية والفكر العلمية، كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات في حكم الزماني^(١)، الذين لا يقدرّون على إعمال جوارحهم، والمسلوب العقول الذين لا استبصار بهم، و﴿وَالْأَبْصَرِ﴾ جمع البصر وهو العقل.

﴿إِنَّا أَخْلَصْتَهُمْ﴾ جعلناهم لنا خالصين ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بخصلة خالصة لا شوب فيها، ثم فسرها بـ ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء، وأنّ الكدورة منتفية عنها. وقرئ: بخالصة ذكرى على الإضافة. والمعنى: بما خلص من

ذكرى الدار، على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير.

ومعنى ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾: ذكراهم الآخرة دائماً ونسيانهم إليها ذكر الدنيا، أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء، وقيل: ذكرى الدار: الثناء الجميل في الدنيا، ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم. والمعنى: أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها، أو أخلصناهم بتوفيقهم لها.

﴿لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾ أي: المختارين من بين أبناء جنسهم.

﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيْر أو خير على التخفيف، كأموات في جمع ميت أو ميت.

﴿وَالْيَسَعَ﴾ كَأَنَّ حرف التعريف دخل على يسع، وقرئ: واليسع كَأَنَّ

حرف التعريف دخل على يسع، فيعمل من اللسع. والتونين في ﴿وَكُلُّ﴾ عوض عن المضاف إليه، أي: وكلهم من الأخيار.

﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أي: نوع من الذكر وهو القرآن، ولما أجرى ذكر الأنبياء وأتمّه

قال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ كما يقال: هذا باب، ثم ذكر عقبيه الجنة وأهلها فقال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي: حسن منقلب ومرجع.

ولما أتم ذكر الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ

لَشَرَّ مَآبٍ﴾، وقيل: معناه: هذا ذكر جميل وشرف يذكرون به أبداً^(١). وعن ابن عباس: (هذا ذكر من مضى من الأنبياء)^(٢).

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ معرفة كقوله: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾^(٣)،

(١) معاني القرآن وإعراجه ج ٤: ٣٣٧.

(٢) الكشف ج ٤: ١٠٠.

(٣) مريم: ٦١.

وهي عطف بيان لـ (حسن مآب)، و﴿مُفْنَعَةٌ﴾ حال، والعامل فيها ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ من معنى الفعل، وفي ﴿مُفْنَعَةٌ﴾ ضمير الجنات، و﴿الْأَبْوَابُ﴾ بدل من الضمير تقديره: مفتحة هي الأبواب كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتغال.

﴿أَتَرَابُ﴾ جمع ترب، كأتين سمين أتراباً لأن التراب مسهن في وقت واحد، وإنما جعلن على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت، وقيل: هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم^(١).

وقرى: ﴿تُوعَدُونَ﴾ بالثناء والياء ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ لأجل يوم الحساب، كما يقال: هذا ما تدخرونه ليوم تجزى كل نفس بما كسبت.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذكرنا ﴿لَرِزْقُنَا﴾ أي: عطاؤنا الجاري المتصل.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ نَّعَادٍ﴾ أي: فناء وانقطاع.

هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمِهَادُ
هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٦﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ
هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنِحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٧﴾
قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ أَمْثَرُ كُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتُّوهُ لَنَا فَيَنْسَوْنَ الْقَرَارِ ﴿٥٨﴾ قَالُوا
رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٥٩﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا
لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٠﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِجْرًا أَمْ زَاغَتْ
عَيْنُهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦١﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا
مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٣﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٤﴾

أي: الأمر هذا، أو هذا كما ذكر وإن للذين طغوا على الله ﴿لَشَرَّ مَثَابٍ﴾، ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان له.

﴿فَيُنْزِلُ إِلَهُهُ﴾ شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرشه النائم.

﴿هَذَا﴾ حميم ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، أو العذاب هذا فليذوقوه، ثم ابتداء فقال: هو ﴿حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾، أو ليذوقوا هذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ مثل قوله: ﴿وَأَيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾^(١).

وقرئ: ﴿وَعَسَاقٌ﴾ بالتشديد والتخفيف حيث كان، وهو ما يغسق من صديد أهل النار أي: يسيل، يقال: غسقت العين إذا سالت دموعها، ويقال: الحميم يحرق بحرّه والغساق يحرق ببرده^(٢).

﴿وَأَخْرُ﴾ أي: ومذوقات آخر من شكل هذا المذوق، أي: مثله في الفطاعة والشدة.

﴿أَزْوَاجٌ﴾ أي: أجناس، وقرئ: ﴿وَأَخْرُ﴾ أي: وعذاب آخر أو مذوق آخر. و﴿أَزْوَاجٌ﴾ صفة لـ(آخر) لأنه يجوز أن يكون ضرباً أو صفة للثلاثة وهي: ﴿حَمِيمٌ﴾، ﴿وَعَسَاقٌ﴾، ﴿وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ﴾.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، أي: دخل النار في صحبتكم، وهو حكاية كلام الطاغين بعضهم لبعض أي: يقولون هذا، والمراد بالفوج: أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة، فيقتحمون معهم النار.

﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾ دعاء منهم على أتباعهم، أي: لا نالوا رجاءاً وسعة ﴿لَهُمْ﴾ لازموا ﴿النَّارِ﴾، فيقول الأتباع: ﴿بَلْ أَنتُمْ﴾ لا اتسعت لكم أماكنكم، أنتم حملتمونا

(١) البقرة: ٤٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٤١٠.

على ما أوجب لنا النار.

والضمير في ﴿قَدْ مَتَمُّوهُ﴾ للعذاب، تقول لمن تدعو له: مرحباً، أي: آتيت رحباً من البلاد لا ضيقاً، أو رحبت ببلادك رحباً، ثم تدخل عليه (لا) في دعاء السوء، و﴿يَهْتُم﴾ بيان للمدعو عليهم.

قال الأتباع أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مضاعفاً، ومعناه: ذا ضعف، وهو أن يزيد على عذابه ضعفه أي: مثله فيصير ضعفين كقوله: ﴿رَبَّنَا آتِنِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(١).

﴿لَا نَرَى رَجَالًا﴾ يعنون فقراء المؤمنين الذين لا يؤبه بهم.

﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ الذين لا خير فيهم، ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فعدوهم أشراراً. وعن الصادق^(٢) عليه السلام: ((يعنونكم، لا يرون والله واحداً منكم في النار))^(٣).

﴿أَتَّخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لـ ﴿رَجَالًا﴾، وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم.

وقوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يتصل بقوله: ﴿مَا لَنَا﴾ أي: ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها، بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها.

والثاني: أن يتصل بـ ﴿أَتَّخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا﴾ ويكون ﴿أَمْ﴾ متصلة بمعنى: أي الفعلين فعلنا بهم: الاستسخار منهم أم تحقيرهم وازدراءهم، وأن أبصارنا كانت تحتقرهم على معنى: إنكار الأمرين على أنفسهم، أو منقطعة بعد مضي ﴿أَتَّخَذْنَهُمْ

(١) الأحزاب: ٦٨.

(٢) في ج، د: الباقر.

(٣) الكافي ٨: ٣٦ ضمن حديث بالمعنى.

سَخِرَآ ﴿٦٧﴾ عَلَى الْخَبَرِ أَوْ عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ، كَمَا تَقُولُ: إِنَّمَا لِإِبْلِيسَ أَمُ شَاةٍ، وَأَزِيدُ عِنْدَكَ أَمْ عِنْدَكَ عَمَرُو؟. وَيَجُوزُ أَيْضًا تَقْدِيرُ هَمْزَةِ الْإِسْتِفْهَامِ مَحْذُوفَةً فَيَمْنُ قَرَأَ بِغَيْرِ الْهَمْزَةِ؛ لِأَنَّ ﴿أَمْ﴾ تَدُلُّ عَلَيْهَا، فَلَا تَفْتَرِقُ الْقَرَاءَتَانِ فِي الْمَعْنَى.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الَّذِي حَكِينَا عَنْهُمْ ﴿لَحَقٌّ﴾ لَا بَدَّ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ، ثُمَّ يَبَيِّنُ بِقَوْلِهِ: ﴿تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ شَبَّهَ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ مِنَ التَّقَاوُلِ بِمَا يَجْرِي بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ فَسَمَّاهُ تَخَاصُّمًا.

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْنَئُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعْرِضَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِلْعَالَمِينَ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

أي: هذا الذي أنبأكم به من كوني رسولاً، وأن الله واحد، وأمر القيامة نبأ

عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة، وقيل: النبأ العظيم هو القرآن^(١).

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ﴾ بكلام ﴿الَّتِي لَا أَلْعَلِّي﴾ وقت اختصاصهم.

و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْصِمُونَ﴾.

و﴿الَّتِي لَا أَلْعَلِّي﴾ هم أصحاب القصة المذكورة بعد: من الملائكة وآدم

وإبليس، لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم.

قري: (إنما) بالكسر على الحكاية، أي: ما ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ آلَا﴾ هذا القول، وهو

أن أقول لكم: ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وقرئ: ﴿أَنَّمَا﴾ بالفتح أي: لأنها، ومعناه:

ما يوحى إلي إلا للإنذار، فحذف اللام فوصل الفعل، ويجوز أن يكون مرفوع

الموضع، أي: ما يوحى إلي إلا هذا القول، وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك.

﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [لما توليت خلقه بنفسي من غير واسطة، وذلك أن

الإنسان لما كان يباشر أكثر أعماله بيده]^(٢) غلب العمل باليدين على سائر الأعمال

التي بغيرهما حتى قالوا في عمل القلب: هذا مما عملت يداك، وقالوا لمن لا يدين له:

(يداك أوكنا وفوك نفخ)^(٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيَدَيْنَا﴾^(٤)، ﴿لَمَّا خَلَقْتُ

بِيَدَيَّ﴾. وقيل: إن العرب تطلق لفظة اليدين للقدرة والقوة^(٥)، كما قال الشاعر:

تَحَمَّلْتُ مِنْ دَلْفَاءِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ^(٦)

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٣: ١١٧.

(٢) ساقطة من د.

(٣) مجمع الأمثال ج ٣: ٥١٩.

(٤) يس: ٧١.

(٥) تفسير الماوردي ج ٥: ١١١.

(٦) ديوان عروة بن حزام: ٧٠، وفيه: من عفراء.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أرفعت نفسك فوق قدرها، أم كنت من الذين علت أقدارهم عن السجود؟!.

﴿فَأَخْرَجَ مِنْهَا﴾ من الجنة، وقيل: من السموات، وقيل: من الخلقة التي افتخرت بها فاسودّ وأظلم بعد أن كان أبيض نورانياً^(١).

وقرى: ﴿فَالْحَقُّ﴾ بالرفع والنصب، فالرفع على أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: فأنا الحق، أو مبتدأ محذوف الخبر أي: فالحق قسمي؛ والنصب على أنه مقسم به والتقدير: الحق لأملأن، نحو: الله لأفعلن.

﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه، والمراد بالحق: إما اسمه جلّ وعزّ الذي في قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٢)، أو الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله سبحانه بإقسامه به.

﴿مِنْكَ﴾ أي: من جنسك وهم الشياطين.

﴿وَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم، والمعنى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ من المتبوعين والتابعين ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿مَا أَسْتَكْبَرُ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن ﴿مِنْ آجِرٍ﴾ تعطونه.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكْفِرِينَ﴾ من الذي يتصنعون ويتحللون بما ليسوا من أهله. وعن النبي ﷺ: ((للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم))^(٣).

وما ﴿هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ للخلق أجمعين.

(١) عن أبي العالية وغيره. معالم التنزيل ج ٤: ١٤.

(٢) النور: ٢٥.

(٣) الخصال: ١١٧، الكشف والبيان ج ٨: ٢١٨.

٣٠ جوامع الجامع/ج ٥

﴿وَلَعَلَّيْنِ﴾ خبر صدقه وحقيقة حقّه ﴿بَعْدَ﴾ الموت، أو بعد ظهور أمر الدين وفشو الإسلام.

سورة الزمر

مكية سوى آيات، وهي خمس وسبعون آية كوفي، اثنتان بصري. ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ غير الكوفي، ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ الثاني، و﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾، و﴿مَنْ هَادٍ﴾ الثاني، و﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أربعتهن كوفي.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة الزمر) لم يقطع الله رجاءه، وأعطاه ثواب الخائفين))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة الزمر) أعطاه الله شرف الدنيا والآخرة، وأعزّه بلا مال ولا عشيرة حتى يها به من يراه، وحرّم جسده على النار.. تمام الخبر))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٢٢٠.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٢.

كَفَّارٌ ﴿٢﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

﴿تَزِيلُ﴾ مبتدأ أخبر عنه بالظرف، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا تنزيل الكتاب، والجار صلة ﴿تَزِيلُ﴾ كما تقول: نزل من عند الله، أو غير صلة فيكون خبراً بعد خبر، أو حالاً من ﴿تَزِيلُ﴾ عمل فيها معنى الإشارة.
﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر.

﴿الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ ما لا يشوبه الرياء والسمعة، وعن قتادة: (هو شهادة أن لا إله إلا الله)^(١)، وقيل: هو الاعتقاد الواجب من التوحيد والعدل والنبوة، والعمل بموجب الشرائع، والبراءة من كل دين سواها.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ أي: ليشفعوا لنا إليه.

و﴿زُلْفَىٰ﴾ اسم أقيم مقام المصدر، وخبر (الذين) قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾.

والمراد بمنع الهداية: منع اللطف تسجيلاً عليهم بأن لا لطف لهم، وأنهم في علم الله من الهالكين، ولم يرد به الهداية إلى الإيمان كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ

فَهَدَيْنَاهُمْ ﴿١﴾.

وكذبهم في قولهم: إنّ الملائكة بنات الله، ولذلك عقبه بقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصحّ ولم يتأت ذلك لكونه محالاً، إلا أن يصطفي من خلقه بعضهم ويقربهم، كما يختص الرجل ولده ويقربهم، ثم نزّه نفسه عن اتخاذ الولد بقوله: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزيهاً له عن ذلك.

ثم دلّ بخلق السماوات والأرض، وتكوين كل واحد من الملوكين^(١) على الآخر، وتسخير النيرين وجريهما ﴿لِأَجْلِ مُسَكِّي﴾، وبث الناس على كثرتهم من نفس واحدة وخلق الأنعام؛ على أنّه واحد لا ثاني له في القدم، قهار لا يغالب.

والتكوين: اللف واللي، يقال: كار العمامة على رأسه وكورها، والمعنى: يغشي الليل النهار، يذهب هذا ويغشي مكانه هذا، فكأنّه لفّه عليه كما يلفّ اللباس على اللابس، وقيل: معناه: إنّ كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه، فشبهه بشيء ظاهر لفّ عليه ما غيّبه عن الناظر^(٢).

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ
الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَنْزَلَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ
خَلْقِي فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ قَاتِلِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى
لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا نَزِرُ مِنَ السَّمَاءِ
أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ

(١) فصلت: ١٧.

(٢) الملوان: الليل والنهار. (الصحيح: مادة ملا)

(٣) الكشاف ج ٤: ١١٣.

بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ
 إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ
 أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
 النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَنْ هُوَ قَنِيتُ أَتَأْتِيهِ الْبَلَاءُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَمْ خَافَتْ بِهَذَا
 الرَّحْمَةُ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا
 يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ
 لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى
 الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

أي: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم، وخلق حواء وزوجه من قصيره^(١)،
 وعطف بـ(ثم) للدلالة على مباينة هذه الآية - التي لم تجر العادة بمثلها - للآية الأولى
 التي هي إيجاد الخلق الكثير من نفس واحدة في الفضل والمزية، وقيل: أخرج ذرية
 آدم من ظهره كالذر، ثم خلق بعد ذلك حواء^(٢).

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ أي: قضى لكم وقسم، لأنّ قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول
 من السماء حيث كتب في اللوح المحفوظ كل كائن يكون، وقيل: لأنّ الحيوان لا
 يعيش إلا بالنبات، والنبات لا ينبت إلا بالماء، وقد أنزل الماء، فكأنّه أنزلها.

﴿ثُمَّ نَبَّأَهُ أَنْذَارَ﴾ ذكرأ وأنثى، من الإبل ومن البقر والضأن والمعز.

﴿خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾ حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام
 عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف. والظلمات الثلاث: ظلمة
 البطن والرحم والمشيمة.

(١) القصيرى: الضلع التي تلي الشاكلة، وهي الواهنة في أسفل الأضلاع. (الصالح: مادة قصر).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج ٢٣: ١٢٤.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي هذه أفعاله هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾.

﴿فَأَن تَصْرُقُونَ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ﴾ وعن إيمانكم، وأنتم المحتاجون إليه ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ به؛ رحمة لهم لأنه سبب هلاكهم ﴿وَلَن تَشْكُرُوا﴾ يرضى الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم، وإنما كره كفركم ورضي شكركم لأجل نفعكم وصلاحكم، لا لمنفعة راجعة إليه. والهاء في ﴿يَرْضَاهُ﴾ ضمير الشكر الذي دلّ عليه ﴿وَلَن تَشْكُرُوا﴾.

﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً إليه وحده لا يرجو سواه.

﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ﴾ أي: أعطاه، وأصله: جعله خاتل مال وخال مال، وهو أن يكون متعهداً له حسن القيام به، أو جعله يخول أي: يختال ويفتخر، ومنه المثل: (الغني طويل الذيل مياس)^(١).

﴿نَسِيَ﴾ الضّر الذي ﴿كَانَ يَدْعُو﴾ الله إلى كشفه، وقيل معناه: نسي ربه الذي كان يتضرّع إليه^(٢). و﴿مَا﴾ بمعنى (من)، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٣).

وقرئ: ﴿لَيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمهما، يعني: إنّ نتيجة جعله لله أنداداً [ضلالة عن سبيل الله أو]^(٤) إضلاله، والنتيجة قد يكون غرضاً في الفعل وقد يكون غير غرض.

(١) جهرة الأمثال ج ٢: ٨٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٣٤٦.

(٣) الليل: ٣.

(٤) ساقطة من ج.

﴿قُلْ تَمَنَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أمر في معنى الخبر، كقوله: ((إذا لم تستح فاصنع ما شئت))^(١)، كأنه قيل له: إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان، فمن حَقَّ أن لا تؤمر به بعد ذلك، وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه.

وقرئ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ﴾ بالتخفيف والهمزة للاستفهام، وبالتشديد على إدخال أم على من والتقدير: آمن هو قانت كغيره، ف(من) مبتدأ محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه، وهو جري ذكر الكافر قبله، وقوله بعده: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: معناه: أهذا أفضل أم من هو قانت؟ أو آمن هو قانت أفضل أم من هو كافر^(٢)؟.

و﴿إِنَاءً أَيْلٍ﴾ ساعاته.

﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ يسجد تارة للصلاة ويقوم أخرى، يريد صلاة الليل والقنوت في الوتر وهو دعاء المصلي قائماً، وفي الحديث: ((أفضل الصلاة طول القنوت))^(٣).

وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الدين، كأنه جعل من لا يعمل بعلمه غير عالم، أو يريد: لا يستوي القانتون وغيرهم كما لا يستوي العالمون والجاهلون. وعن الصادق عليه السلام: ((نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولوا الأبواب))^(٤).

(١) الخصال: ٢١، مسند أحمد ج ٤: ١٢١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٣٤٧.

(٣) الخصال: ٤٩٣، صحيح مسلم ج ٢: ١٧٥.

(٤) المحاسن ج ١: ١٦٩.

قوله: ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ يتعلّق بـ ﴿أَحْسِنُوا﴾ [لا بـ ﴿حَسَنَةً﴾] ^(١)، والمعنى: الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة، وهي دخول الجنة، أي: حسنة لا يحاط بكنهها، وقيل: يتعلّق بـ ﴿حَسَنَةً﴾ أي: لهم على ذلك حسنة في الدنيا وهي الثناء الحسن والمدح والصحة والعافية والرزق الواسع ^(٢).

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ معناه: لا عذر للمفرطين في الإحسان حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكّنون منه في أوطانهم قيل لهم: فإن أرض الله واسعة، وبلاده كثيرة، فتحولوا إلى بلاد أخرى، واقتدوا بالأنبياء وخيار المؤمنين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم.

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ﴾ ثوابهم على طاعتهم وصبرهم على الشدائد ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لكثرة لا يمكن عدّه وحسابه. وعن ابن عباس: (لا يهتدي إليه حساب الحساب) ^(٣). وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: ((قال رسول الله ﷺ: إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان وتلا هذه الآية)) ^(٤).

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُوا مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ

(١) ساقطة من ب.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ٢٣: ١٣٠.

(٣) الكشف ج ٤: ١١٨.

(٤) كتاب التمهيد: ٧، الكشف والبيان ج ٨: ٢٢٦ باختلاف يسير.

الْمُيِّنُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ
يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ
يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ
أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي
النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا مِنْ قَوْفِهَا عُرِفَ مَبْنِئُهُ
نَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

أي: ﴿أُمرْتُ﴾ بإخلاص الدين لله ﴿وَأُمرْتُ﴾ بذلك ﴿لِأَنَّهُ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾
أي: سابقهم ومقدمهم في الدنيا والآخرة، والمعنى: إِنَّ الإخلاص له السبق في
الدين، فمن أخلص كان سابقاً.

وكرر في قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مَخْلَصاً لِي﴾ لأنَّ الأوَّل للإخبار بأنَّه مأمور
بالعبادة والإخلاص، والثاني: للإخبار بأنَّه مخلص الله بعبادته مخلصاً له دينه، ولذلك
قدم المعبود على فعل العبادة وآخره في الأوَّل، فالكلام أولاً في الفعل نفسه، وثانياً
فيمن يفعل الفعل لأجله، ولذلك رتب عليه قوله: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾.

﴿قُلِ إِنَّ﴾ الكاملين في الخسران هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بأنَّ قذفوها في
الجحيم وخسروا ﴿أَهْلِيهِمْ﴾ الذين أعدوا لهم في جنة النعيم، ثم ذكر أنَّ خسرانهم
بلغ الغاية في قوله: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ بأنَّ صدر الجملة بحرف التنبيه،
ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرف الخسران ووصفه بالمبين.

﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ﴾ جمع ظلة وهي السترة العالية أي: أطباق ﴿مِنَ النَّارِ﴾
ومن تَحْتِهَا وهي ﴿ظُلَلٌ﴾ للآخرين، لأنَّ النار أدراك.

﴿ذَلِكَ﴾ الذي وصف من العذاب ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ ليتقوا عذابه بامتثال أوامره ﴿يَعْبَادُونَ﴾ فقد ألزمتكم الحجة.

و﴿الطَّغُوتَ﴾ تطلق على الشيطان والشياطين لكونها مصدرأ، والمراد بها هنا الجمع.

﴿أَنْ يَّعْبُدُوهَا﴾ بدل من ﴿الطَّغُوتَ﴾ وهو بدل الاشتغال، وأراد بعباده: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا لا غيرهم، فوضع الظاهر موضع المضمرة، أراد: أنهم نقاد في الدين، يميزون بين الحسن والأحسن، ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها وأقواها.

التقدير: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ﴾ تنقذه تخلصه من ﴿النَّارِ﴾ فوضع الظاهر موضع المضمرة^(١)، وقيل: إن الوقف على كلمة ﴿الْعَذَابِ﴾، [أي: أفهو كمن وجبت له الجنة، ثم ابتداء: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ﴾. والمراد بكلمة العذاب قوله: ^(٢) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ... الآية﴾^(٣)، ومعناه: إنك لا تقدر على إدخال الإسلام في قلوبهم قسراً.

﴿هُمْ عُرِفُوا﴾ أي: علالي، بعضها فوق بعض.
﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد، لأن قوله: ﴿هُمْ عُرِفُوا﴾ في معنى: وعدهم الله ذلك.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ

(١) في ب: الضمير.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) السجدة: ١٣.

حُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ
صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ۚ قَوْلٌ لَلنَّفْسِ بِهَا قُلُوبُهُمْ مِنْ
ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَىٰكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ نَقْشُورُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي
بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ
يَنْقِي بَوَاجِهِ ۖ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا
كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿فَسَلِّكُمُ﴾ أي: فأدخل ذلك الماء ﴿يَنْبِيعُ﴾ ينبع منها الماء ﴿فِي الْأَرْضِ﴾
مثل العيون والأنهار والقنى.

﴿زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ أي: صنوفه من البر والشعير والأرز ونحوها، وقيل:
ألوانه من أخضر وأصفر وأبيض وأحمر^(١).

﴿ثُمَّ يَهْبِيجُ﴾ أي: يحيف ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا﴾ أي: رفاتاً متفتتاً ﴿إِنَّ فِي
ذَلِكَ﴾ لتذكيراً ﴿لِأُولَى﴾ العقول السليمة في معرفة الصانع المحدث للعالم.

﴿أَفَمَنْ﴾ عرف الله أنه من أهل اللطف فلفظ به حتى انشرح صدره
للإسلام وقبلة كمن لا لطف له، فهو حرج الصدر قاسي القلب، ونور الله لطفه،
وهو نظير ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ في حذف الخبر من ذكر الله، أي: من أجل ذكره، أي:
إذا ذكر الله وآياته عندهم اشمأزوا وازدادت قلوبهم قسوة.

﴿كُتِبَ﴾ بدل من ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ أو حال منه.

﴿مُتَشَدِّهَا﴾ هو مطلق في مشابهة بعضه بعضاً، فيتناول تشابه معانيه في الصحة والإحكام ومنفعة الأنام، وتشابه ألفاظه في التناسب والتناصف في التخير والإصابة وتجارب النظم والتأليف في الإعجاز.

﴿مَثَانِي﴾ جمع مثني، بمعنى المردد والمكرر لما ثني من قصصه وأحكامه ومواعظه، وقيل: لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل^(١)، كما جاء في وصفه: لا يتفه ولا يتشان^(٢) ولا يخلق على كثرة الرد^(٣). وإنها وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل، وتفصيل الشيء هي جملة لا غير. ويجوز أن يكون المثاني منصوباً على التمييز من ﴿مُتَشَدِّهَا﴾ كما تقول: رأيت رجلاً حسناً شائلاً، والمعنى: متشابهة مثانيه، والفائدة في التكرير والثنية أنّ النفوس تنفر عن النصيحة والمواعظ، فما لم يكرر عليها عوداً بعد بدء لم يرسخ فيها.

﴿نَفْسَعِرُ﴾ أي: تنقبض ﴿مِنْهُ﴾ جلودهم تقبضاً شديداً، يقال: اقشعر جلده من الخوف: وقف شعره، ومعناه: أنهم إذا سمعوا القرآن وآيات الوعيد فيه أصابته خشية شديدة، ثم إذا ذكروا الله ورحمته وسعة مغفرته لانت جلودهم. وضمن لان معنى فعل متعد بـ(إلى)، فكأنه قال: سكنت أو اطمأنت إلى ذكر الله، لينة غير منقبضة، راجية غير خائفة، واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة، لأن رحمة سبقت غضبه، فأصل أمره الرحمة والرأفة، فكأنه قال: إذا ذكروا الله - ومبنى أمره على الرحمة والرأفة - استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينة في

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٢٣٠.

(٢) عن ابن مسعود. غريب الحديث ج ٤: ٥٧.

(٣) نهج البلاغة: ٢٧٥ بالمعنى.

جلودهم.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الكتاب وهو ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ يوفق ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء، أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي: أثر هداه وهو لطفه، فسماه: هدى لأنه حاصل بالهدى، يهدي بهذا الأثر من يشاء من عباده، يعني: من صحب أولئك ورآهم خائفين وراجين اقتدى بسيرتهم.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ أي: من لم يؤثر فيه لطف الله لقسوة قلبه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي: مؤثر فيه.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ كمن أمن العذاب، فحذف الخبر، يقال: اتقاه بترسه: استقبله فوقى بها نفسه إياه. والمعنى: إن الإنسان إذا لقي مخوفاً استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه، والذي يلقي في النار مغلولاً يده إلى عنقه لا يتهاى له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له، وقيل: المراد بالوجه الجملة.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من الجهة التي لا يحتسبون، ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها.

فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْفِرْيَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة كما يقال: جاءني زيد رجلاً صالحاً، أو ينتصب على المدح.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف، والعوج خصوص بالمعاني دون الأعيان.

[﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾] ^(١) أي: رجلاً مملوكاً قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع، كل واحد منهم يدعي أنه عبده فيتعاورونه في خدمتهم ﴿وَرَجُلًا﴾ آخر قد سلم للمالك واحد وخلص له، فهو معتمد عليه فيما يصلحه، فهمة واحد، أي هذين العبدین أحسن حالاً وأصلح أمراً؟.

والمراد بذلك تمثيل حال من يثبت آلهة شتى، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبا، ويبقى هو متحيراً ضائعاً لا يدري أيهم يعبد وعلى أيهم يعتمد، وحال من لم يثبت إلا إلهاً واحداً فهو قائم بما كلفه، عارف بما أرضاه وأسخطه.

و﴿فِيهِ﴾ تعلق به ﴿شُرَكَاءُ﴾، كأنه قال: اشتركوا فيه، والتشاكس والتشاخس: الاختلاف، يقال: تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه.

والسالم: الخالص، وقرئ: ﴿سَلَمًا﴾ وسلماً وهما مصدران، يقال: سلم سلماً وسلماً وسلامة، والمعنى: ذا سلامة لرجل، أي: ذا خلوص له من الشركة من قولهم: سلمت له الضيعة.

(١) زيادة بقضيها السياق.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: صفة منصوب على التمييز، والمعنى: هل تستويان صفتاهما وحالاهما.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: يجب أن يكون الحمد موجّهاً إلى الله الذي لا شريك له وحده دون كل معبود سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركون به غيره.

[﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَرَبُّهُمْ مَيِّتُونَ﴾] ^(١) أي: إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى، لأن ما هو كائن فكأن قد كان.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أي: إنك وإياهم، فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغائب. ﴿تَخْصِمُونَ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك قد بلغت فكذبوا. وعن عبد الله بن عمر: (لقد عشنا برهة من الدهر ونحن نرى أن هذه الآية فينا وفي أهل الكتاب، وقلنا: كيف نخصم ونبيّنا واحد وكتابنا واحد، حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أنها فينا نزلت) ^(٢).

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ
الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَنُوعٌ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ
وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) المستدرک على الصحيحین ج ٤: ٥٧٢.

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ
 مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ
 ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى
 مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ
 عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بزعمه أن له ولداً وشريكاً ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾
 بالقرآن والتوحيد، ثم هدد من هذه صفته بأن في جهنم مثواه، والاستفهام للتقرير.
 ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هو رسول الله ﷺ جاء بالحق وآمن به
 وأراد به إياه ومن تبعه، كما أراد بـموسى إياه ومن تبعه في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
 الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١)، ولذلك قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، إلا أن هذا
 في الصفة وذلك في الاسم، ويجوز أن يريد الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به،
 وهم الرسول والذين صدقوا به من المؤمنين.

﴿أَسْأَأُ الَّذِي عَمِلُوا﴾ هو الشرك والمعاصي التي عملوها قبل إيمانهم، و
 ﴿أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هو المفروض والمندوب إليه من أعمالهم، فإن
 المباح يوصف بالحسن أيضاً.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ وهو رسول الله ﷺ. وقرئ: عباده وهم الأنبياء.
 وقرئ: ﴿كَاشَفَتُ ضُرِّيهِ﴾ و﴿مُمْسِكَةٌ رَحْمَتِي﴾ بالتنوين على الأصل،
 وبالإضافة على التخفيف، وأنهن بعد التذكير في قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ﴾

مِنْ دُونِهِ ﴿لِيُضْعِفَهُنَّ وَيُعْجِزَهُنَّ زِيَادَةَ تَضْعِيفٍ وَتَعْجِيزٍ عَمَّا طَالِبُهُمْ بِهِ مِنْ كَشْفِ الضَّرِّ وَإِمْسَاكِ الرَّحْمَةِ، لِأَنَّ الْأَنْوْثَةَ مِنْ بَابِ اللَّيْنِ وَالرَّخَاوَةِ، كَمَا أَنَّ الذَّكَوْرَةَ مِنْ بَابِ الشَّدَّةِ وَالصَّلَابَةِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: الْإِنَاثُ اللَّاتِي هُنَّ اللَّاتُ وَالْعَزَى وَمَنَاةٌ أَوْضَعُ مَا تَدْعُوْنَهُ لَهَا وَأَعْجِزُ.

﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَائِنِكُمْ﴾ عَلَى حَالَتِكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا وَجَهْتِكُمْ مِنَ الْعِدَاوَةِ الَّتِي تَمَكَّنْتُمْ مِنْهَا، وَالْمَكَانَةُ بِمَعْنَى الْمَكَانِ، فَاسْتَعِيرَتْ عَنِ الْعَيْنِ لِلْمَعْنَى كَمَا يَسْتَعَارُ (هَنَا) وَ(حَيْثُ) لِلزَّمَانِ وَهُمَا لِلْمَكَانِ، وَحَقُّ الْكَلَامِ: فَإِنِّي عَامِلٌ عَلَى مَكَائِنِي، فَحَذَفُ لِلْإِخْتِصَارِ.

و﴿يُخْزِيهِ﴾ صِفَةُ لـ ﴿عَذَابٍ﴾ أَي: عَذَابٌ نَخِزْ لَهُ، وَهُوَ يَوْمُ بَدْرِ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دَائِمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْ فَلِنَفْسِهِ
وَمَنْ صَلَّ فَإِنَّمَا يَصِلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١﴾
اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا
فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَرِ
أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا
وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ
أَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ

مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٥﴾

﴿الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ لِجَمِيعِ النَّاسِ وَلِأَجْلِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ بأن يسلبها ما هي به حية حساسة دراجة من صحة أجزائها وسلامتها، ويتوفى الأنفس ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: بتوفاها حين تمام تشبيهاً للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون، كما أنّ الموتى كذلك ﴿فِي مَمْسِكٍ﴾ الأنفس ﴿الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ الحقيقي، أي: لا يردّها في وقتها حية ﴿وَيُرْسِلُ الْآخَرَىٰ﴾ النائمة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت ضربه وسماه لموتها.

﴿أَمِرٍ﴾ منقطعة، أي: بل اتخذ قريش، والهمزة للإنكار.
﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من دون إذنه حيث قالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.
﴿أَوَّلَوْ كَانُوا﴾ معناه: أيشفعون ولو كانوا ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ ولا عقل لهم؟!.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ فلا يملكها أحد إلا بتمليكه.
﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ يدور المعنى على وحده، والمعنى: إذا أفرد الله عزّ اسمه بالذكر ووحد اشمأزوا، أي: نفروا وتقبضوا، وإذا ذكر معه آلهتهم استبشروا، فقابل الاشتمزاز وهو أن يمتلئ القلب غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في الوجه بالاستبشار وهو أن يمتلئ القلب سروراً حتى تنبسط له بشرة الوجه. والعامل في ﴿إِذَا ذُكِرَ﴾ المفاجأة، وتقديره: وقت ذكر الذين من دونه فاجئوا وقت الاستبشار.

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّ

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَا فَنَدُوا بِهِ، مِنْ
سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ
(١٧) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
يَسْتَهْزِءُونَ (١٨) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً
مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ (١٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ (٢٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ
هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ (٢١)

أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يحاكمهم إليه ليفعل بهم ما يستحقونه، فقال له:
ادع بهذا الدعاء، أي: أنت تقدر على الحكم بيني وبينهم، وفيه بشارة له بالنصر
والظفر، لأنه إنما أمره به للإجابة لا محالة. وعن سعيد بن المسيب: (إني لأعرف
موضع آية لم يقرأها أحد قط فسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقرأ الآية^(١)).

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وعيد لا يحاط بكنهه، ونظيره
في الوعد قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٢). وعن محمد بن
المنكدر^(٣): أنه جزع عند موته، فقيل له في ذلك فقال: (أخشى آية من كتاب الله
وتلاها، ثم قال: أخشى أن يبدولي من الله ما لم أحتسب)^(٤). وعن سفيان الثوري

(١) تفسير الماوردي ج ٥: ١٣٠.

(٢) السجدة: ١٧.

(٣) أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي، يعد من كبار التابعين، توفي
سنة ١٣٠ هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ج ١: ١٢٧، معجم رجال الحديث ج ١٧: ٣١٢.

(٤) الكشف والبيان ج ٨: ٢٤٠.

أنه قرأها فقال: [ويل لأهل الرياء]^(١)، ويل لأهل الرياء^(٢).

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾ أعماهم التي كسبوها، أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله: ﴿أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾^(٣)، أو جزاء سيئاتهم من أنواع العذاب سمّاها سيئات كما قال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٤).

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أحاط بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم.

يقال: خوله شيئاً إذا أعطاه على غير جزاء.

قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَى عِلْمٍ﴾ أي: على علم مني بأنّي أعطاه لما فيّ من الفضل والاستحقاق، أو على علم من الله باستحقاقي فلذلك آتاني ما آتاني، أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون: ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٥).

وذكر الضمير العائد إلى ﴿نِعْمَةً﴾ في ﴿أُوتِيْتُهُ﴾، لأنّه أراد شيئاً من النعمة أو قسماً منها، ويمكن أن يكون (ما) في ﴿إِنَّمَا﴾ موصولة لا كافة، فيرجع الضمير إليه.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ إنكار لذلك القول، أي: ليس كما يقول بل هي فتنة أي: ابتلاء واختبار له أيشكر أم يكفر، ذكر الضمير أولاً على المعنى، وأثّث هنا على اللفظ، أو لأنّ الخبر مؤنث.

والضمير في ﴿قَالَهَا﴾ راجع إلى قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَى عِلْمٍ﴾ لأنها كلمة

(١) ساقطة من ب، د.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ٢٤٠.

(٣) المجادلة: ٦.

(٤) الشورى: ٤٠.

(٥) القصص: ٧٨.

أو جملة من القول.

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٥٠﴾ هم قارون وقومه حيث قال: أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها، ويجوز أن يكون فيمن مضى من الأمم قوم قائلون مثلها فصارت وبالاً عليهم وأصابهم جزاء سيئاتهم.

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ يَعْبادي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطَعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٣﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٥﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّي لِي كَرَةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ بَلَى قَدْ جَاءَكَ عَائِنِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٥٩﴾

﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ للتائب، فإن مات الموحّد من غير توبة فهو في مشيئة الله، إن شاء عذّبه بعدله، وإن شاء غفر له بفضلله، كما قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ارجعوا إليه من الشرك والمعاصي.
 ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أي: انقادوا له بالطاعة، وقيل: اجعلوا أنفسكم خالصة له.
 ﴿أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو أن يأتي المأمور به ويترك المنهي عنه.
 ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ أي: كراهة أن تقول نفس، وإنما نكّرت لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر أو نفس متميّزة من الأنفس. وقرئ: يا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوّض منه، والجنب: الجانب، قالوا: فرّط في جنبه وفي جانبه أي: في حقّه، قال:

أَمَّا تَقِينَ اللَّهِ فِي جَنْبٍ وَامِقٍ لَهُ كِبْدٌ حَرَىٰ عَلَيْكَ تَقَطُّعٌ^(١)
 وهذا من باب الكناية، لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل فقد أثبتته فيه، قالوا: لمكانك فعلت كذا، أو من جهتك فعلت، أي: لأجلك، فالتقدير: فرّطت في ذات الله، ولا بد من تقدير مضاف محذوف، سواء قيل: في جنب الله أو في الله، فإن المعنى: فرطت في طاعة الله وعبادة الله ونحوهما، و(ما) في ﴿مَا فَرَطْتُ﴾ مصدرية.
 ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (إن) مخففة من الثقيلة، قال قتادة: (لم يكفه أن ضيع في طاعة الله حتى سخر من أهلها)^(٢). والجملة في موضع الحال، فكأنه قال: فرّطت وأنا ساخر، أي: فرّطت في حال سخريتي.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ إنّا يقول هذا تحييراً في أمره وتعللاً بما لا يجدي عليه، كما حكى الله تعالى عنهم تعللهم بإغواء الرؤساء والشياطين^(٣). وقوله:

(١) ديوان جميل بثينة: ٧٣، وفيه: في قتل عاشق.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٤: ١٤.

(٣) ينظر: الصافات: ٣٢.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي﴾ ردّ عليه من الله عزّ اسمه، والمعنى: بلى قد هديت بالقرآن فكذبت به واستكبرت عن قبوله وكفرت به، وإنّما صحّ وقوع (بلى) جواباً عن غير المنفي لأنّ معنى قوله: ﴿لَوْ أَنَّكَ اللَّهُ هَدَيْتَنِي﴾ ما هديت.

﴿كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ وصفوه بها لا يجوز عليه، فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا: ﴿هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) و﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾^(٢)، ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾^(٣)، ولا يبعد عنهم من ينسب فعل القبائح إلى الله ويثبت معه قدماء. وعن الباقر عليه السلام: ((كل إمام انتحل إمامة ليست له من الله فهو من أهل هذه الآية، قيل: وإن كان علويّاً فاطمياً؟ قال: وإن كان))^(٤). وعن الصادق عليه السلام: ((من حدّث عنا بحديث فنحن سائلوه عنه يوماً، فإن صدق علينا فإنّها يصدق على الله وعلى رسوله، وإن كذب علينا فإنّها يكذب على الله وعلى رسوله))^(٥)، لأنّنا إذا حدّثنا لا نقول: قال فلان وقال فلان، وإنّما نقول: قال الله وقال رسوله ثمّ تلا هذه الآية))^(٦).

[﴿رُجُوهُمْ مُسَوَّدَةٌ﴾ في موضع الحال إن كان ﴿تَرَى﴾ من رؤية البصر، ومفعول ثانٍ إن كان من رؤية القلب]^(٧).

(١) يونس: ١٨.

(٢) الزخرف: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٢٨.

(٤) الغيبة: ١١٣ باختلاف يسير.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) مجمع البيان ج ٧-٨: ٥٠٥ عن العياشي.

(٧) ساقطة من ب.

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ
﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعْبُدُونَ
اللَّهَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ
أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ
وَكَُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾

وقرئ: بمفازاتهم على الجمع، والمفازة والفوز واحد، ومن جمع فلان
المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها. وقرئ: ينجي و﴿وَيُنَجِّي﴾، وتفسير
المفازة قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أو أراد بسبب منجاتهم وهو
العمل الصالح، فقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ﴾ على التفسير الأول لا محل له لأنه كلام
مستأنف، وعلى الثاني محله نصب على الحال.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك أمرها وحافظها، وهو من
باب الكناية، لأن حافظ الخزان هو الذي يملك مقاليدها، والمقاليد: المفاتيح لا
واحد لها من لفظها.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، واعتراض
بينهما بأنه خالق الأشياء والمهيمن عليها، فلا يخفى عليه ما يستحق على الأعمال
من الجزاء، والذين جحدوا أن يكون الأمر كذلك ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.
﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ منصوب بـ﴿أَعْبُدُ﴾، و﴿تَأْمُرُونِي﴾ اعتراض، فالمعنى: أغير

الله أعبد بأمركم؟ وذلك حين قال له المشركون: استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك، أو منصوب بما يدلّ عليه جملة قوله: ﴿تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ لآته في معنى تعبدوني وتقولون لي: اعبد فكذلك: أغير الله تأمروني أن أعبد، وقرئ: ﴿تَأْمُرُونِي﴾ بالتشديد للإدغام، وجاز الإدغام لأنّ قبل النون المدغمة حرف لين وهو الواو، وتأمروني بنونين على الأصل، وتأمروني بحذف النون الثانية لأنّ الأولى علامة الرفع، وفتح الياء وإسكانها معاً سائغ.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ لئن أشركت ﴿وَأِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ مثله، أو أوحى إليك وإلى كل واحد منهم ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ كقوله: فكسانا حلّة، أي: كل واحد منا، واللام الأولى لتوطئة القسم، والثانية لام الجواب، وهذا الكلام إنّما أتى [إذ عبدوا غيره وأمروا نبيّه بعبادة غيره ثمّ نتههم على عظمته]^(١) على سبيل الفرض، والتقدير: فإنّ رسل الله منزّهون عن الشرك، والمحال يصحّ فرضه لغرض فكيف ما هو دونه؟.

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ ردّ لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنّه قال: لا تعبد ما أمرك بعبادته، بل إن كنت قد تبيّنت فاعبد الله، فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً عنه.

ولما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حقّ معرفته وقدره في نفسه حقّ تقديره، عظّمه حقّ تعظيمه، [قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ بمعنى: وما عظّموه حقّ تعظيمه]^(٢) إذ عبدوا غيره وأمروا نبيّه بعبادة غيره، ثمّ نتههم على عظمتهم على طريق التخييل فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) ساقطة من د.

وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ ﴿٦٨﴾ وهو تصوير لجلالته وعظمة شأنه لا غير، من غير أن تصور قبضة ولا يمين لا حقيقة ولا مجازاً، وأكد الأرض بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ قبل مجيء الخبر، ليعلم أن الخبر لا يقع عن أرض واحدة، والمعنى: والأرضون جميعاً ذوات قبضة يقبضهن قبضة واحدة، [أي: أنها بأجمعها مع عظمها لا تبلغ إلا قبضة واحدة]^(١) من قبضاته، كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة.

وقوله: ﴿مَطْوِيَّتٌ﴾ من الطي الذي هو ضد النشر، كما قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(٢) والعادة أن يطوى السجل باليمين. وقيل: قبضته: ملكه بلا منازع، وبيمينه: بقدرته^(٣)، وقيل: مطويات بيمينه: مغنيات بقسمه^(٤)، وهذا قول مرغوب عنه.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ ﴿٦٩﴾
وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ
آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ

(١) ساقطة من د.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) معاني القرآن للأخفش: ٤٩٧.

(٤) عن علي بن مهدي الطبري. الكشف والبيان ج: ٨: ٢٥١.

حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَّيْتُمْ نُفُوسَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
 وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا
 جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
 طِبِّئْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ
 فَبِعَمَلِهِمُ الْحَسَنَاتِ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ
 الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿فَصَعِقَ﴾: مات بحال هائلة.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هم الملائكة الأربعة، وقيل: هم الشهداء^(١).

﴿أُخْرَى﴾ أي: نفخة أخرى، ويحتمل النصب على قراءة من قرأ: نفخة
 واحدة، وحذفت نفخة لدلالة أخرى عليها، ولكونها معلومة بذكرها في غير
 مكان.

﴿يَنْظُرُونَ﴾ يقلّبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا عراه خطب،
 وقيل: ينتظرون ما يفعل بهم^(٢). ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في
 مكان لتحيرهم.

قد استعار سبحانه النور للحقّ والقرآن والبرهان في مواضع من كتابه^(٣)،

(١) عن سعيد بن جبیر، وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج ٥: ٣٣٦.

(٢) تفسير الماوردي ج ٥: ١٣٦.

(٣) الأعراف: ١٥٧، الصف: ٨.

وهذا من ذلك. والمعنى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ بما يقيمه فيها من الحق والعدل.

و﴿الْكِتَابُ﴾: صحائف الأعمال، وهو اسم الجنس.

﴿زُمرًا﴾ أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض.

﴿قَالُوا بَلَى﴾ أأنا الرسل وتلوا علينا الآيات والحجج، ولكن وجبت علينا

﴿كَلِمَةً﴾ ربنا: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾^(١) بسوء أعمالنا.

﴿مَتَوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فاعل ﴿يُسَّسُ﴾ واللام للجنس، والمخصوص بالذم

محذوف وهو جهنم.

﴿حَقَّ﴾ هي التي تحكي بعدها الجمل، والجملة المحكية بعدها هي

الشرطية، إلا أنَّ جزاءها محذوف، وإنَّما حذف لأنَّه في صفة ثواب أهل الجنة، فدلَّ

بحذفه على أنَّه شيء لا يحيط به الوصف، وموضعه بعد قوله: ﴿خَلْدِينَ﴾. وقيل:

﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [أي: مع فتح أبوابها]^{(٢)(٣)}.

والمراد بسوق أهل النار طردهم إليها بعنف وإهانة، والمراد بسوق أهل الجنة

سوق مراكبهم وحثها سراعاً بهم إلى منزل الكرامة والرضوان، وقيل: إنَّ أبواب

جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فيقدَّم فتحها بدليل

قوله: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^(٤)، فلذلك جيء بالواو، كأنَّه قيل: وقد فتحت

أبوابها^(٥).

(١) الأعراف: ١٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٣٦٤.

(٤) ص: ٥٠.

(٥) إعراب القرآن ج ٤: ٢٣.

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ دعاء لهم بالسلامة والخلود.

﴿طِبِّتُمْ﴾ بالعمل الصالح في الدنيا، وطابت أعمالكم وزكت ﴿فَأَذْخُلُوهَا﴾ جعل دخولهم الجنة مسبباً عن الطيب والزكاة، لأنها دار الطيبين، طهرها الله من كل دنس، فإنما يدخلها من اتصف بصفتها، وما أبعد أحوالنا عن اكتساب هذه الصفة إلا أن يتغمدنا الله بفضلِهِ ورحمته ﴿خَلَّيْنِ﴾ مقدِّرين الخلود.

والأرض عبارة عن المكان الذي اتخذوه مقراً ومبوءاً، وأورثناها: ملكناها، وجعلنا ملوكها وأطلق لنا التصرف فيها، تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يشاء مما يرثه.

﴿حَاقَبِينَ﴾ أي: طائفين ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ محدقين بها يذكرون الله بصفاته العلى.

﴿وَقُضِيَ﴾ بين الخلائق بالعدل، وقيل: بين الأنبياء والأمم^(١)، وقيل: بين أهل الجنة والنار^(٢).

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على قضائه بيننا بالحق، وقيل: إنه من كلام الله عز اسمه^(٣)، وقد قال في ابتداء الخلق: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٤) تعليماً لخلقهِ في ابتداء كل أمر بالحمد وختمه بالحمد.

(١) عن الكلبي. تفسير الماوردي ج ٥: ١٣٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٣٦٤.

(٣) عن قتادة. الكشف والبيان ج ٨: ٢٦٠.

(٤) الانعام: ١.

سورة غافر

مكية إلا آيتين، خمس وثمانون آية كوفي، اثنتان بصري، عدّ الكوفي ﴿حَمَّ﴾ تنزيلُ الْكِتَابِ ﴿،﴾ يُسَبِّحُونَ ﴿،﴾ كُتِبَتْ تُشْرِكُونَ ﴿،﴾ وعدّ البصري ﴿كَاطِمِينَ﴾. وعن أنس عن النبي ﷺ: ((الحواميم دياج القرآن))^(١)، وعن أبي: ((من قرأ (حم المؤمن) لم يبق روح نبي ولا صديق ولا مؤمن إلا صلّوا عليه واستغفروا له))^(٢)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (حم المؤمن) في كل ليلة ثلاث مرات غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وألزمه كلمة التقوى، وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ① تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ② غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ③ مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ ④ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٢: ٤٣٧.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ٢٦٢.

(٣) نواب الأعمال: ١١٣ باختلاف يسير.

بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾

قرئ بإمالة الألف من (حا) وبالتفخيم.

و﴿التَّوْبِ﴾ والتوب والأوب أخوات في معنى الرجوع.

﴿الطَّوْلِ﴾ الإنعام الذي يطول لبثه على صاحبه، وطال عليه وتطول أي:

تفضل.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ معرفتان وإضافتهما حقيقية، لأنه لم يرد بهما
حدوث الفعلين في الحال أو الاستقبال، بل أريد ثبوت ذلك ودوامه فهما صفتان.

وأما ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ فتقديره: شديد عقابه، وقيل: إنه بدل^(١)، والوجه
أن يكون صفة، وإنها حذف الألف واللام من ﴿شَدِيدِ﴾ ليوافق ما قبله وما بعده
لفظاً، وذكر بعد ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ لثلا يعول المكلف على الغفران بل يكون مرجحاً
بين الرجاء والخوف.

و﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ ذي النعم السابغة على عباده ديناً ودنيا.

و﴿مَا يَجْدِلُ﴾ أي: ما يخاصم في دفع حجج الله إلا الكفار ﴿فَلَا يَغْرُرُكَ﴾
تَقْلُبُهُمْ﴿ بالتجارات والمكاسب ﴿فِي أَلْبَدٍ﴾ فَإِنَّ مصير ذلك إلى الزوال والنفاد،
فلا يفوتون الله على حال.

ثم ضرب سبحانه لتكذيبهم بالرسول وجداهم بالباطل مثلاً ما كان من نحو
ذلك من الأمم الماضية فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ رسولهم ﴿وَالْأَخْرَابُ﴾
الذين تحزبوا على أنبيائهم وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من هذه الأمم ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ لِيَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ قَتْلِهِ وَإِهْلَاكِهِ أَوْ تَعْذِيهِ، وَيَقَالُ لِلْأَسِيرِ: أَخِيذْ.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي: قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ هذا تقرير فيه معنى التعجب.

وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ يَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنِي وَأُخِيئْنَا أَتَيْنِي فَأَعْرَفْنَا بِدُؤْبَانَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ في محل الرفع بدل من ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، أي: ومثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار، والمعنى: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب إهلاكهم في الآخرة بعذاب

النار، أو في محلّ النصب على حذف لام التعليل وإيصال الفعل.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كفار مكة، أي: كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء، لأنّ علة واحدة تجمعهم أنّهم من أصحاب النار، وقرئ: كلمات على الجمع.

ثمّ ذكر سبحانه بعد ذكر حال الكفار حال المؤمنين الأبرار وأنّ الملائكة المقربين يمدونهم بالاستغفار فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ على عواتقهم امتثالاً لأمر الله ﴿وَمَنْ﴾ حول العرش من الملائكة المطيفين به وهم الكروبيون وسادة الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وينزهونه عما يصفه به هؤلاء المجادلون، أو يسبحونه بالتسبيح المعهود، أي يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ وهذا المضمّر^(١) في محلّ الرفع بياناً لـ ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أو نصب حالاً.

﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾ الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى، والأصل: وسع كل شيء رحمتك وعلمك، فأسند الفعل إلى صاحبهما وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة، كأن ذاته سبحانه رحمة وعلم واسعان كل شيء.

﴿فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ﴾ علمت منهم التوبة واتباع ﴿سَبِيلِكَ﴾ وسبيل الله: سبيل الحقّ الذي دعا عباده إليه. وفي هذا دلالة على أنّ قبول التوبة وإسقاط العقاب عندها تفضّل من الله تعالى، إذ لو كان واجباً لما احتيج فيه إلى الدعاء والسؤال.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [أي: العقوبات]^(٢)، سيّما سيئات اتساعاً، أو جزاء السيئات فحذف المضاف.

(١) في ب: الضمير.

(٢) ساقطة من ج.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ﴾ يوم القيامة فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ﴾ والتقدير: لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم، فاستغنى بذكرها مرة. و﴿إِذْ نَدَعُونَ﴾ منصوب بالمقت الأول، والمعنى: إنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم الأمانة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون وتختارون عليه الكفر، أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار، إذ أوقعتمكم فيها باتباعكم هواهن، وقيل: معناه: لمقت الله إيتاكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض، و﴿إِذْ نَدَعُونَ﴾ تعليل^(١). والمقت: أشد بغض، فوضع في موضع أشد الإنكار.

﴿أَتْنَيْنِ﴾ أي: إمامتين وإحياءتين، أو موتتين وحياتين أراد بالإمامتين: خلقهم أمواتاً أولاً وإمامتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحياءتين: الإحياء الأولى وإحياء البعث، وقيل: الإمامتان هما: التي في الدنيا بعد الحياة والتي في القبر قبل البعث، والإحياءتان هما: التي في القبر للمساءلة والتي في البعث^(٢).

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ التي اقترناها في الدنيا.

﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ أي: إلى نوع من الخروج ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ قط، أو اليأس حاصل دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه.

﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى الخروج بوجه من الوجوه بسبب أنكم كفرتم [بالتوحيد]^(٣) وآمتم بالإشراك ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكم عليكم بعذاب الأبد.

(١) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج ٥: ١٤٥.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ٢٤: ٣٢.

(٣) ساقطة من ب.

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُزِيلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

﴿ءَايَاتِهِ﴾ أي: مصنوعاته الدالة على كمال قدرته وتوحيده ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ وما يتفكر في حقيقتها ولا يتعظ بها ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ أي: يرجع إلى الله ويقبل إلى طاعته، فإن المعاند لا سبيل إلى تذكره واتعاظه. ثم قال لمن ينيب: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ أي: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ ذلك أعداؤكم الكفار.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ﴾ ثلاثة أخبار لقوله: ﴿هُوَ﴾ مترتبة على قوله: ﴿الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾، أو أخبار مبتدأ محذوف، وهي مختلفة تعريفاً وتنكيراً. و﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ مثل قوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾^(١) وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش، وهي دليل على عزته وملكوته. وعن سعيد بن جبیر:

(سما فوق سماء والعرش فوقهن)^(١)، وقيل: هي درجات ثوابه التي ينزلها أنبياءه وأوليائه في الجنة^(٢)، وقيل: هو عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه، كما أنّ ذا العرش عبارة عن ملكه^(٣).

﴿يَلْقَى الرُّوحَ﴾ الذي هو سبب الحياة للقلب.

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ يريد الوحي الذي هو أمر بالخير، وقيل: إنّ الروح جبرائيل^(٤).

﴿لِنُنْذِرَ﴾ الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح، وقرئ: لتنذر بالتاء لأنّ الروح مؤنث، أو على خطاب النبي ﷺ.

﴿يَوْمَ النَّالِاقِ﴾ يوم القيامة لأنّ الخلائق تلتقي فيه، أو يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون.

والمعنى: إنهم كانوا يظنون إذا استتروا أنّ الله لا يراهم فهم اليوم صائرون من البروز إلى حال لا يتوهمون ذلك.

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به، أي: ينادي مناد: لمن الملك اليوم؟ فيجيبه أهل الحشر: لله الواحد القهار، أو يكون المنادي هو المجيب. ولما قرر أنّ الملك لله وحده في ذلك اليوم عدّد نتائج ذلك، وهي أنّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ تجزى ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ وأن ﴿لَا ظُلْمَ﴾ من أحد على أحد، ولا ينقص من ثواب أحد، ولا يزداد في عقاب أحد، وأنّ الحساب لا يبطئ لأنّه سبحانه لا يشغله حساب عن حساب.

(١) تفسير الماوردي ج ٥: ١٤٧.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ٢٦٩.

(٣) الكشف ج ٤: ١٥٦.

(٤) عن الضحاك. تفسير الماوردي ج ٥: ١٤٨.

﴿الْأَرْزَاقَ﴾: الدانية وهي القيامة، لأن كل ما هو آت قريب دان.

و﴿كَظَمِينَ﴾ نصب على الحال من أصحاب القلوب، لأن المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها، ويجوز أن يكون حالاً من القلوب، وأن القلوب كاظمة على كرب وغم فيها مع بلوغها الحناجر، ولما وصفها بالكظم الذي هو من أوصاف العقلاء جمع الكاظم جمع سلامة.

و﴿يُطَاعُ﴾ مجاز في الشفيع، لأن الطاعة لا تكون إلا لمن فوقك.

والخاتمة: مصدر بمعنى الخيانة، كالعافية بمعنى المعافاة، أو صفة للنظرة، والمراد: استراق النظر إلى ما لا يحل، وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ خبر من أخبار ﴿هُوَ﴾ في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ﴾ مثل: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ [ولكن قد علل سبحانه ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾] ^(١) بقوله: ﴿لِنُذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ فبعد لذلك عن أخواته.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ لاستغناؤه عن الظلم.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء يعني آلهتهم ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ وهذا تهكم بهم، لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ

﴿٢٣﴾ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ وَهَمَنَنْ وَقُرُونُ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَابٌ
 ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا
 فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ
 إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ
 ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا
 يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

﴿هُم﴾ في ﴿كَانُوا هُمْ﴾ فصل، والفصل لا يقع إلا بين معرفتين، فالوجه
 هنا أنّ ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ ضارِع المعرفة في أنّه لا يدخله الألف واللام فأجري مجراه،
 وقرئ: أشد منكم قوة. والمراد بالآثار: حصونهم وقلاعهم وعددهم مما يوصف
 بالشدة.

﴿فَقَالُوا﴾ هذا ﴿سَحِرٌ كَذَابٌ﴾ فسموا السلطان المبين سحراً وكذباً.
 ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالدين الحق، أو بالنبوة.
 ﴿قَالُوا اقْتُلُوا﴾ عن ابن عباس: (أي أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً)^(١)،
 يريد أنّ هذا قتل غير القتل الأول.

﴿فِي ضَلَالٍ﴾ أي: ضياع وذهاب ولم يجد عليهم.
 ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ فيه دلالة على خوف فرعون من موسى عليه السلام ومن دعوته ربه،
 وأن قوله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ تمويه منه على قومه، وإيهام أنهم كانوا هم المشيرين
 عليه بأن لا يقتله، وما كان يكفه عن ذلك إلا ما في نفسه من الفزع، وقرئ: وأن

يظهر بالواو وفتح الياء، الفساد بالرفع، والمعنى: إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معاً.

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ. وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَاوُدَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾ أو صلة لـ ﴿يَكْتُمُ﴾ أي: ﴿يَكْتُمُ

إِيمَانَهُ﴾ من آل فرعون، واسمه حبيب أو خربيل.

﴿أَن يَقُولَ﴾ لأن يقول، أي: أترتكبون قتل رجل بأن يقول الكلمة الصادقة

التي نطق بها وهي قوله: ﴿رَبِّيَ اللَّهُ﴾ مع أنه أحضر لتصحيح قوله بَيِّنَاتٍ عدّة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده؟! استدرجهم إلى الاعتراف به،

ثم احتج عليهم على طريقة التقسيم بأن قال: لا يخلو من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فإن ﴿يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: يعود عليه ضرر كذبه ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ وفي ذلك البعض هلاككم.

وهذا كلام من ينصف في مقاله لسمع منه، لأنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد، ولكنه أردفه ﴿يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ ليهضمه بعض حقه في الظاهر، وليرهم أنه ليس بكلام من يتعصب له.

﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عالين في أرض مصر على بني إسرائيل.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله، يعني: لا أستصوب إلا قتله، وهذا الذي تقولونه غير صواب ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾ بهذا الرأي ﴿إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ والصواب عندي.

﴿مَثَلُ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: مثل أيامهم، لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسر الأحزاب بقوم نوح وعاد وثمود، ولم يلتبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار، اقتصر على الواحد من الجمع؛ لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك، كقوله:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعْفُوا^(١)

ودأبهم: دؤوبهم في عملهم من [الكفر]^(٢) والتكذيب والمعاصي، وكون ذلك دائباً دائماً منهم لا يفترون عنه، ولا بد من حذف مضاف أي: مثل جزاء دأبهم، وإنما انتصب ﴿مَثَلُ﴾ الثاني بأنه عطف بيان لمثل الأول، لأن آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح، ولو قلت: أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا

(١) من أبيات الكتاب ج ١: ٢١٠ التي لا يعرف قائلها، وبقيته: فإن زمانكم زمن خيصوص.

(٢) ساقطة من ب.

عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام، فسرى ذلك الحكم إلى أول ما تناولته الإضافة.
﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ فتدميرهم كان عدلاً منه إذ استوجبه بأعمالهم.
والتنادي: ما حكاه الله في سورة الأعراف من قوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾^(١)، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾^(٢). وقيل: ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور^(٣)، وقيل: ينادى فيه كل أناس بإمامهم^(٤).
﴿يَوْمَ تُؤْتَوْنَ﴾ أي: يوم تعرضون عن النار ﴿مُدِيرِينَ﴾ فارين مقدرين أنّ الفرار ينفعكم.

﴿يُؤْسَفُ﴾ هو يوسف بن يعقوب، قيل: إنّ فرعون موسى هو فرعون يوسف، عمّر إلى زمنه^(٥)، وقيل: هو فرعون آخر^(٦).
﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ على نفسه كافر ﴿مُرْتَابٌ﴾ شك في التوحيد ونبوة الأنبياء.

الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرُ مَقَنَّا
عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ
مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ
الْأَسْبَابِ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي

(١) الأعراف: ٤٤.

(٢) الأعراف: ٥٠.

(٣) عن الحسن. تفسير الماوردي ج ٥: ١٥٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٣٧٣.

(٥) عن وهب. الكشف والبيان ج ٨: ٢٧٥.

(٦) ينظر: الكشف والبيان ج ٨: ٢٧٥.

لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُوبَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ لآته في معنى: كل

مصرف.

وفاعل ﴿كَبُرَ﴾ ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ على اللفظ، ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ﴾ مبتدأ [و﴿يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتْنَهُمْ﴾ خبراً^(١)]، أو يكون قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ على حدّ قولك: نعم رجلاً زيد. والمخصوص بالذم محذوف وهو جداهم، وتكون الجملة خبر المبتدأ، ولا يكون جداهم فاعلاً لـ ﴿كَبُرَ﴾ فيمتنع حذفه على ما ذكره جار الله^(٢).

وقرئ: (قلب) بالتونين، وجاز وصف القلب بالتكبر والتجبر لآته موضعها [ومنبعها]^(٣)، كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهُ أَتَمَّ قَلْبُهُ﴾^(٤)، والإثم هو الجملة، أو يكون على حذف المضاف أي: على كل ذي قلب ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، ومن قرأ على

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) الكشف ج ٤: ١٦٧.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) البقرة: ٢٨٣.

الإضافة فالمعنى: يطيع الله على القلوب إذا كانت قلباً من كل متكبر، وحذف (كل) لتقدم ذكره كما جاء في المثل: (ما كل سوداء ثمرة ولا بيضاء شحمة)^(١) فحذف (كل) لتقدم ذكره.

والصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، من صرح الشيء إذا ظهر. وهامان: وزير فرعون وصاحب أمره.

و﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾: طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها، وكل ما أوصلك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه.

وفائدة التكرير أنه لما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السماوات أهتمها ثم أوضحها.

﴿فَأَطْلَعَ﴾ قرئ بالرفع والنصب، للعطف على ﴿أَتْلُغُ﴾، والنصب على جواب الترجي تشبيهاً للترجي بالتمني.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك التزين وذلك الصد ﴿زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾، وقرئ: صدَّ على البناء للفاعل بمعنى: أنه صدَّ نفسه أو صدَّ غيره.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى عليه السلام ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: خسارة لا ينفعه.

ثم عاد إلى ذكر نصيحة مؤمن آل فرعون فأجل لهم بأن قال: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

ثم فسر فافتتح بزم الدنيا وتحقير شأنها، لأنَّ الركون إليها أصل لكل شر

وإثم، وجالب لسخط الله وعقابه، ثم ثنى بتعظيم الآخرة وإنها ﴿دَارُ الْفَكَرِ﴾ والإقامة.

ثم ذكر الأعمال السيئة والحسنة وما يستحق على كل واحدة منهما. وقوله: ﴿يَغْيِرْ حِسَابَ﴾ في مقابل ﴿إِلَّا مِثْلَهَا﴾، معناه: أن جزاء السيئة له حساب وتقدير، فلا يزيد على المستحق، وأما جزاء العمل الصالح فغير تقدير وحساب، بل هو زائد على المستحق بما شئت من الزيادة والكثرة.

وَيَقُومِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾
تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبِ التَّسْرِيفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَخَافَ يُثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

يقال: دعاه إلى الشيء وللشيء، كما قيل: هداه إلى الطريق وللطريق.

﴿لَيْسَ لِي بِهِ﴾ أي: بربوبيته ﴿عِلْمٌ﴾ والمراد بنفي العلم بنفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلهاً؟!.

﴿لَا جَرَمَ﴾ سياقه على مذهب البصريين أن يجعل (لا) رداً لما دعاه إليه قومه، وجرم فعل بمعنى حق، و(أن) مع ما في حيزه فاعله، أي: حق ووجب بطلان دعوته، أو بمعنى كسب أي: كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته، على معنى:

إنَّه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته، وقيل: لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع^(١)، كما أنَّ (بدأ) فعل من التبديد وهو التفريق، فكما أنَّ معنى لا بد أنَّك تفعل كذا بمعنى لا بد لك من فعله فكذلك ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ هُمُ النَّارُ﴾^(٢) بمعنى لا قطع لذلك أي: يستحقّون النار أبداً، لا انقطاع لاستحقاقهم، ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام، أي: لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقاً، ومعناه: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ إلى نفسه قط، ولا يدعي الإلهية، وقيل: ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة^(٣). جعل الدعوة التي لا منفعة لها كلا دعوة، أو سمّيت الاستجابة باسم الدعوة كما سمّي الفعل المجازي عليه باسم الجزاء في قولهم: ((كما تدين تدان))^(٤).

﴿فَسْتَذْكُرُونَ﴾ عند نزول العذاب بكم، أو يوم القيامة صحّة ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النصح، وأسلم ﴿أَمَرْتُ إِلَى اللَّهِ﴾ وأتوكل عليه.

﴿النَّارُ﴾ بدل من ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف أي: هو النار، أو مبتدأ خبره ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أي: يعذبون بها في هذين الوقتين، وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم، فيما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب، أو بنفس عنهم، فإذا قامت القيامة قيل لهم: ادخلوا يا آل فرعون أشدّ عذاب جهنم.

وقرئ: ﴿أَدْخِلُوا﴾ أي: يقال لخزنة جهنم: أدخلوهم. وفي هذه الآية دلالة على صحّة عذاب القبر.

(١) عن المفضل. تفسير الماوردي ج ٥: ١٥٧.

(٢) النحل: ٦٢.

(٣) عن السدي. معالم التنزيل ج ٤: ٢٩.

(٤) الخصال: ٣٠٣، مصنف عبد الرزاق ج ١١: ١٧٩.

وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا
نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا
إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ
لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿١٩﴾
قَالُوا أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا
فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٠﴾

واذكر وقت تحاجهم في النار.

﴿تَبَعًا﴾ أي: أتباعاً، جمع تابع ومثله خدم جمع خادم، أو ذوي تبع أي: أتباع، أو هو وصف بالمصدر.

و﴿كُلٌّ﴾ معرفة، والتنوين عوض من المضاف إليه، أي: كلنا فيها لخزنة جهنم، ولم يقل: لخزنتها لأن في ذكر جهنم تهويلاً، ويحتمل أن تكون جهنم هي أبعد النار قعرًا، من قولهم: بئر جهنم: بعيدة القعر.
﴿أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ﴾ إلزام للحجة وتوبيخ.

﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم فإننا لا ندعو إلا بإذن الله ولم يؤذن لنا فيه.

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهُدُ ﴿٢١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي
إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٢٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِلأُولَى الْأَلْبَابِ
﴿٢٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ

يَحْمَدُ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ
 فِيَّ آيَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتْلُهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا
 كِبَرًا مَّا هُمْ بِسَلْبِغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ﴿٥٧﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
 النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي
 الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا
 الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ لَرَبِّ
 فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ
 ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦١﴾

أي: تغلب ﴿رُسُلَنَا﴾ في الدارين بالظفر على مخالفهم وبالْحِجَّة، ولو غلبوا
 في بعض الأحيان فالعاقبة لهم، واليوم الثاني بدل من الأول.
 و﴿الْأَشْهَدُ﴾: جمع شاهد وهم الملائكة والأنبياء والأولياء.
 وقرئ: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ بالتاء والياء.
 والمراد ب﴿الْهَدَى﴾: ما آتاه الله في باب الدين من المعجزات والتوراة
 والشرائع.

﴿وَأَوْزَنَّا﴾ وتركنا على ﴿بَيْتِ إِسْرَءِيلَ﴾ من بعده ﴿الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة.
 ﴿هُدًى وَذِكْرًى﴾ أي: إرشاداً وتذكرة، وهما مفعول لهما أو حالان.
 ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ في ضمان نصرته رسله، واستشهد بحال
 موسى ونصرته على فرعون وجنوده، وإبقاء آثار هدايه في بني إسرائيل، فإن الله

ينصرك كما نصره.

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ﴾ تعبده سبحانه بالدعاء والاستغفار ليزيد في درجاته، ويصير سنة لأمته.

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: تكبر، وهو إرادة التقدم والرئاسة، وأن لا يكون فوقهم، ولذلك عادوك ودفعوا معجزاتك، وذلك أَنَّ النبوة تحتها كل ملك ورئاسة، أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك.

﴿مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ أي: ببالغي موجب الكبر ومقتضيه، وهو متعلق إرادتهم من الرئاسة أو النبوة.

﴿فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ﴾ من شرهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم، وفيه تهديد.

ولما كان جدالهم وحجاجهم في آيات الله مشتملاً على إنكار البعث، حجّوا بخلق السماوات والأرض، لأنهم كانوا يقرّون بأنّه سبحانه خالقهما، وخلق الناس بالقياس إليهما أهون. ثم ضرب ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ مثلاً للمحسن والمسيء. وقرئ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا بد من مجيئها، وليس بمرتاب فيها لأنّه لا بد من الجزاء. ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إذا اقتضت المصلحة إجابتكم، وقيل: معناه: اعبدوني أثبتكم^(١). وفي الحديث: ((الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية))^(٢). وعن الباقر عليه السلام: ((هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء))^(٣).

(١) معالم التنزيل ج ٤: ٣١.

(٢) الأدب المفرد: ٢٤٩، وينظر: الكافي ج ٢: ٤٦٧.

(٣) الكافي ج ٢: ٤٦٦.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ بِمَحَدُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ
أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي
وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
رَأْبٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا
أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ
وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٨﴾

﴿مُبْصِرًا﴾ من الإسناد المجازي، ومعناه: لتبصروا فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ لا يوازيه فضل.

وكرر ذكر ﴿النَّاسِ﴾ تخصيصاً لكفران النعم، وأنتهم هم الذين لا يشكرونه.
﴿ذَلِكُمْ﴾ المعلوم المختص بهذه الأفعال هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهي أخبار مترادفة، أي: هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وإنشاء الأشياء والوحدانية.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأصنام؟! ثم ذكر أن كل من جحد ﴿رَبَّائِنْتَ إِلَهَ﴾ أفك كما أفكوا.

ثم وصف نفسه بأفعال آخر خاصة به، وهي أنه جعل ﴿الْأَرْضَ﴾ مستقراً ﴿وَالسَّمَاءَ يَنكأَ﴾ أي: قبة - ومضارب العرب: أبنيتهم - لأن السماء في منظر العين كالقبة المضروبة على الأرض.

﴿فَاذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ الطاعة من الشرك في دعائه وعبادته، قائلين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَن أُسْلِمَ﴾ أي: استسلم لأمر ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ متعلق بفعل محذوف، والتقدير: ثم يبيحكم لتبلغوا، وكذلك ﴿لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾، ويفعل ذلك ﴿لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الموت، أو يوم القيامة.

وقوله: ﴿مِّن قَبْلُ﴾ يريد: من قبل الشيخوخة، أو من قبل هذه الأحوال^(١).

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هذه الأغراض المذكورة، وتتفكرون في العبر والحجج.

﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا﴾ يكونه من غير كلفة، جعل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أنه لا يمتنع عليه شيء من المقدورات، فكأنه قال: فلذلك الاقتدار إذا قضى أمراً يتيسر له ولم يمتنع عليه، وكان أهون شيء وأسرعه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يَصْرِفُونَ ﴿١١﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِكَتِبِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧٢﴾
 فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ
 كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ
 نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٥﴾ ذَلِكَكُمْ بِمَا
 كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٦﴾
 أَذْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَنُورَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾
 ﴿أَنْ يَصْرَفُونَ﴾ أي: من أي جهة يقلبون عن الحق إلى الضلال.

﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ المعنى على ﴿إِذْ﴾ إلا أن أخباره سبحانه لما كانت
 متيقنة، عبر عن الأمور المستقبلية منها بلفظ ما قد كان ووجد، و﴿يُسْحَبُونَ﴾
 حال.

﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ في الماء الذي انتهت حرارته ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾
 يقذفون فيها وتوقد بهم.

﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أي: تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئاً، وما كنا
 نعبد بعبادتهم شيئاً.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوها
 أو طلبتهم لم يتصادفوا.

﴿ذَلِكَ﴾ الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ والمرح ﴿بِغَيْرِ
 الْحَقِّ﴾ وهو الشرك وعبادة الأوثان.

﴿فِئَسَ مَنُورَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [مناكم أي: جهنم] ^(١).

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمًا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ
تَوَفِّيَتَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ فَخِصَى بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ
وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُزَيِّدُكُمْ ءَايَتِهِ فَآيَ
ءَايَتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾

الأصل: فإن نرينك، و(ما) مزيدة لتأكيد معنى الشرط، ولذلك ألحقت
النون بالفعل، لا يقال: إن تكرمني أكرمك، ولكن: إما تكرمني أكرمك.
وقوله: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يتعلق بـ ﴿تَوَفِّيَتَكَ﴾، وجزاء ﴿تُرِيدُكَ﴾ محذوف
وتقديره: فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك وهو القتل يوم
بدر فذاك ﴿أَوْ تَوَفِّيَتَكَ﴾ قبل أن يحل بهم ذلك.

﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فنفعل بهم ما يستحقونه ولا يفوتونا.
﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ ذكرهم وأخبارهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ﴾ ذكرهم.

﴿لَتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ إلى الحج والغزو والهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين
أو طلب علم، وهذه أغراض دينية تتعلق بها إرادة الحكيم، فأما الأكل فمن جنس
المنافع المباحة التي لا تتعلق بها إرادته، وعلى الأنعام ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البر والبحر

﴿تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَرُبِّكُمْ ءَايَتُهُ﴾ أي حججه وبيّناته.

﴿فَأَيُّ ءَايَتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ توبيخ لهم على الجحد.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ
وَكُفِّرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ
إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

آثارهم: أبنيتهم العظيمة التي بنوها، وقصورهم ومصانعهم، وقيل: مشيهم
بأرجلهم لعظم أجرامهم^(١).

﴿فَمَا أَغْنَى﴾: (ما) نافية أو استفهامية في محل نصب، و(ما) الثانية مصدرية
أو موصولة في محل رفع معناه: أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم.
﴿فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ قيل فيه وجوه:

أحدها: أنه ورد على طريق التهكم، كما في قوله: ﴿بَلِ إِذَا دَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي
الْآخِرَةِ﴾^(٢) وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون: لا نبعث، وكانوا يفرحون

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٤: ٥٧.

(٢) النمل: ٦٦.

بذلك ويدفعون به علم الأنبياء^(١).

والآخر: إنّ المراد علم الفلاسفة كانوا يصغّرون علم الأنبياء إلى علمهم، وعن سقراط أنّه قيل: ائت موسى ﷺ وكان في زمانه، فقال: (نحن قوم مهديون، فلا حاجة بنا إلى من يهديننا)^(٢).

وقيل: إنّ الفرح للرسول^(٣). والمعنى: إنّ الرسل لما رأوا استهزاءهم بالحقّ وجهلهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه.

﴿وَحَاقَ﴾ بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم.

وقيل: إنّ المراد علمهم بأمور الدنيا^(٤) كما قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٥) فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات لم يلتفتوا إليها، إذ كانت باعثة على رفض الشهوات وترك الدنيا، واعتقدوا أن لا علم أنفع من علمهم ففرحوا به.

﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَتُهُمْ﴾ أي: لم يصحّ ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم ﴿لَمَّا رَأَوْا﴾ بأس الله.

﴿سُنَّتَ اللَّهِ﴾ بمنزلة وعد الله ونحو ذلك من المصادر المؤكدة.

﴿هُنَالِكَ﴾ مكان مستعار للزمان، أي: وخسروا وقت رؤية البأس، وكذلك قوله: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَايِلُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ أي: خسروا وقت مجيء أمر الله، أو وقت القضاء بالحقّ.

(١) عن مجاهد. معالم التنزيل ج ٤: ٣٢.

(٢) الكشف ج ٤: ١٨٢، وفيه: قوم مهذبون... من يهذبنا.

(٣) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج ٥: ١٦٥.

(٤) عن السدي. الكشف ج ٤: ١٨٢.

(٥) الروم: ٧.

سورة فصلت

مكية آياتها أربع وخمسون آية كوفي، اثنتان بصري، عدّ الكوفي ﴿حم﴾ آية، ﴿عَادٍ وَثُمُودَ﴾ آية.

وفي حديث أبي: ((ومن قرأ (حم السجدة) أعطي من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (حم السجدة) كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً، وعاش في هذه الدنيا مغبوطاً محموداً))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كَتَبْتُ فَصَّلْتُ
ءَايَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ

(١) الكشف ج ٤: ٢٠٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٣.

لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
كُفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ
غَيْرُ مَعْتُونٍ ﴿٨﴾

﴿تَنْزِيلٌ﴾ مبتدأ و﴿كِتَابٌ﴾ خبره، أو ﴿تَنْزِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف
و﴿كِتَابٌ﴾ بدل من ﴿تَنْزِيلٌ﴾، أو خبر بعد خبر.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على المدح، أي: أعني بالكتاب المفصل قرآنًا بهذه
الصفة، وقيل: نصب على الحال^(١) أي: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ في حال كونه قرآنًا عربيًّا
﴿لِقَوْمٍ﴾ عرب ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم
العربي، لا يلتبس عليهم شيء منه، وتعلق اللام بـ ﴿فُصِّلَتْ﴾ أو بـ ﴿تَنْزِيلٌ﴾، أي:
فُصِّلَتْ آياته لهم، أو تنزيل من الرحمن لأجلهم، وأجود منهما أن يكون صفة مثل ما
قبله وما بعده، أي: قرآنًا عربيًّا كائنًا لقوم عرب لثلا يفرق بين الصفات والصلات.
﴿بَشِيرًا﴾ يبشِّر المؤمن بما تضمَّنه من الوعد ﴿وَنَذِيرًا﴾ ينذر الكافر بما فيه من
الوعيد ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لا يقبلون ولا يطيعون.

﴿قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرَةٍ﴾ أي: في أغطية ﴿وَمَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ فلا نفقه ما نقول.
﴿وَفِي ءَاذَانِنَا﴾ ثقل وصمم على استماع القرآن.
﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ ساتر وحاجز منيع، وهذه تمثيلات لنُبُوِّ قلوبهم
عن قبول الحق.

﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك إنا ﴿عَمَلُونَ﴾ [على ديننا، أو فاعمل في ابطال أمرنا

إِنَّا عَامِلُونَ^(١) في إبطال أمرك.

والفائدة في زيادة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا﴾ أَنَّهُ لَوْ قَالَ: وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ لَكَانَ الْمَعْنَى: أَنَّ حِجَابًا حَاصِلًا وَسَطَ الْجِهَتَيْنِ، وَمَعْنَى ﴿مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: إِنَّ الْحِجَابَ ابْتِدَاءً مِنَّا وَابْتِدَاءً مِنْكَ، وَالْفَرَاغُ لْجِهَتِكَ، وَجِهَتُنَا مُسْتَوْعِبَةٌ بِالْحِجَابِ لَا فَرَاغَ فِيهَا.

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ جواب لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾، لِأَنَّ الْمَعْنَى: إِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ وَقَدْ أَوْحَى ﴿إِلَى﴾ دُونَكُمْ، وَإِذَا صَحَّتْ بِالْوَحْيِ نَبَوِّي وَجِبَ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعِي.

﴿فَاسْتَقِيمُوا﴾ فَاسْتَوُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالتَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ ﴿وَأَسْتَغْفِرُوهُ﴾ مِنَ الشَّرِكِ.

وخصَّ من أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونًا بالكفر بالآخرة، لِأَنَّ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْإِنْسَانِ مَالُهُ، فَإِذَا بَذَلَهُ لِلَّهِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى ثَبَاتِهِ فِي الدِّينِ وَصَدَقَ نِيَّتُهُ، وَفِيهِ حَتٌّ شَدِيدٌ عَلَى أَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَتَخْوِيفٌ مِنْ مَنَعِهَا، حَيْثُ جَعَلَهُ مَقْرُونًا بِالْكَفْرِ.

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أَي: غَيْرُ مَقْطُوعٍ بَلْ هُوَ مُتَّصِلٌ دَائِمٌ، أَوْ هُوَ خَالِصٌ مِنَ الْمَنَةِ.

قُلْ أَيُّكُمْ لَكَفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلُونَ لَهُ
أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ
فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى

إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا
طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ
أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ
وَتَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ
كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا
مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴿١٥﴾

﴿أَيْنَكُمْ التَّكْفُورُونَ﴾ استفهام تعجب، أي: كيف تستجيزون أن تكفروا بمن
﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي﴾ مقدار ﴿يَوْمَيْنِ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ أندَادًا﴾ أمثالاً وأشباهاً تعبدونهم.

﴿ذَلِكَ﴾ الذي قدر على الخلق ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ومالك التصرف فيهم.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض جبالاً ﴿رَوَاسِيَ﴾ أي: ثوابت.

﴿مِنْ قَوْفِهَا﴾ جعلها فوق الأرض لتكون منافعها حاصلة لمن طلبها.

﴿وَوَرَّكَ فِيهَا﴾ وأكثر خيرها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: أرزاق أهلها ومنافعهم ومعاشهم ﴿فِي﴾ تنمية

﴿أَزْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [من حين ابتداء الخلق]^(١)، كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة
مستوية بلا زيادة ولا نقصان.

وقرى: ﴿سَوَاءٌ﴾ بالحركات الثلاث، فالجر على الوصف لـ ﴿أَيَّامٍ﴾،
والنصب على استوت سواء أي: استواء، والرفع على هي سواء.

وتعلق قوله: ﴿لِلسَّالِينَ﴾ بمحذوف فكأنه قال: هذا الحصر لأجل من سأل
في كم خلقت الأرض وما فيها، أو يقدر، أي: قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين لها
المحتاجين إليها من المقتاتين.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ من قولك: استوى إلى مكان كذا: إذا توجه إليه
توجهاً لا يلوي على شيء، وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج، ونحوه
قولهم: استقام إليه وامتد إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾^(١). والمعنى:
ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من غير صارف
يصرفه عن ذلك.

ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان، وقولهما: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أنه أراد
تكوينهما وإنشاءهما فلم تمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما، وليس هناك أمر على الحقيقة
ولا جواب، وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل، بمعنى: إنهما كانتا كالمأمور المطيع
إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع، وخلق سبحانه جرم الأرض غير مدحوة، ثم دحاها
بعد خلق السماء، كما قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٢) فالمعنى: اتيا على ما
ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف: اتيا يا أرض مدحوة قراراً لسكانك،
واتيا يا سماء سقفاً مبنياً عليهم، ومعنى الإتيان: الحصول والوقوع، كما يقال: أتى
عمل فلان مقبولاً.

وقوله: ﴿طَوَّعًا أَوْ كَرْهًا﴾ مثل للزوم تأثير قدرته فيهما، وانتصابهما على الحال،

(١) فصلت: ٦.

(٢) النازعات: ٣٠.

أي: طائعتين أو مكرهتين، ولما خوطبن جعلن مجيبات ووصفن بالطوع والكره،
وقيل: طائعين في موضع طائعات^(١) نحو قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢)،
﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٣).

﴿فَقَضَّاهُنَّ﴾ يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى ﴿السَّمَاءِ﴾ على المعنى، ويجوز أن
يكون ضميراً مبهماً مفسراً بـ ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾، والفرق بينهما أن سبع سماوات على
الوجه الأول نصب على الحال، وفي الثاني نصب على التمييز.

﴿وَأَوْحَى﴾ أي: خلق أو أمر ﴿فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ ما أمر به فيها ودبره من
خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك، أو شأنها وما يصلحها.

﴿وَرَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ يهتدى بها.

﴿وَحَفِظًا﴾ أي: وحفظناها حفظاً من استراق السمع بالشواقب، ويجوز أن
يكون مفعولاً له أي: وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ بعدما تتلو عليهم من هذه الحجج الدالة على الوجدانية
والقدرة فحذروهم أن تصيبهم ﴿صَاعِقَةٌ﴾ أي: عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يريد: أتوهم من كل
جانب فلم يروا منهم إلا العتو، وقيل: معناه: أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم
من الأمم، ومن عذاب الآخرة^(٤)، لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ
من جهة الزمان الماضي، وما جرى فيه على أمثالهم، ومن جهة المستقبل وما سيجري

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٣٨١.

(٢) الأنبياء: ٣٣.

(٣) يوسف: ٤.

(٤) عن الحسن. تفسير الماوردي ج ٥: ١٧٤.

عليه .

(أَنْ) فِي ﴿الَّا تَعْبُدُوا﴾ بِمَعْنَى: أَي، أَوْ مُخَفَّفةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَصْلُهُ بَأَنْ لَا تَعْبُدُوا أَي: بَأَنْ الشَّأْنَ وَالْحَدِيثَ قَوْلُنَا لَكُمْ: لَا تَعْبُدُوا، وَمَفْعُولُ ﴿شَاءَ﴾ مَحْذُوفٌ، أَي: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا إِرْسَالُ الرِّسْلِ لِأَنْزِلَ مَلَائِكَةً.

وَحَقِيقَةُ الْقُوَّةِ زِيَادَةُ الْقُدْرَةِ، وَهِيَ فِي الْإِنْسَانِ صَحَّةُ الْبَنِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالُ وَالشَّدَّةُ وَالصَّلَابَةُ.

﴿وَكَانُوا يَتَابَعَتَنَا بِمُحَدِّثَاتٍ﴾ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّهَا حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ جَحَدُوا كَمَا يَجْحَدُ الْمَوْدِعُ الْوَدِيعَةَ، وَهُوَ مُعْطُوفٌ عَلَى ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ
الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ
﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ
صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ
فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا
لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ
يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ
أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي
ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ عَاصِفَةٌ تَصْرَصِرُ، أَي: تَصَوَّتْ، وَالصَّرَّةُ: الصَّيْحَةُ، وَقِيلَ:

باردة تحرق ببردها^(١)، من الصّر وهو البرد الذي يصّر، أي: يجمع ويقبض.
﴿نَحْسَاتٍ﴾ قرئ بكسر الحاء وسكونها، يقال: نحس نحساً فهو نحس،
فالنحس يجوز أن يكون مخفف نحس، وأن يكون وصفاً بالمصدر، نحو: رجل
عدل.

و﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [أضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والهوان، على أنه
وصف للعذاب، كأنه قال: عذاب خزي]^(٢) كما تقول: فعل السوء تريد: الفعل
السيئ، والدليل عليه قوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ وهو أبلغ في الوصف، فإن
قولك: هو شاعر، وله شعر شاعر، بينهما بون بعيد.

﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ أي: دللناهم على طريقي الضلالة والرشد، وبيّنا
لهم سبيلي الخير والشر، كقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٣).
﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فاختاروا الكفر على الإيثار، والضلال على
الرشد.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: قارعة العذاب وداهية العذاب، و﴿الْهُونِ﴾:
الهوان، وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه، وفي هذا حجة بالغة على المجبرة.
﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ إِلَى النَّارِ﴾ قرئ بالياء على البناء للمفعول، و﴿أَعْدَاءَ اللَّهِ﴾
بالرفع، ويحشر على البناء للفاعل، وأعداء بالنصب.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم، أي: تستوقف سوابقهم حتى
يدركهم لواحقهم.

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٤: ٦٦.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) البلد: ١٠.

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ مزيدة للتأكيد، أي: لا بد أن يكون وقت مجيئهم النار وقت الشهادة عليهم.

وأما كيفية نطق الجوارح فإن الله ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاماً، وقيل: إنّ الجلود كناية عن الفروج^(١)، وأراد ب﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ كل شيء من الحيوان، ومعناه: إن نطقنا ليس بعجيب من قدرة الله ﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ﴾ حيوان، ﴿وَهُوَ﴾ أنشأكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وهو القادر على إعادتكم ورجعكم إلى جزائه.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعِزُّونَ﴾ بالحجب عند ارتكاب المعاصي مخافة ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ جوارحكم لأنكم لم تعلموا أنها تشهد عليكم، ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾ من أعمالكم، وعن ابن عباس: قالوا: (إنّ الله لا يعلم ما في نفوسنا، إنّنا يعلم ما يظهر)^(٢).

و﴿وَذَلِكُمْ﴾ رفع بالابتداء و﴿ظَنُّكُمْ﴾ و﴿أَزَدْتَكُمْ﴾ خبران، ويجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدلاً من ﴿ذَلِكُمْ﴾ و﴿أَزَدْتَكُمْ﴾ الخبر. وعن الصادق عليه السلام: ((إنّ الله عند ظن عبده: إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرّاً))^(٣).

فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢١﴾ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَرِيقُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) عن عبيد الله بن أبي جعفر. تفسير الطبري ج ٢٤: ٦٨.

(٢) مجمع البيان ج ٩-١٠: ١٠.

(٣) الكافي ج ٨: ٣٠٢.

عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
 أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
 نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
 تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
 ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا
 مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِن
 عَفْوٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

أي: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار.
 ﴿وَأَنْ﴾ يسألوا العتبي ويطلبوا الرضا لم يعتبوا ولم يجابوا إلى العتبي، ولم
 يعطوا الرضا.

﴿وَفَيَضَّنَا﴾ أي: وقدّرنا ﴿لَهُمْ قُرْنَاءَ﴾ أخذاناً من الشياطين، جمع قرين
 وهو كقوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١).
 والمعنى: إنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء
 سوى الشياطين.

﴿فَرَيْنُوا لَهُمْ﴾ ما تقدّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها، أو ﴿مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر العاقبة، وأن لا
 يبعث ولا حساب.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب ﴿فِي أَمْرٍ﴾ في جملة أمم، ومثله قول الشاعر:

إِنْ تَكُ عَنْ أَحْسَنِ الْمُرُوءَةِ مَأْ فُوكَا فَفِي آخِرِينَ قَدْ أَفْكُوا^(١)

يريد: فأنت في جملة آخرين، أو في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد، و﴿فِي أَمْرٍ﴾ في محل نصب على الحال من الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ للأمم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعضهم لبعض ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ الذي يقرأه محمد ولا تصغوا إليه.

﴿وَالْعَوَا فِيهِ﴾ يقال: لغى يلغى، واللغو: الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته، أي: واشتغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات وبالزجر والهذيان حتى تشوشوا عليه قراءته لتغلبوه بذلك، ولا يتمكن أصحابه من الاستماع. ﴿النَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ معناه: إن النار في نفسها دار الخلد، كقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢) [ومعناه: إن رسول الله أسوة حسنة]^(٣)، وتقول: لك في هذا الدار دار السرور، وأنت تعني الدار بعينها.

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا﴾ يلغون فيها، فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو.

وقرى: ﴿أَرِنَا﴾ بسكون الراء لثقل الكسرة، كما قيل: فخذ في فخذ، أي

(١) شعر عروة بن أذينة: ٣٤٣.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) ساقطة من ب.

الشیطانین اللذین ﴿أَصْلَاحًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ ضَرَبَان: جَنِي وَإِنْسِي ﴿يَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ فِي النَّارِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: نَدَوُسُهُمَا وَنَطَوُّهُمَا بِأَقْدَامِنَا لِيَكُونَ أَشَدَّ عَذَابًا مِنَّا.

﴿ثُمَّ أَسْتَقَمُوا﴾ ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ وَثَبَّتُوا عَلَى مَقْتَضِيَّاتِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَةِ. وَسَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضِيلِ ^(١) عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام عَنِ الاسْتِقَامَةِ فَقَالَ: ((هِيَ وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)) ^(٢).

﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالْبَشَرِ.

﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ بِمَعْنَى أَيْ، أَوْ مَخَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَصْلُهُ: بَأَنَّهُ لَا تَخَافُوا، وَالْهَاءُ ضَمِيرُ الشَّانِ، وَالْخَوْفُ: غَمٌّ يَلْحَقُ لِتَوَقُّعِ الْمَكْرُوهِ، وَالْحُزْنُ: غَمٌّ يَلْحَقُ لَوُقُوعِهِ مِنْ فَوْتِ نَفْعٍ أَوْ حَصُولِ ضَرَرٍ. وَالْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ لَكُمْ الْأَمَانَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَغَمٍّ، وَكَمَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَرْنَاءَ مِنْ تَقَدَّمَ، فَالْمَلَائِكَةُ أَوْلِيَاءُ هَؤُلَاءِ وَأَحِبَّاءُهُمْ فِي الدَّارَيْنِ.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ أَيْ: تَتَمَنُّونَ مِنَ النَّعِيمِ، وَفِي بَشَرَاهُمْ بَوْلَايَةِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ، وَإِنَّا لَنُثَبِّتُهُمْ فِي الْجَنَّةِ مُشْتَهِيَاتِهِمْ وَغَايَةَ مَتَمَنَّاهُمْ، دَلَالَةً عَلَى شَرَفِ هَذِهِ الطَّاعَةِ الَّتِي هِيَ الاسْتِقَامَةُ، وَأَنَّهَا أَجَلُ الدِّيَانَاتِ وَالدرَجَةِ الْقَصْوَى فِيهَا.

وَالنَّزْلُ: رِزْقُ النَّزِيلِ وَهُوَ الضَّعِيفُ، وَانْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمَوْصُولِ، أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَنْصُوبِ الْمَحْذُوفِ، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ: مَا تَدْعُونَهُ.

(١) مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضِيلِ بْنِ كَثِيرٍ الْأَزْدِيُّ الْكُوفِيُّ الصَّرْفِيُّ، يَرْمِي بِالْغُلُوِّ، أَدْرَكَ الْإِمَامَ الصَّادِقَ وَالْإِمَامَ الْكَائِمَ وَالْإِمَامَ الرِّضَا عليه السلام، لَهُ كِتَابٌ. يَنْظُرُ: مُعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ ج ١٧: ١٦١.

(٢) مَجْمَعُ الْبَيَانِ ج ٩-١٠: ١٢.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا
 يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٨﴾
 وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا
 تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ
 إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ فَإِنْ أَسَـكَّـرُوا فَالَّذِينَ
 عِنْدَ رَبِّكَ يَسْمِعُونَ لَهُ، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤١﴾

من ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ والأئمة الدعاة إلى الحق القائمون
 مقامه، وقيل: هم المؤذنون^(١). والآية عامة في كل من جمع بين الأوصاف الثلاثة:
 أن يكون موحداً معتقداً للحق عاملاً بالخير. والمعنى: إِنَّ الحسنة والسيئة متفاوتتان
 في أنفسهما، فلا تستوي الأعمال الحسنة والأعمال السيئة، فخذ بالحسنة التي هي
 أحسن من أختها إذا اعترضتك حستان ف﴿ادْفَعْ﴾ بها السيئة الواردة عليك من
 بعض أعدائك، ومثال ذلك: إِنَّ الحسنة أن تغفو عنه و﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أن تحسن
 إليه في مقابلة إساءته، مثل أن يذمك فتمدحه، فإنك إذا فعلت ذلك صار الذي هو
 عدوك المناوئ مثل الولي الحميم المناسب المصافي.

وما يلقي هذه الخصلة الحميدة والسجية المرضية التي هي مقابلة الإساءة
 بالإحسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على كظم الغيظ واحتمال المكاره، و﴿إِلَّا ذُو﴾
 نصيب و﴿حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الثواب والخير.

والتزغ والنسغ بمعنى، وهو شبه النخس، وكان الشيطان ينخس الإنسان: إذا بعثه على بعض المعاصي، وأسند الفعل إلى التزغ كما قالوا: جدّ جدّه، أو وصف الشيطان وتسويله بالمصدر، والمعنى: وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من شرّه ولا تطعه.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: حججه وأدلّته على وحدانيته ﴿الَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ وتقديرهما على حد مستقر ونظام مستمر ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ وما ظهر فيهما من التدبير والتسيير في فلك التدوير.

والضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ لجميعها، لأنّ حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث، تقول: الدور رأيتها ورأيتهن، أو لأنها في معنى الآيات فلذلك قال: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾. وموضع السجدة عند الشافعي ﴿تَعْبُدُون﴾^(١) وهو المروي عن أئمتنا^(٢)، وعند أبي حنيفة ﴿تَسْتَمُونَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ عبارة عن قرب المنزلة والكرامة والزلفى.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِينَ أَحْيَاَهَا لَمْ يُحْيِ الْمَوْتُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

(١) المجموع ج ٤: ٦٠.

(٢) مجمع البيان ج ٩-١٠: ١٥.

(٣) البحر الرائق ج ٢: ٢١٢.

حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعْجَبِيَّ وَعَرِّيَّ ؕ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾

الخشوع في وصف الأرض مستعار لكونها يابسة غير ممطرة، لا نبات فيها، وهو خلاف وصفها بالاهتزاز، والربو وهو الانتفاخ: إذا أخضبت وترينت بالنبات تشبيهاً لها بالمختال في زيّه، وشبّهت قبل بالدليل الخاضع في الأطمار الرثة، وقرئ: وربأت.

ولحد الحافر وألحد: إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصّحة والاستقامة، وقرئ ﴿يُلْحِدُونَ﴾ ويُلْحِدُونَ على اللغتين.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ وعيد لهم على التحريف.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بدل من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾، والذكر: القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرّفوا تأويله.

﴿وَلَنَهْ لَّكَتَبُ عَزِيزٌ﴾ منيع محمي بحماية الله.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ﴾ مثل، أي: لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات،

ونحوه: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، وعن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام: ((ليس في إخباره عما مضى، ولا في إخباره عما يكون في المستقبل باطل، بل أخباره كلها موافقة لمخبراتها))^(٢).

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ أي: ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا﴾ مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لمن آمن بك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن كذبك، أو يكون المعنى: ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك، والمقول: إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم.

﴿وَلَوْ﴾ جعلنا القرآن ﴿أَعْجَمِيًّا﴾ بغير لغة العرب، وسمّوا من لم يبيّن كلامه من أي صنف كان من الناس أعجم، قال عنتره:

حَزَقَ بِمَائِيَّةٍ لِأَعْجَمٍ طَمَطَمٍ^(٣)

﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي: بيّنت بلسان نفقهه.

﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ والهمزة للإنكار، أي: قرآن أعجمي ورسول عربي، [أو مرسل إليه عربي]^(٤)، لأن مبنى الإنكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة.

﴿قُلْ هُوَ﴾ الضمير للقرآن ﴿هُدًى﴾ وإرشاد إلى الحق ﴿وَشِفَاءٌ﴾ لما في الصدور من الشك والظن، أو شفاء من الأدواء.

(١) الحجر: ٩.

(٢) مجمع البيان ج ٩-١٠: ١٥.

(٣) شرح ديوان عنتره: ١٦٢، وصدرة: يأوي الى قلص النعام كما أوت.

(٤) ساقطة من ب.

و﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إن عطفته على ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كان في موضع جر على معنى قولك: وهو للذين لا يؤمنون ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، إلا أن فيه عطفاً على عاملين وقد أجازهُ الأخفش^(١)، وإن جعلته مبتدأ فالخبر: هو ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ على حذف هو، أو في آذانهم منه وقر.

و﴿يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني: إنهم لا يقبلونه ولا يرفعونه أسماءهم، فمثلهم في ذلك مثل من يصوت به من مكان بعيد، لا يسمع من مثله الصوت فلا يسمع النداء.

﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: آمن به قوم وكذب به آخرون، وهو تسلية لنبينا (صلوات الله عليه وآله).

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن قومك لفرغ من عذابهم واستئصالهم، وهي كقوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾^(٢).

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ
أَكْمَامِهَا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿١٧﴾ وَصَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيسٍ ﴿١٨﴾ لَا
يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسْ قُنُوطٌ
﴿١٩﴾ وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا
لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ

(١) المقتضب ج ٤: ١٩٥.

(٢) القمر: ٤٦.

لِلْحَسَنِ فَلَنُتَيْنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُدِقِّنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ
 غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِهِ وَإِذَا
 مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ
 ﴿٥٢﴾ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
 أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا
 إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٥٤﴾
 ﴿فَلَنَفْسِهِ﴾ نفع صلاحه.

﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إساءته دون غيرها.

﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: إذا سئل عنها قيل: الله يعلم، أو لا يعلمها إلا
 الله.

الأحكام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة. وقرئ: ﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ على
 الجمع.

﴿أَيِّنْ شُرَكَائِي﴾ أضافهم إليه على زعمهم، وفيه تقريع على طريق التهكم.

﴿مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: ما منا أحد اليوم يشهد بأنهم شركاؤك، وما منا
 أحد يشاهدهم، وذلك أنهم ضلوا عنهم.

ومعنى ﴿ءَاذَنَّاكَ﴾: أنك تعلم من نفوسنا ذلك، أو هو كما تقول: أعلم
 الملك أنه كان كيت وكيت، وعلق ﴿مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾ معنى الإعلام، لأن النفي
 له حكم الاستفهام في أن له صدر الكلام.

وكذا قوله: ﴿وَوَظَّنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ والمعنى: علموا أن لا مخلص لهم من

عذاب الله، عبّر بالظن عن العلم.

﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ من طلب السعة في المال والصحة ﴿وَلِنْ مَسَّهُ﴾ البلاء والشدة ﴿فَيَتَوَسَّسُ قَنُوطٌ﴾ شديد اليأس مقطوع الرجاء من فضل الله وروحه، وهذه صفة الكافر بدلالة قوله: ﴿لَا يَتَيَّأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا حقّي وصل إليّ، لأنّي استوجبتّه بما عندي من فضل، أو هذا لي دائماً أبداً.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ كائنة ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ على ما يقوله المسلمون ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ﴾ الحالة الحسنى وهي الجنة، أي: سيعطيني في الآخرة مثل ما أعطاني في الدنيا.

[﴿فَدُودُكَاءٍ عَرِيضٍ﴾]^(٢) استعار العرض لكثرة الدعاء ودوامه كما استعار الغلظ لشدة العذاب. وقرئ: ونأى بإمالة الألف وكسر النون، ونأى على القلب كما قيل: راء في رأى، ويريد ﴿بِحَاجَتِهِ﴾ نفسه وذاته، فكأنّه قال: ونأى بنفسه، أو يريد ﴿بِحَاجَتِهِ﴾ عطفه، ومعناه: انحرف وازور، كما قيل: ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾^(٣)، و﴿تَوَلَّى بَرُكْنَهُ﴾^(٤).

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وقد ﴿كَفَرْتُمْ بِهِ﴾، وكان الكسائي يحذف همزة رأى إذا كان مع همزة الاستفهام، نحو: أريتم وأريتمكم في جميع القرآن استثقالاً للهمزتين، ولا يحذف في غيرها، نحو: رأى القمر

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) الحج: ٩.

(٤) الذاريات: ٣٩.

ورأى الشمس.

﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ منكم وأنتم بلغتكم الغاية في المشاقة والمناسبة؟.

فوضع ﴿وَمَنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ موضع (منكم) بياناً لصفته.

﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَتَنَا﴾ في نصره رسولنا محمد ﷺ ﴿وَفِي﴾ آفاق الدنيا من الفتوح، ومن الإظهار على الأكاسرة والملوك، وتغليب العدد القليل على الكثير، والأمور الخارجة عن المعهود ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ يوم بدر، أو يوم فتح مكة.

﴿بِرَبِّكَ﴾ مرفوع الموضع بأنه فاعل كفى، و﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه، وتقديره: أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد. والمعنى: إن الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه، فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد، أي: مطلع مهيمن، يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده.

سورة الشورى

مكية غير آيات منها، وهي ثلاث وخمسون آية كوفي، خمسون في الباقي، عدد الكوفي ﴿حم﴾ و﴿عسق﴾ و﴿كَلَّا غَلَامٌ﴾.

وفي حديث أبي: ((من قرأ سورة (حم عسق) كان ممن تصلي عليه الملائكة، ويستغفرون له))^(١)، عن الصادق عليه السلام: ((من قرأها بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر... الخبر بطوله))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ① عَسَقٌ ② كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 أَعْلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ④ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ⑤ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ⑥ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٣٠١.

(٢) نواب الأعمال: ١١٣ باختلاف.

حَوَّلَهَا وَنُذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى
اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الوحي يوحى إليك وإلى الأنبياء ﴿مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾
يعني: إنّ ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من
السور، وأوحاه إلى من قبلك، على معنى: إنّ الله كرر هذه المعاني في القرآن وفي
جميع الكتب السماوية، لما فيها من المنافع الدينية لعباده. وقرئ: يوحى إليك، وعلى
هذا فإنما يرتفع اسم الله بما دلّ عليه ﴿يُوحَى﴾، فكأن قائلًا قال: من الموحى؟ فقل:
الله.

﴿تَكَادُ﴾ قرئ بالتاء والياء، وقرأ [ابن كثير]^(١): ينفطرون و﴿تَفْطَرُونَ﴾
ومعناه: يتشققن من علو شأن الله وعظمته، بدلالة مجيئه بعد قوله: ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾،
وقيل: من دعائهم له ولدا^(٢).

﴿مِنْ قُوَّتِهِنَّ﴾ أي: يكاد يبدأ الانفطار من جهتهن الفوقانية التي هي أعظم
آيات الجلال والعظمة، وهي العرش والكرسي، وقيل: من فوق الأرضين، وعن
الصادق عليه السلام: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنين.

﴿اللَّهُ حَفِيفٌ﴾ يحفظ عليهم أعمالهم ولم توكل لحفظها، فلا يضيعن صدرك

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٨: ٣٠٣.

تكذيبهم إِيَّاكَ.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله هو الحفيظ عليهم وما أنت بحفيظ عليهم ولكن نذير لهم، لأنه قد تكرر ذكره في مواضع من التنزيل، فالكاف مفعول به لـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾، و﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من المفعول به، أي: أوحيناه إليك وهو قرآن عربي.

ويجوز أن يكون (ذلك) إشارة إلى مصدر ﴿أَوْحَيْنَا﴾ أي: ومثل ذلك الإيحاء البين أوحينا إليك قرآنًا عربيًّا بلسانك ﴿لِنُنْذِرَ﴾ أهل ﴿أُمِّ الْقُرَى﴾ وهي مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من سائر الناس، وتنذرهم ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة، يجمع الله فيه الأولين والآخرين، يقال: أنذرته كذا وأنذرت به كذا، فقد عدّي الأول إلى المفعول الأول والثاني إلى المفعول الثاني وهو يوم الجمع، وقيل: يجمع فيه بين الأرواح والأجساد، وقيل: يجمع بين كل عامل وعمله.

﴿وَلَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة قدرة لأجبرهم جميعاً على الإيمان، ولكنه شاء مشيئة حكمة أن يكلفهم، وبنى أمرهم على الاختيار ليدخل المؤمنين ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾.

﴿أَمْرٌ﴾ منقطعة، ومعنى الهمزة فيها الإنكار.

﴿قَالَ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ هو الذي يجب أن يتولى وحده، ويعتقد أنه الحقيق بالولاية دون غيره، والفاء جواب شرط مقدر كأنه قال بعد إنكار كل ولي سواه: إن أرادوا ولياً بحق فالله هو الولي الحق، ومن شأن هذا الولي أنه ﴿يُخَيِّمُ الْمَوْتَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو الحري بأن يتخذ ولياً دون من لا يقدر على شيء.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ حكاية قول الرسول ﷺ للمؤمنين، ومعناه:

ما تختلفون فيه من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ يثيب المحق ويعاقب المبطل.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الحاكم ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في رد كيد الأعداء ﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ في جميع الأمور.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ
مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا
بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ
عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى
لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ
مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا
تُلَیِّعْ آهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ
لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ
لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿فَاطِرُ﴾ خبر بعد خبر لـ ﴿ذَلِكُمْ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: خلق لكم من جنسكم ﴿أَزْوَاجًا﴾ وخلق الأنعام أيضاً من أجناسها ﴿أَزْوَاجًا﴾.

﴿يَذُرُّكُمْ﴾ يكثركم ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير، وهو أن جعل بين الذكور

والإناث من الناس والأنعام التوالد والتناسل، والضمير في ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ يرجع إلى المخاطبين والأنعام.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو كقولهم: مثلك لا يبخل، والمراد: نفي البخل عن ذاته، وهو من باب الكناية، لأنهم إذا نفوا الشيء عن من يسد مسدّه فقد نفوه عنه، فالمعنى: نفي المماثلة عن ذاته سبحانه، فلا فرق بين أن يقال: ليس كالله شيء، وأن يقال: ليس كمثله شيء، إلا فائدة الكناية، وقيل: كررت كلمة التشبيه للتأكيد^(١) كما كررت في قول الشاعر:

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَيْنُ^(٢)

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء، ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الرسل فيه بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ والمراد: إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وحججه وباليوم الآخر. ومحلّ ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ نصب بدل من مفعول ﴿شَرَعَ﴾ والمعطوفين عليه.

﴿كَبَّرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عظم عليهم وشق.

﴿يَجْتَنِي إِلَيْهِ﴾ والضمير لـ ﴿الدِّينِ﴾ أي: يجتلب إليه بالتوفيق ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من يجدي عليهم لطفه.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني: أهل الكتاب بعد أنبيائهم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ﴾ أن علموا أنّ الفرقة ضلال وفساد.

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٣٩٥.

(٢) الرجز لخطام المجاشعي. خزنة الأدب ج ٢: ٣١٣.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي عدة التأخير ﴿إِلَى﴾ يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ حين افترقوا لعظم ما اقترفوا.

﴿وَلِإِنَّ الَّذِينَ أُوْرِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وهم أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان. وقيل: وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله^(١)، ﴿وَلِإِنَّ الَّذِينَ أُوْرِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ العرب، والكتاب: القرآن.

﴿فَلِذَلِكَ﴾ أي: فلأجل ذلك التفرق ﴿فَادْعُ﴾ إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفة ﴿وَأَسْتَقِمْ﴾ عليها وعلى الدعوة إليها ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المختلفة الباطلة ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ من الكتب على الأنبياء قبل ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الدعاء إلى الحق ولا أحابي أحداً، أو أعدل بينكم في جميع الأشياء.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [أي: لا خصومة لأن الحق قد ظهر، والحجة قد لزمتمكم فلا حاجة إلى المحاجة، والمعنى: لا إيراد حجة بيننا وبينكم]^(٢).

﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّوكَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مُجْتَمِعُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ

(١) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٨: ٣٠٦.

(٢) ساقطة من ب.

لَفِي صَلَافٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ، فِي
حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ، مِنْهَا وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ
مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾

﴿الَّذِينَ يَحْجُوتُ فِي﴾ دِينِ ﴿اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ﴾ أي: استجابوا
للنبي ﷺ إلى ما دعاهم إليه ودخلوا في الإسلام لظهور حجته بالمعجزات والآيات
التي أظهرها الله سبحانه فيه.

﴿جُنُودُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: باطلة، سمى شبهتهم حجة على حسب اعتقادهم.
﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ جنس ﴿الْكِتَابَ... وَالْمِيزَانَ﴾ أي: وأنزل العدل والتسوية
في كتبه المنزل، وقيل: الميزان الذي يوزن به أنزله من السماء^(١).

﴿بِالْحَقِّ﴾ ملتبساً بالحق مقترناً به، أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة،
أو بالواجب من التحريم والتحليل وغير ذلك.
﴿السَّاعَةِ﴾ في تأويل البعث، فلذلك قال: ﴿قَرِيبٌ﴾، أو لعل مجيء الساعة
قريب.

﴿يُعَارَوْنَ﴾ يلاجون ويخاصمون في مجيء الساعة.
﴿لَفِي صَلَافٍ بَعِيدٍ﴾ من الحق، لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة القادر
بالذات، ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها، ولقيام دليل العقل على
أنه لا بد من دار جزاء.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ أي: بربهم، بليغ البر، قد وصل برّه إلى جميعهم، وإلى

حيث لا يبلغه وهم أحد منهم.

سمي ما يعمله العامل مما يتغي به الفائدة حرثاً على المجاز، وفرق بين عمل العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته، ومن عمل للدنيا أعطي شيئاً منها لا ما يتغيه، وما له نصيب قط في الآخرة، ولم يذكر في معنى عامل الآخرة: وله في الدنيا نصيب مع أن رزقه المقسوم له لا بد أن يصل إليه، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من الفوز والسعادة في المآب.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ
 اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا
 وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي
 رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ
 الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِضْ
 حَسَنَةً نَّزَدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ
 عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَنَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَوِّضُ الْحَقَّ
 بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ
 عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَسَيَجِيبُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ
 عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ
 وَلَكِن يُّنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾^(١) الهزمة في ﴿أَمْ﴾ للتقريع والتقريع، وشركاؤهم: شياطينهم الذين زنتوا لهم الشرك، والعمل للدنيا، وإنكار الحشر والجزاء وما لم يأمر الله به ولا أذن فيه.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ في تأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة ﴿لَفُصِّ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرغ من عذابهم في الدنيا.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين خوفاً شديداً، أرق قلوبهم ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من السيئات ﴿وَهُوَ واقعٌ بِهِمْ﴾ وجزاؤه ووباله واقع بهم، واصل إليهم، أشفقوا أو لم يشفقوا، والضمير لكسبهم الذي دلّ عليه ما كسبوا.

والروضة: الأرض الخضرة بحسن النبات، وكأنَّ ﴿رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أطيب البقاع فيها وأنزهها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ ويشتهون. وانتصب ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ بالظرف لا بـ ﴿يَشَاءُونَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الثواب ﴿هُوَ الْفَضْلُ﴾ العظيم، والنعيم المقيم الذي يستأهل أن يسمى كبيراً.

﴿ذَلِكَ﴾ الثواب ﴿الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ﴾ به ﴿عِبَادَهُ﴾ فحذف الجار كما في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾^(٢)، ثم حذف الضمير العائد إلى الموصول، أو ذلك التبشير الذي يبشّر الله عباده المؤمنين الصالحين ليستبشروا بذلك في الدنيا. وقرئ: ﴿يُبَيِّرُ﴾ من: بشره، ويبشر من: أبشره. وروي: أَنَّ المشركين قالوا فيها بينهم: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجرأ؟ فنزلت الآية^(٣).

(١) زيادة يقتضيه السياق.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) أسباب النزول: ٢٦٥.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلاً، أي: لا أسألكم أجراً إلا هذا، وهو أن تودّوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة لأنّ قرابته قرابته، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً، أي: لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، ومعنى ﴿فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أنّه جعلهم مكاناً في المودة ومقرّاً لها، كما تقول: لي في آل فلان مودة، ولي فيهم حبّ شديد، تريد: أحبّهم، وهم مكان حبي ومودتي. وليست ﴿فِي﴾ بصلة لـ ﴿الْمَوَدَّةَ﴾ كاللام إذا قلت: إلا المودة للقربى، وإنّما هي متعلّقة بمحذوف كما يتعلّق الظرف به في قولك: المال في الكيس، وتقديره: إلا المودة ثابتة في القربى. وعن ابن عباس: إنّها لما نزلت قالوا: من قرابتك هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: ((عليّ وفاطمة وولدهما))^(١). وروى زاذان^(٢) عن عليّ عليه السلام قال: ((فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كلّ مؤمن، ثمّ قرأ هذه الآية))^(٣). وإلى ذلك أشار الكميت في قوله:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِ آيَةً تَأْوِلُهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُغْرِبٌ^(٤)

﴿وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً﴾ عن السدي: (أنّ الحسنه: المودة في آل رسول الله)^(٥)، وزيادة حسننها من جهة الله عزّ اسمه: مضاعفتها، كقوله: ﴿فِيضَاعَفَهُ لَهُ أَضْعَافًا

(١) معجم الطبراني الكبير ج ١١: ٣٥١.

(٢) زاذان أبو عمرو الكندي مولا هم الكوفي الفارسي، من أصحاب علي عليه السلام روى عنه وعن عدد من الصحابة. ينظر: ميزان الاعتدال ج ٢: ٦٣، معجم رجال الحديث ج ٧: ٢١٣.

(٣) شواهد التنزيل ج ٢: ١٤٢.

(٤) شرح الهاشميات: ٤٠.

(٥) الكشف والبيان ج ٨: ٣١٤.

كثيرة^(١).

والشكور في صفة الله تعالى مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها، والتفضل على المثاب.

﴿أَمْ﴾ منقطعة، ومعنى الهمزة فيها: التوبيخ، كأنه قال: أينسبون مثله إلى الافتراء، ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أفحش الفري وأعظمها.

﴿فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب، فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله، لأنه في البعد مثل الشرك بالله، والدخول في جملة المختوم على قلوبهم.

ثم أخبر سبحانه أنه يبطل ما يقولونه بقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ أي: ومن عادة الله أن يمحو الباطل ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ ويثبتته ﴿يَكْلَمُنِيهِ﴾ بوحيه أو بقضائه، كقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾^(٢)، فهو يمحى الباطل الذي هم عليه من تكذيبك والبهت عليك، ويثبت الحق الذي أنت عليه وينصرك عليهم. يقال: قبلت الشيء منه وقبلته عنه، فمعنى قبلته منه: أخذته منه وجعلته مبدءاً قبولي، ومعنى قبلته عنه: علته عنه وأثبتته عنه.

والتوبة: أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب، بأن يندم عليها ويعزم على أن لا يعاود في المستقبل، لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب، وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التقصي على طريقه. وقرئ ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ بالياء. ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله:

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) الأنبياء: ١٨.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾^(١)، أي: يقبل طاعاتهم وعباداتهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ على ما يستحقونه من الثواب تفضلاً، وإذا دعوه استجاب لهم دعاءهم وزادهم على مطلوبهم. وعن عبد الله عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: ((آته الشفاعة لمن وجبت له النار ممن أحسن إليهم في الدنيا))^(٢).

[﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾]^(٣) أي: لو وسع الله الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه ﴿بَعَوْا﴾ وظلموا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يظلم هذا ذاك، وذاك هذا، لأنّ الغنى مآثرة مبطرة وكفى بحال قارون عبرة، ولكنه ﴿يُنْزِلُ بِقَدَرٍ﴾ أي: بتقدير. وفي الحديث: ((أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها))^(٤). ويجوز أن يكون من البغي الذي هو البذخ والتكبر، أي: لتكبروا في الأرض وفعلوا ما يدعو إليه الكبر من الفساد فيها، ولا شبهة أنّ كلا الأمرين مع الفقر أقل ومع البسط أكثر.

﴿إِنَّهُ... حَيِيرٌ﴾ بأحوال عباده ﴿بَصِيرٌ﴾ بمصالحهم ومفاسدهم.

وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ
الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا
أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ
كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أُنْزِلَ بِمُعْجِزَيْنِ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ

(١) المطففين: ٣.

(٢) معجم الطبراني الكبير ج ١٠: ٢٠١.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) تفسير الطبري ج ٢٥: ١٩.

اللَّهُ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
 (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَيَعْفُ عَنْ
 كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجْدِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥)

يريد بـ ﴿رَحْمَتُهُ﴾: بركات الغيث ومنافعه، وما يحصل به من الخصب
 بإخراج النبات والثمار، ويجوز أن يريد: رحمته في كل شيء، أي: ﴿يُزَلِّ الْقَيْثَ﴾
 وينشر غيرها من رحمته الواسعة.

﴿وَمَا بَثَّ﴾ يجوز أن يكون مجروراً ومرفوعاً عطفاً على المضاف إليه أو
 المضاف، وقال: ﴿فِيهِمَا﴾ والدواب في الأرض لأن الشيء يجوز أن ينسب إلى
 جميع المذكور وإن كان ملتبساً ببعضه، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١)
 وإنما يخرج من الملح، ويجوز أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفوا
 بالديب كما يوصف به الإنسان، ولا يبعد أن يكون في السماوات من يمشي فيها
 كما يمشي الأناسي في الأرض.

وقرئ: بما كسبت بغير فاء وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة، على أن
 يكون بما كسبت خبر المبتدأ الذي هو ﴿مَا أَصْبَحَكُمْ﴾ من غير تضمين معنى
 الشرط، والآية مخصوصة بالمجرمين، ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب المجرم
 في الدنيا ويعفو عن بعض، فأما من لا جرم له من المعصومين أو غير المكلفين من
 الأطفال والمجانين، فإذا أصابهم شيء من الآلام من مرض وغيره فللعوض الموفى
 عليه والغرض الذي هو المصلحة. وعن علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال: ((خير آية في
 كتاب الله هذه الآية، يا علي ما من خدش عود ولا نكبة قدم إلا بذنب، وما عفا الله

عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثني على عبده»^(١).

والأعلام: الجبال، واحدا علم، قالت الخنساء:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٢)

﴿الْجَوَارِ﴾ وقرئ بحذف الياء وإثباتها، والقياس الإثبات، وحذف هذه الياءات قد كثرت في كلامهم فصار مثل القياس، وهي السفن الجارية.

﴿إِنْ يَشَأْ﴾ الله ﴿تُسْكِنُ الرِّيحَ﴾ فتبقى السفن راكدة واقفة ﴿عَلَى﴾ ظهر الماء، فجعل سبحانه بكمال قدرته هبوب الرياح في الجهة التي تسير إليها السفينة.

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلاء الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعائته، وهما صفتا المؤمن المخلص.

﴿أَوْ يُؤَيِّقَهُنَّ﴾ أي: يهلكهن بأن يرسل الرياح عاصفة فيغرقهن بسبب ﴿مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها. وعطف ﴿يُؤَيِّقَهُنَّ﴾ على ﴿تُسْكِنُ﴾ لأن المعنى: إن يشأ يسكن الرياح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها.

وقرئ: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالنصب والرفع فأما النصب فللعطف على تعليل محذوف، وتقديره: لنتقم منهم ويعلم الذين يجادلون، ونحوه كثير في التنزيل، منه قوله: ﴿وَلَنَجْجَعَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾^(٣)، ﴿وَلَنَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٤). وأما الرفع فعلى الاستئناف.

(١) ينظر: الكافي ج ٢: ٤٤٥، وشعب الإيمان ج ٧: ١٥٣.

(٢) ديوان الخنساء: ٤٩.

(٣) البقرة: ٢٥٩.

(٤) الجاثية: ٢٢.

فَأُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَعْتِ الْخَيَوَةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْتَبِئُونَ كِبِيرَ
الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُقْفُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ
سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ
﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ
إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ
مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى
مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ
مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ
الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا
إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ
يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

وقرى: كبير الإثم على التوحيد، وجاز أن يراد به الجمع كما في قوله:
﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١). وفي الحديث: ((منعت العراق درهمها
وقفيها))^(٢).

(١) النحل: ١٨.

(٢) صحيح مسلم ج ٨: ١٧٥.

﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ﴾ عطف على ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وكذلك ما بعده.

﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب، لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول أحلام غيرهم من الناس، فهذه فائدة ﴿هُمْ﴾ وإيقاعه مبتدأ، ومثله ﴿هُمْ يَنْصَرُونَ﴾.

والشورى: مصدر بمعنى التشاور، أي: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وقيل: إنَّ المعنى بالآية الانتصار تشاوروا في أمر رسول الله ﷺ لما ورد النقباء عليهم من عنده، فاجتمعوا في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له^(١).

والمنتصرون [هم المؤمنون]^(٢) الذين أخرجوا من مكة وبغى عليهم الكفار، ثم مكّنهم الله فانتصروا منهم.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سَمَى سبحانه كلتا الفعلتين: الأولى وجزاءها سيئة، لأنها تسوء من تنزل به. ومعناه: إنه إذا قوبلت الإساءة وجب أن يقابل بمثلها من غير زيادة.

﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عما له المؤاخذه به ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره فيما بينه وبين ربّه، أو بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ عدة مبهمة لا يحاط بكنهها في العظم.

﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ﴾ فيه دلالة على أَنَّ الانتصار لا يؤمن فيه تجاوز النصفة والسوية والاعتداء، لا سيما في حال الغضب، فربّما كان المنتصر ظالماً من حيث لا يشعر. وفي الحديث: ((إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان أجره على الله فليدخل الجنة، فيقال: من ذا الذي أجره على الله؟ فيقال: العافون عن الناس،

(١) عن الضحاك تفسير الماوردي ج ٥: ٢٠٦.

(٢) ساقطة من ب.

يدخلون الجنة بغير حساب»^(١).

﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أضاف المصدر إلى المفعول، أي: بعد أن ظلم وتعدّي عليه.
 ﴿فَأُولَئِكَ﴾ إشارة إلى معنى (من) دون لفظه ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ للمعاقب
 ولا للعائب ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أي: العقاب والذم ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ ابتداء.
 ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الظلم والأذى ﴿وَعَفَرَ﴾ ولم ينتصر ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر
 والمغفرة منه ﴿لَنْ عَزِمَ الْأُمُورُ﴾ وحذف الراجع، للعلم به كما حذف من قولهم:
 السمن منوان بدرهم. و عزم الأمور: هو الأخذ بأعلاها في باب نيل الثواب
 والأجر.

﴿خَشِيعَةً﴾ متواضعين متضائلين مما يلحقهم ﴿مَنْ أَلْذَلُّ يَنْظُرُونَ﴾ من
 طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴿أَي:﴾ يتدنى نظرهم من تحريك ضعيف لأجفانهم، خفي بمسارقة،
 كما ترى المصور ينظر إلى السيف لا يملأ أجفانه منه كما يفعله الناظر إلى ما يحبه.

وقوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إن تعلق بـ ﴿خَسِرُوا﴾ كان قول المؤمنين واقعاً في
 الدنيا، وإن تعلق بـ ﴿قَالَ﴾ فالمعنى: يقولون يوم القيامة: ﴿إِنَّ الْخَسِيرِينَ﴾ في
 الحقيقة هم الذين فوتوا ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ الانتفاع بنعيم الجنة وخسروا ﴿أَهْلِيهِمْ﴾
 وأولادهم وأزواجهم إذ حيل بينهم وبينهم، أو أهلهم من الحور العين.

أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا
 لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا

أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ بُرُوجَهُمْ ذَكَرَانَا وَإِنِشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ فَلِيرُ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ آلَا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من صلة ﴿لَا مَرَدَّ﴾ أي: لا يردّه الله بعدما حكم به، أو من صلة ﴿يَأْتِي﴾ أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده، والنكير: الإنكار والتغيير.

والمراد بالإنسان هنا الجمع لا الواحد لقوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ﴾ والمعني بهم المجرمون، لأن إصابة السيئة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لا يستقيم إلا فيهم.

والمراد بالرحمة: النعمة من الصحة والعافية والغنى والأمن، وبالسيئة: البلاء من القحط والمرض والفقر والمخاوف، والكفور: البليغ في الكفران، ولم يقل: فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١)، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٢) أي: يذكر البلاء وينسى النعم.

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) العاديات: ٦.

ولما ذكر سبحانه إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها عقّب ذلك بأنّ له ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وأنّه يقسم كيف شاء النعمة والبلاء، و﴿يَهْبُ﴾ كيف أراد لعباده الأولاد فيخصّ بعضهم بالإناث، وبعضهم بالذكر، وبعضهم بالصنفين جميعاً، ويعقم منهم من يشاء فلا يهب له ولداً.

﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ﴾ [وما صحّ لأحد من البشر]^(١) ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾ إلا على أحد ثلاثة أوجه: إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام، كما أوحى إلى أم موسى، وإلى إبراهيم في ذبح ولده، وأوحى إلى داود الزبور في صدره؛ وإما أن يسمعه كلامه الذي يحدثه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه، لأنّه في ذاته غير مرئي.

وقوله: ﴿مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [مثل أي: كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء حجاب]^(٢) فيسمع صوته ولا يرى شخصه، وذلك كما كَلَّمَ سبحانه موسى ويكلم الملائكة؛ وإما على أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة فيوحي الملك إليه، كما كَلَّمَ^(٣) غير موسى من الأنبياء. وقيل: ﴿وَحَيًّا﴾ كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملك.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ نبيّاً كما كَلَّمَ أمم الأنبياء على ألسنتهم.

و﴿وَحَيًّا﴾ و(أن يرسل) مصدران وقعا موقع الحال، كما يقال: جئت ركضاً، وأتيت مشياً، لأنّ (أن يرسل) في معنى إرسالاً، و﴿مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ ظرف وقع

(١) ساقطة من ب.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقطة من ب.

موقع الحال أيضاً كقوله: ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾^(١)، وتقديره: وما صح أن يكلم الله واحداً إلا موحياً، أو مسمعاً من وراء حجاب، أو مرسلأ رسولاً.

ويجوز أن يكون ﴿وَحِيّاً﴾ موضوعاً موضع كلاماً لأن الوحي كلام خفي في سرعة، كما يقول: لا أكلمه إلا جهراً، لأنّ الجهر ضرب من الكلام، وكذلك إرسالاً جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة، تقول: قلت لفلان كذا، وإنما قاله وكيلك أو رسولك، وقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [معناه: أو إسماعاً من وراء حجاب]^(٢). ومن جعل ﴿وَحِيّاً﴾ في معنى أن يوحى وعطف ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ عليه على معنى: وما كان لرسول أن يكلمه الله إلا بأن يوحى أو بأن يرسل، فلا بد أن يقدر قوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ تقديرأ يطبقهما عليه، نحو أو أن يسمع من وراء حجاب. وقرئ: أو يرسل فيوحي بالرفع على أو هو يرسل، أو هو بمعنى مرسلأ عطفاً على ﴿وَحِيّاً﴾ في معنى موحياً.

﴿لَإِنَّهُ عَلِيُّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ يجري أفعاله على الحكمة، فيكلم تارة بواسطة، وأخرى بغير واسطة: إما إلهاماً أو خطاباً.

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يعني: القرآن، لأنّ الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح، وقيل: هو روح القدس، وقيل: هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ^(٣).

﴿وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: معالم الإيمان من الشرائع.

(١) يونس: ١٢.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) عن الصادق عليه السلام. بصائر الدرجات: ٤٨١.

سورة الزخرف

مكية، وقيل: إلا آيات، وروي: أن قوله: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ نزلت ببيت المقدس، وقيل: إن قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ... الْآيَاتِ﴾ نزلت في حجة الوداع. تسع وثمانون آية ﴿حم﴾ كوفي، ﴿هُوَ مَهِيْنٌ﴾ بصري.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة الزخرف) كان ممن يقال له يوم القيامة: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من أدام قراءة (حم الزخرف) آمنه الله في قبره من هوام الأرض، ومن ضمة القبر))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْكِتَابِ لَدِينًا لَعَلَّى حَكِيمٌ ۝ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝ (٨) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٣٢٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٣.

لَيَقُولَنَّ خَلَقْنَاهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ القرآن، وهو البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم،
وقيل: الذي أبان طريق الهدى وما تحتاج إليه الأمة من الحرام والحلال وشرائع
الإسلام^(١).

و﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ جواب القسم، وهو بمعنى صيرناه فتعدى إلى مفعولين، أو
تعدى إلى مفعول واحد على معنى خلقناه. و﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال، ولعل مستعار
بمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي، أي: خلقناه عربياً غير عجمي إرادة
أن يعقله العرب، ولثلاثا يقولوا: ﴿لَوْلَا فَصَّلْتُ آيَاتُهُ﴾^(٢).

وقرئ: إم الكتاب بكسر الهمزة وهي اللوح، كقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي
لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٣)، سمي بأم الكتاب لأنه الأصل الذي أثبت فيه الكتب، منه تنقل
وتستنسخ.

﴿لَعَلِّي﴾ أي: عال رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزاً من بينها.

﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة، أي: منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفته،
وهو مثبت في أم الكتاب هكذا.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ أي: أفنحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على
سبيل المجاز، من قولهم: (ضرب الغرائب عن الحوض)^(٤). و(الفاء) للعطف على

(١) عن مقاتل. تفسير الماوردي ج ٥: ٢١٤.

(٢) فصلت: ٤٤.

(٣) البروج: ٢١، ٢٢.

(٤) مجمع الأمثال ج ٢: ٢٦٠ باختلاف.

محذوف تقديره: أنهم لكم فنضرب عنكم الذكر.

﴿صَفْحًا﴾ على وجهين: إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض، انتصب على أنه مفعول له على معنى: أفنزل عنكم إنزال القرآن إعراضاً عنكم، وإما بمعنى الجانب فانتصب على الظرف كما تقول: فلان يمشي جانباً.

﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ لأن كنتم. وقرئ إن كنتم، وإنما استفهام معنى الشرط وقد كانوا ﴿مُسْرِفِينَ﴾ على القطع، لأنه من الشرط الذي يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته، كما يقول الأجير: إن كنت عملت لك فوقني حقّي، وهو عالم بذلك ولكنه يخجل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالاً له.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ حكاية حال ماضية مستمرة، وهي تسليية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه.

الضمير في ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ للمسرفين، لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ يخبره عنهم.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سلف في القرآن في مواضع منه ذكر قصتهم التي سارت مسير المثل، وهذا وعد لرسول الله ﷺ ووعد لهم.

﴿لَيَقُولَنَّ خَلَقْنَاهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ لينسب خلقها إلى الله العزيز، وليسندته إليه.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِّتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ

رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا
وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلُوا
لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا أَنزَلْنَاهُ لَكُفُورًا مُّبِينًا ﴿١٤﴾ أَوِ اتَّخَذَ
مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ
بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿١٦﴾ أَوْ مِنْ يُلْقُوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٧﴾
وَجَعَلُوا أَمَلَكِيَّةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنْتًا أَشْهَدُوا
خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ وَسَوَّاهُمْ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ
مَا عَبَدْتَهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٩﴾

﴿يَقْدِرُ﴾ بمقدار الحاجة ولم يكن طوفاناً يضر البلاد والعباد.

و﴿الْأَزْوَاجُ﴾ الأصناف.

و﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ أي: تركبونه في البر والبحر، يقال: ركبوا الأنعام وركبوا في
الفلك، فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة وإن كان الجنس
مذكورين.

﴿لَيْسْتُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ أي: على ظهور ما تركبونه، و﴿تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾
عليكم، وهو أن تعترفوا بها في قلوبكم مستعظمين لها، ثم تحمدوه عليها بالاستكتم.
وهو ما روي أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً في سفر كبر ثلاثاً وقال:
((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا
نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى والعمل بما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا
واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال، اللهم
إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال، وإذا

رجع قال: آيئون تائبون لربنا حامدون^(١). وعن الصادق عليه السلام: ((ذكر النعمة أن تقول: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن، ومنّ علينا بمحمد ﷺ، وتقول بعده: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا... إِلَى آخِرِهِ﴾^(٢))).

﴿مُقَرَّرِينَ﴾ أي: مطيقين، وحقيقة أقرنه: وجده قرينته وما يقرن به، لأنّ الصعب لا يقرن بالضعيف، ولما كان الركوب مباشرة أمر ذو خطر، فمن حقّ الراكب أن لا ينسى انقلابه إلى الله، ولا يدع ذكر ذلك حتى يكون مستعداً للقاء الله.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ متصل بقوله: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ﴾ أي: إن سألتهم عن الخالق اعترفوا به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عبادته جزءاً بأن قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه، كما يكون الولد بضعة من والده، فوصفوه بصفة المخلوقين.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ جحود النعمة ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر جحوده، لأنّ نسبة الولد إليه كفر، والكفر أصل الكفران كله.

﴿أَمْ أَمْتًا﴾ بل اتخذ، الهمة للإنكار تجهيلاً لهم وتعجبياً من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا الله من عبادته جزءاً، حتى جعلوا ذلك الجزء أدون الجزأين، وهو الإناث دون الذكور، على أنّهم أمقت خلق الله للإناث حتى أنّهم كانوا يندونهن.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ بالجنس الذي جعله الله ﴿مَثَلًا﴾ أي: شبهاً، لأنّه إذا جعل الملائكة جزءاً له وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومثالاً له، لأنّ الولد إنّما يكون من جنس الوالد.

(١) مسند أحمد ج ٢: ١٥٠، الكافي ج ٤: ٢٨٤ باختصار.

(٢) الكافي ج ٤: ٢٨٥.

﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ غيظاً وأسفاً ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء من الكرب.

ثم قال: أو يجعل للرحمن من الولد من هذه صفته وهو أنه ﴿يُنشَأُ فِي أَلْحِيَّةٍ﴾ أي: يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثنة الخصوم ومخاصمة الرجال كان ﴿غَيْرُ مُيَبِّنٍ﴾ ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحجج به من خاصمه، وذلك لضعف عقول النساء.

وقرى: ينشأ و﴿يُنشَأُ﴾ وقرئ: عند الرحمن وهو مثل لاختصاصهم وزلفاهم و﴿عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾، ومعنى ﴿جَعَلُوا﴾ سمووا وقالوا: إنهم إناث، وقرئ: أشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة، وأشهدوا بألف بين الهمزتين، وهذا تهكم بهم. يعني: إنهم كانوا يقولون ذلك بغير علم ودليل، فلم يبق إلا أن يشاهدوا ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فأخبروا عن المشاهدة.

﴿سَتَكُنَّ شُهَدَاتُهُمْ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ وهذا وعيد.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ هما نوعان من الكفر: عبادتهم الملائكة، وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما قال إخوانهم المجبرة، ثم كذبهم سبحانه بقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخِرُّونَ﴾ أي: يكذبون.

أَمْ أَدَّبْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ
قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ
﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ
﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا

إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَقِبَةُ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾

أي: أهدا شيء يخرصونه ﴿أَمْ أَلَيْسَ كَتَبْنَا﴾ قبل هذا الكتاب نسبنا فيه
الكفر إلينا فهم ﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾ به، بل لا حجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم:
﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِثْلِ هَؤُلَاءِ﴾ أي: دين وملة وطريقة.
﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ خبران لـ(إِنْ) أو الظرف صلة لـ﴿مُهْتَدُونَ﴾،
[والجملة الابتدائية خبر] ^(١).

و﴿مُتْرَفُوها﴾: الذين أترفهم النعمة، أي: أبطرتهم فأثروا الترفه على طلب
الحجة، وعافوا مشاق التكليف، وكل فريق يقلد أسلافه.

وقرئ: قل، و﴿قُلْ﴾ أي: قال لهم النذير، وقل حكاية لما أوحى إلى النذير،
أي: قل لهم ﴿أَوَلَوْ جِئْتَكُمْ﴾. وقرئ: جئناكم، أي: أتبعون آباءكم ولو جئتمكم
بدين أهدى من دين آبائكم؟.

﴿قَالُوا إِنَّا﴾ ثابتون على دين آبائنا وإن جئتنا بما هو أهدى.

﴿بَرَاءٌ﴾ يستوي فيه الواحد والاثنان والجماعة، والمذكر والمؤنث لأنه
مصدر، يقال: نحن البراء منك والخلاء منك.

﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يجوز أن يكون منصوباً على أنه استثناء منقطع، كأنه قال: لكن الذي فطرني وأنشأني ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾، وأن يكون مجروراً بدلاً من المجرور بمن كأنه قال: إني براء عما تعبدون إلا من الذي فطرني. وعن قتادة: (كانوا يقولون: الله ربنا مع عبادتهم الأصنام)^(١). ويجوز أن يكون (ما) موصولة في (ما تعبدون)، و﴿إِلَّا﴾ صفة بمعنى غير، ويكون التقدير: إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده، وقيل: جعلها الله^(٢). وعن الصادق عليه السلام: ((الكلمة الباقية في عقبه هي الإمامة إلى يوم القيامة))^(٣). وعن السدي: (هم آل محمد ﷺ)^(٤).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم. ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾ يعني: أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد في العمر والنعمة، فاعترفوا بالمهلة، وشغلوا باتباع الشهوات عن كلمة التوحيد. ﴿حَقَّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ وهو القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ الرسالة واضحا بها معه من المعجزات، فكذبوه وسموه ساحراً وما جاء به سحراً.

وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمَرُ
يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) تفسير الطبري ج ٢٥: ٣٨.

(٢) إعراب القرآن ج ٤: ١٠٦.

(٣) معاني الأخبار: ١٣٠.

(٤) تفسير الطبري ج ٢٥: ٣٩.

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَسْخَذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سُلْخِيًّا
وَرَحِمْتُ رِبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ
أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن
فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا
يَتَكُونُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِن كُفِّلَ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
نُفِضَ لَهُ شِطْرَانَا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتَّكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَن تَسْمِعَ الْأَصَمَّ
أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

القريتان: مكة والطائف، ﴿مِنَ الْقَرَيْنَيْنِ﴾ من إحدى القريتين، وقيل:
من رجلي القريتين وهما: الوليد بن المغيرة من مكة، وحبيب بن عمرو الثقفي
من الطائف عن ابن عباس^(١)، والوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي عن
قتادة^(٢)، وأراد بعظم الرجل رئاسته في الدنيا.

﴿أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ﴾ الهمة للإنكار والتعجب من اعتراضهم
وتحكمهم، أي: أهم المدبرون لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها،
والتولون لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بحكمته، ثم ضرب لهم مثلاً
فأعلم أنهم عاجزون عن تدبير مصالحهم في دنياهم، وأنه سبحانه قسم بينهم

(١) تفسير الطبري ج ٢٥: ٤٠.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٥: ٤٠.

معيشتهم وقدرها، وفُضِّل بعضهم على بعض فيها فجعل منهم أغنياء ومحاويج، وأقوياء وضعفاء، ليستخدم ﴿بَعْضُهُمْ﴾ بعضاً ويسخروهم في أشغالهم حتى يصلوا إلى منافعهم، ولم يولهم ذلك التدبير ولم يفوضه إليهم مع قلة خطره، فكيف يكون اختيار النبوة إليهم مع جلالة قدرها وعظم خطرها وكونها رحمة الله الكبرى؟!.

ثم قال: ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ﴾ يريد: وهذه الرحمة التي هي دين الله وما يتبعه من الفوز والثواب ﴿خَيْرٌ مِّمَّا﴾ يجمع هؤلاء من حطام الدنيا.

ثم أخبر سبحانه عن هوان الدنيا وقلة خطرها عنده فقال: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا﴾ للكفار سقوفاً ومصاعد، و﴿أَنْبِيَاءَ وَسُرُرًا﴾ من فضة [وجعلنا لهم ﴿زُخْرُفًا﴾ أي: زينة من كل شيء، والزخرف: الذهب والزينة. ويجوز أن يكون الأصل: سقفاً من فضة]^(١) وزخرف، يعني: بعضها من فضة وبعضها من ذهب، فنصب ﴿زُخْرُفًا﴾ عطفاً على محل ﴿مِنْ فَضَّةٍ﴾. وقوله: ﴿لِيُثْبِتَهُمْ﴾ بدل اشتغال من قوله: ﴿لَعَنَ يَكْفُرُ﴾ وقرئ: سَقْفًا بفتح السين وسكون القاف، و﴿سُقْفًا﴾ بضمهما، جمع سقف كرهن ورهن.

﴿وَمَعَارِجَ﴾ جمع معرج، أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد إلى العلاي، ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: على المعارج يظهرون السطوح: يعلونها كما في قوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾^(٢).

وقرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف والتشديد، فالتخفيف على أنَّ اللام هي الفارقة بين النفي والإثبات، و(إن) هي المخففة من الثقيلة وما مزيدة، والتشديد على أنَّ ﴿لَمَّا﴾ بمعنى (إلا)، و(إن) هي النافية.

(١) ساقطة من ب.

(٢) الكهف: ٩٧.

يقال: عشا يعيشو: إذا نظره نظر العشي ولا آفة به، وعشى يعشي: إذا حصلت الآفة في بصره، أي: من يتعام ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ فيعرف أنه حق ويتجاهل ﴿فَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾ [نخذه ونخل بينه وبين الشياطين، كقوله: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرُونًا﴾^(١)، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾^(٢)]. وقرئ: يقيض^(٣) بالياء، وجمع ضمير (من) وضمير الشيطان في قوله: ﴿وَلَا تَهُمَّ لِيَصُدُّوهُمْ﴾ لأن (من) مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه، فلما جاز أن يتناولوا لإيهامها غير واحد جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعاً.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ العاشي، وقرئ: جاءنا على أن الفعل له ولشيطانه. ﴿قَالَ﴾ لشيطانه: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ يريد: المشرق والمغرب، فغلب، كما قيل: القمران للقمر والشمس، قال:

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِغُ^(٤)

وبعدهما: تباعدهما، والأصل: بعد المشرق من المغرب، والمغرب من المشرق. ﴿أَنْتُمْ﴾ في موضع رفع، أي: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ﴾ كونكم مشتركين ﴿فِي الْعَذَابِ﴾.

﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ معناه: إذا صح ظلمكم وتبين.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ﴾ إنكار تعجيب، والمراد: أنت لا تقدر على إكراههم على

الإيمان.

(١) فصلت: ٢٥.

(٢) مريم: ٨٣.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) شرح ديوان الفردق ج ٢: ٥١٩.

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ
إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ
تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ
دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

(ما) في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ﴾ بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون الثقيلة، والمعنى: إن قبضناك وتوفيناك فَإِنَّا ﴿مُنْقِمُونَ﴾ منهم بعدك. وعن الحسن وقتادة: (إن الله أكرم نبيه بأن لم يره تلك النعمة، وقد كان ذلك بعده)^(١). وقد روي أنه ﷺ أرى ما تلقى أمته بعده، فما زال منقبضاً ولم ينسط ضاحكاً حتى قبض^(٢). وروى جابر بن عبد الله قال: إني لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى حين قال: ((لا ألقىكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه فقال: أو عليّ أو عليّ ثلاث مرات، فرأينا أن جبرائيل ﷺ غمزه فأنزل الله تعالى على أثر ذلك: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ ﴿بعلّي بن أبي طالب ﷺ﴾^(٣).

وإن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب فإنهم تحت قدرتنا لا يفوتونا، وقيل: إنه ﷺ رأى نعمة الله منهم يوم بدر بأن أسر منهم وقتل^(٤). ﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾ أي: تمسك بها أو حيناً ﴿إِلَيْكَ﴾ وبالعامل به ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ

(١) تفسير الطبري ج ٢٥: ٤٥.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٥: ٤٥.

(٣) شواهد التنزيل ج ٢: ١٥٢. أمالي الشيخ الطوسي ج ١: ٣٧٣.

(٤) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٦: ١٨.

مُسْتَقِيمٌ ﴿ لَا يُجِدُ عَنْهُ إِلَّا ضَالٌ .

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ وَإِنَّ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ ﴿ لَذِكْرٌ لَّكَ ﴾ لشرف لك ﴿ وَلِقَوْمِكَ ﴾ لقريش أو للعرب، يختص بذلك الشرف الأقرب منهم فالأقرب .
ولـ ﴿ سَوْفَ تُنْشَلُونَ ﴾ يوم القيامة عن قيامكم بحقه، وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين .

والمراد بسؤال الرسل النظر في أديانهم والفحص عنها: هل جاءت عبادة الأوثان قط في شيء من مللهم؟ وهذا كما قيل: سل الأرض من شق أنهارك، وعرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإثنا إن لم تحبك حواراً أجابتك اعتباراً، وقيل: إن النبي ﷺ جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم، وقيل له: سلمهم، فلم يشكك ولم يسأل^(١) .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعَا لَنَا رَبَّنَا بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمِ آلَيْسَ لِي مَلِكٌ وَمَضَىٰ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُفْتَرِينَ

﴿٥٦﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٧﴾
 فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾
 فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٩﴾

ما أجابوه به عند قوله: ﴿إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ محذوف دلّ عليه قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ وهو مطالبتهم بإتاه بالدلالة على دعواه، وأجيب (لما) بـ ﴿وَإِذَا﴾ المفاجأة، لأنّ فعل المفاجأة [معها مقدر، وهو عامل النصب في محلّها، كأنّه قال: فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت] ^(١) ضحكهم.

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ﴾ من آياته المترادفة عليهم من الطوفان [والجراد] ^(٢) والقمل والضفادع والدم والطمس.

﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا﴾ التي قبلها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان.

﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ أي: بعهده عندك من النبوة، وأنّ دعوتك مستجابة، أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى.

وقولهم: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ وعد قد نواوا خلافه، فما كانت تسميتهم بإتاه بالساحر بمنافية لقولهم: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ جعلهم محلاً لندائه، والمعنى: إنّ أمر بالنداء في محافلهم من نادى فيها بذلك، فأسند النداء إليه، كقولك: قطع الأمير اللص: إذا أمر بقطعه.

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من ج.

﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ من النيل وغيره.

﴿تَجْرِي مِنْ﴾ تحت أمري، مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون ﴿الْأَنْهَارُ﴾ عطفاً على ﴿مَلِكٌ مِصْرَ﴾، و﴿تَجْرِي﴾ نصب على الحال منها.

﴿أَمْرًا خَيْرٌ﴾ أم هذه متصلة، لأن المعنى: أفلا تبصرون [أم تبصرون] ^(١)، إلا أنه وضع قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ موضع ﴿تُبْصِرُونَ﴾ لأنهم إذا قالوا له: أنت خير فهم عنده بصراء، ويجوز أن تكون منقطعة على معنى: بل أنا خير، والهمزة للتقرير والمعنى: أثبت عندكم واستقر أي أنا خير مع أي على هذه الحالة.

﴿مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ أي: ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَاذُ يَبِينُ﴾ الكلام لما به من الرتبة ^(٢). وعن الحسن: (كانت العقدة زالت عن لسانه [كما قال: ﴿وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾] ^(٣) وإنما عيّره بها كان في لسانه) ^(٤) قبل النبوة ^(٥).

وقرى: أساوره وهي جمع أسوار على تعويض التاء من ياء أساور، وأسورة جمع سوار ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ به، من قولك: قرنته به فاقترن به، أو من قولك: اقترنوا بمعنى تقارنوا.

﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ فاستفزهم، وحقيقته: حملهم على أن يخفوا له ولما أرادهم منهم، وكذلك استفزّه فإنّ الفزّ هو الخفيف.

﴿فَلَمَّا عَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا، وغضبه سبحانه على العصاة هو إرادة

(١) ساقطة من د.

(٢) الرتبة - بالضم -: العجمة في الكلام. (الصحاح: مادة رت).

(٣) طه: ٢٧-٢٨.

(٤) ساقطة من ب.

(٥) التبيان ج ٩: ٢٠٨.

عقابهم، وقيل: معناه: آسفوا رسلنا^(١)، لأن في الأسف معنى الحزن.

وقرى: ﴿سَلَفًا﴾ جمع سالف، وسلفا جمع سليف، أي: جعلناهم قدوة لمن أتى بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم لإتيانهم بمثل أفعالهم. ﴿وَمَثَلًا﴾ أي: حديثاً عجيب الشأن، سائراً مسير المثل، يشبه غيرهم بهم.

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾
وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ
﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَوِ اعْلَمَ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُكِ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾
وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٦٥﴾

قرئ: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بضم الصاد وكسرها، واختلف في معنى الآية على وجوه:

أحدها: أنه لما نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾^(٢) قالوا: ألسنت تزعم أن عيسى نبي؟ وقد علمت أن النصراري يعبدونه، وعزير يعبد، والملائكة يعبدون، فإن كان هؤلاء في النار فقد رضىنا أن نكون نحن وأهلتنا في النار

(١) تفسير الماوردي ج ٥: ٢٣٢.

(٢) الأنبياء: ٩٨.

معهم^(١). والمعنى: ولما ضربوا عيسى بن مريم مثلاً بعبادة النصارى إياه إذا قرئش من هذا المثل (يصدون) بالكسر، أي: يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجدلاً وضحكاً، وبالضم من الصدود أي: يصدون عن الحق ويعرضون عنه من أجل هذا المثل، وقيل: من الصديد وهو الجلبة^(٢)، وهما لغتان.

﴿وَقَالُوا ۖ أَلِلهُمْ خَيْرٌ أَمْرٌ هُوَ﴾ أي: ليست آلهتنا عندك خيراً من عيسى، فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هيناً، ما ضربوا هذا المثل لك إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المعرفة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ دأبهم الخصومة واللجاج. وذلك أن قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾^(٣) ما أريد به إلا الأصنام، ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة.

وثانيها: إتهم لما سمعوا أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، قالوا: نحن أهدي من النصارى، لأنهم عبدوا آدمياً ونحن نعبد الملائكة، فنزلت^(٤). فعلى هذا يكون في قولهم: ﴿أَلِلهُمْ خَيْرٌ أَمْرٌ هُوَ﴾ تفضيل آلهتهم على عيسى وما قالوا هذا القول إلا للجدل. أو يكون ﴿جَدَلًا﴾ حالاً بمعنى: جدلين.

وثالثها: أن النبي ﷺ لما مدح المسيح وأمه قالوا: ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبد كما عبدت النصارى المسيح^(٥).

ومعنى ﴿يَصْدُوتُ﴾: يضجرون ويصيحون. والضمير في ﴿أَمْرٌ هُوَ﴾

(١) أسباب النزول: ٢٦٧.

(٢) تهذيب اللغة ج ١٢: ١٠٣.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

(٤) الكشف ج ٤: ٢٦٠.

(٥) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٥: ٥١.

لمحمد ﷺ، وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والاستهزاء. والمروي عن أهل البيت (عليه السلام): ((إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) قَالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَوَجَدْتَهُ فِي مَلَأَ مِنْ قَرِيشَ، فَنَظَرَ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّمَا مِثْلُكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمِثْلِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، أَحَبَّهُ قَوْمٌ وَأَفْرَطُوا فِي حُبِّهِ فَهَلَكُوا، وَأَبْغَضَهُ قَوْمٌ وَأَفْرَطُوا فِي بَغْضِهِ فَهَلَكُوا، وَاقْتَصَدَ فِيهِ قَوْمٌ فَنَجَّوْا، عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَضَحِكُوا، فَزَلَّتْ الْآيَةُ))^(١).

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ أي: ما عيسى إلا عبد كسائر العبيد.

﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ حيث ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم، وشرّفناه بالنبوّة، وصيّرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ﴿لِكَيْ يُسْـرَّكَ بِكَ﴾. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾ لقد رتنا على عجائب الأمور.

﴿جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أي: لولدنا منكم يارجال ﴿مَلَائِكَةً﴾ يخلفونكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [كما يخلفكم أولادكم، كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فعل، أو لجعلنا بدلاً منكم يا بني آدم ملائكة يخلفونكم في الأرض]^(٢)، ويكون ﴿مِنْكُمْ﴾ في الآية مثل ما في قول الشاعر:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ^(٣)

أو لجعلناكم أيها البشر ملائكة، فيكون ﴿مِنْكُمْ﴾ من باب التجريد، ويكون فيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنية البشر إلى بنية الملائكة.

﴿وَلِئِنَّهُ﴾ وَإِنَّ عِيسَى ﴿لَعَلَّمْ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: شرط من أشراطها تعلم به،

(١) تفسير فرات: ٤٠٤، أمالي الشيخ الطوسي ج ١: ٣٥٤.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) البيت ليعلى الأحوال الأزدي. خزانة الأدب ج ٥: ٢٧٦.

فسمي الشرط علماً لحصول العلم به، وقرأ ابن عباس: **وَإِنَّهُ لَعَلَّم أَي: علامة وأمارة.**

﴿فَلَا تَعْتَرِكُ بِهَا﴾ فلا تشكوا فيها ولا تكذبوا بها. وفي الحديث: ((إِنَّ عيسى ﷺ ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: أفيق، وعليه مصرتان، وشعر رأسه ذهبن، ويده حربة وبها يقتل الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام ﷺ يوم بهم، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنازير^(١)، ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به. كذا وجدته في الكشف^(٢). وعن الحسن: (إِنَّ الضمير للقرآن وبه تعلم الساعة لأن فيه الإعلام بها)^(٣).

﴿وَأَتَّبِعُونِ﴾ هو أمر لرسول الله ﷺ أن يقوله، أي: واتبعوا شرعي وهداي، أو معناه: واتبعوا رسولي.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات الدالة على نبوته.

﴿وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو ما احتاجوا إليه من أمور الدين وما تعبدوا بمعرفته دون ما اختلفوا فيه من أمور الدنيا.

و﴿الْأَحْزَابِ﴾: الفرق المتحيزة بعد عيسى.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
 (٦٦) الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧)
 يَنْعِبَادُوا لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ الْيَوْمَ وَلَا أَتَمُّ مَحْزُونُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا

(١) في ب: الجبارين.

(٢) الكشف ج ٤: ٢٦١، الكشف والبيان ج ٨: ٣٤١.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٥: ٥٤.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٧﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّىٰ هِيَ الْإِنفُسُ وَلَكُلَّ الْأَعْيُنِ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٨﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَا ظَنَنْتُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٣﴾ وَنَادَا يَمْلِكُ لِيَفْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ ﴿٧٤﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٥﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٦﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُفُونَ ﴿٨٠﴾

﴿أَن تَأْيِيَهُمْ﴾ بدل من ﴿السَّاعَةِ﴾، ﴿بَغْتَةً﴾ أي: فجأة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ معناه: وهم غافلون لا اشتغالهم بأمر دنياهم.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ينتصب بـ ﴿عَدُوٌّ﴾ أي: ينقطع في ذلك اليوم كل خلة فتقلب عداوة إلا خلة ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ المتخالين في الله، فإنها الخلة الباقية تزداد وتتأكد.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ منصوب الموضع صفة لـ ﴿عِبَادٍ﴾ لأنه منادى مضاف.

﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين، جاعلين

نفوسهم سالمة لطاعتنا.

﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ اللاتي كن مؤمنات مثلكن.

﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي: تسرون سروراً يظهر حباره أي: أثره على وجوهكم،

كقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾^(١).

والصحاف: القصاع، والأكواب: الكيزان لا عرى لها، وقيل: هي الآنية المستديرة الرؤوس^(٢)، ﴿وَفِيهَا﴾ الضمير لـ ﴿الْجَنَّةِ﴾. وقرئ: ما تشتهي و﴿مَا شَتَّيْهِ﴾ وهذا حصر لأنواع النعم، لأنها إما مشتهاة في القلوب، وإما مستلذة في العيون.

﴿وَنَلَّكَ﴾ إشارة إلى الجنة المذكورة، وهي مبتدأ و﴿الْجَنَّةُ﴾ خبر، و﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ صفة لـ ﴿الْجَنَّةِ﴾، أو ﴿الْجَنَّةُ﴾ صفة لـ ﴿نَلَّكَ﴾ و﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ خبر، أو ﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ صفة لـ ﴿الْجَنَّةِ﴾ و﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ خبر المبتدأ والباء يتعلق بمحذوف. وفي الوجه الأول يتعلق بـ ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ وشبّهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة.

﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: (من) للتبعض، أي: لا تأكلون إلا بعضها. وفي الحديث: ((لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلها))^(٣).

﴿مُتْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير.

وروي عن عليؑ وابن مسعود: يا مال بحذف الكاف للترخيم، أي: ﴿يَمْلِكُ﴾ سل ربك أن يقضي علينا، أي: يمتنا لتتخلص ونستريح مما بنا، فيقول مالك: ﴿إِنَّكُمْ مَنِكُمْ تَكُونُونَ﴾ لا بثون دائمون.

﴿لَقَدْ جَنَّتْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ هو كلام مالك، وإنما قال: جئناكم لأنه من الملائكة،

(١) المطففين: ٢٤.

(٢) عن مجاهد. تفسير الماوردي ج ٥: ٢٣٨.

(٣) البحر الزخار ج ١٠: ١٢٣ باختلاف يسير.

وقيل: إنه كلام الله عز وجل^(١)، وعلى هذا فيكون في ﴿قَالَ﴾ ضمير الله، لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجاheim الله بذلك.

﴿أَمْ﴾ منقطعة أي: بل ﴿أَبْرَمُوا﴾، أي: أحكم الملا من قريش ﴿أَمْرًا﴾ أي: كيدا في الخلاف عن أمرك ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم.

والسر: ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال، و النجوى: ما تكلموا به فيما بينهم، وقيل: السر: ما يضمم الإنسان في نفسه، والنجوى: ما يحدث به غيره في الخفية^(٢).

﴿بَلَى﴾ نسمعها ونطلع عليها ﴿وَرُسُلَنَا﴾ الحفظة مع ذلك عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ما يكيدونه ويبيتونه. وقد روي عنهم^(٣) السبب في نزول الآيتين^(٣).

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا
حَقٌّ يُلْقَوُا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ
وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ
بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى
يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ
عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(١) التبيان ج ٩: ٢١٧.

(٢) (الصباح: مادة سر، نجا)

(٣) ينظر: الكافي ج ٨: ١٨٠.

﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ إن صحَّ ذلك وثبت ببرهان صحيح ﴿فَأَنَّا أَوَّلُ﴾ من يعظم ذلك الولد ويطيعه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه، وهو وارد على سبيل الفرض والتقدير للمبالغة في نفي الولد، لأنَّه تعليق للعبادة بكيونة الولد وهو محال، فالمعلّق به محال مثله، فهو في صورة الإثبات والمراد النفي على أبلغ الوجوه.

وقيل: معناه: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أوّل العابدين الموحدين لله المكذّبين قولكم^(١).

وقيل: فأنا أوّل الأنفين من أن يكون له ولد أو من عبادته، لأنّ من كان له ولد لا يكون إلا محدثاً جسماً غير مستحقّ للعبادة، من: عبد يعبد: إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد^(٢).

وقيل: هي إن النافية، أي: ما كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين لله^(٣).

ثمّ نزه نفسه عما يصفونه من اتخاذ الولد. التقدير: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، ف﴿إِلَهُ﴾ خبر المبتدأ العائد إلى الموصول، وهو اسم ضمّن معنى الوصف، فلذلك علّق به الظرف في قوله: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كما يقول: هو حاتم في طي وحاتم في تغلب، على تضمين معنى الجواد الذي هو مشهور به، ومثله قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤) فكانت قلت: هو المعبود أو المالك أو نحو ذلك، وحذف هو العائد لطول الكلام بالصلة كقولهم:

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٥: ٦٠.

(٢) عن الكسائي. تفسير الماوردي ج ٥: ٢٤١.

(٣) عن زيد بن أسلم وغيره. تفسير الطبري ج ٢٥: ٦١.

(٤) الأنعام: ٣.

ما أنا بالذي قائل لك شيئاً، وزاده طولاً هاهنا أَنَّ المعطوف داخل في حيز الصلة.
﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ آهتهم ﴿الَّذِينَ﴾ يدعونهم من دون الله ﴿الشَّفَعَةَ﴾ كما
زعموا أَنهم شفاعؤهم عند الله لكن ﴿مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ وهو توحيد الله، وهو يعلم
ما يشهد به عن بصيرة وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة، وهو استثناء منقطع.
ويجوز أن يكون متصلاً لَأَنَّ في جملة: الذين يدعون من دون الله الملائكة.
وقرئ: تدعون بالتاء.

﴿وَقِيلَهُ﴾ قرئ بالنصب والجر، وعن مجاهد: بالرفع. والنصب للعطف
على موضع ﴿السَّاعَةِ﴾، والجر على اللفظ، أي: وعنده علم الساعة وقيله وقيله،
كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرواً وعمرو. والمعنى: يعلم الساعة ومن
يصدق بها ويعلم قيله، لَأَنَّ الساعة ليست بظرف وإنما هي مفعول بها، والرفع
للعطف أيضاً على تقدير حذف المضاف أي: وعلم قيله، أو على الابتداء والخبر
محذوف، والتقدير: وقيله يا رب مسموع ومتقبل، أو وقيله قيل يا رب، وحمل
الأخفش النصب على ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ وقيله^(١)، وعنه أيضاً: أَنَّهُ
على تأويل: وقال قيله^(٢). وقال جار الله: الجر والنصب على إضمار حرف القسم
وحذفه، والرفع على قولهم: أيمن الله، ولعمرك، ويكون قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم، فكأنه قال: وأقسم بقيله يا رب، أو وقيله يا رب قسمي
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

﴿فَاصْفَحْ﴾ أي: أعرض عنهم بصفحة وجهك.

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٤٢١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٤٢١.

(٣) الكشاف ج ٤: ٢٦٨.

﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلَامٌ﴾ أي: تسلم منكم ومتاركة.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد، وقرئ بالتاء أيضاً.

سورة الدخان

مكية، وهي تسع وخمسون آية، سبع بصري، ﴿حم﴾ و﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُنَّ﴾ كوفي.

في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة الدخان) في ليلة الجمعة غفر الله له))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأها في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة، وأظله تحت ظل عرشه، وحاسبه حساباً يسيراً، وأعطى كتابه بيمينه))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝٣
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٥ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا
إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٦ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ، هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٧
رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝٨ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝٩ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝١٠ بَلْ
هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝١١

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ جواب القسم ﴿فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر وهو

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٣٤٨ عن أبي هريرة.

(٢) نواب الأعمال: ١١٤.

الصحيح، وقيل: ليلة النصف من شعبان^(١). ومعنى إنزال الله القرآن في ليلة القدر أنه أنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا فيها، وكان جبرئيل ينزله إلى رسول الله ﷺ نجومًا، وقيل: كان ينزل ما يحتاج إليه في كل سنة في هذه الليلة، ثم كان ينزل شيئاً فشيئاً وقت الحاجة.

وسميت مباركة لأن فيها يقسم الله نعمه على عباده فتدوم بركاتها، والبركة: نماء الخير، والمباركة: الكثيرة الخير، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن لكفى به بركة.

﴿فِيهَا يُفَرَّقُ﴾ أي: يفصل ويكتب.

﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ كل شأن ذي حكمة، أي: مفعول على ما تقتضيه الحكمة من أرزاق العباد وآجالهم وغير ذلك من أمور السنة إلى الليلة الأخرى القابلة، ووصف الأمر بالحكيم مجاز؛ لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة. وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، ﴿يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ جملتان مستأنفتان ملفوفتان فتر بهما جواب القسم، كأنه قيل: إنا أنزلناه لأن من شأننا الإنذار، وأنزلناه في هذه الليلة خصوصاً لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم. ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ نصب على الاختصاص، أي: أعني أمراً حاصلًا من عندنا على ما اقتضته [حكمتنا وتديرينا، ويجوز أن يراد به الأمر ضد النهي فوضع موضع مصدر ﴿يُفَرَّقُ﴾ من حيث أن الأمر والفرقان واحد، لأن من حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه، أو جعل حالاً من أحد الضميرين في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: أنزلناه في حال كونه أمراً بما يجب أن يفعل، أو أنزلناه أمرين.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، و﴿رَحْمَةً مِّنْ

رَزَيْكَ ﴿١٠﴾ مفعول له. والمعنى: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِنَا إِرسَال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، أو أن يكون تعليلاً لـ ﴿يُفَرِّقُ﴾، أو لقوله: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾، و﴿رَحْمَةً﴾ مفعولاً به، أي: يفرق في هذه الليلة كل أمر وتصدر الأوامر من عندنا، لأنَّ من عادتنا أن نرسل رحمتنا، وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة، وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وجل؛ لأنَّ الغرض من تكليف العباد تعريضهم للمنافع، والأصل: إِنَّا كُنَّا مرسِلين رحمة منا، فوضع الظاهر موضع المضمر إيداناً بأنَّ الربوبية تقتضي^(١) الرحمة على المربوبين.

﴿إِنَّهُ، هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه.

وقرئ: رَبِّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبِّكُمْ، وَرَبَّ آبَائِكُمْ، بالجذر بدلاً من ﴿رَزَيْكَ﴾.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي: إن كان إقراركم بأنَّ للسموات والأرض رباً وخالقاً عن معرفة وإيقان.

ثم رد كونهم موقنين بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ أي: إقرارهم لا يصدر عن علم وحقيقة بل هو قول مخلوط بلعب وهزء.

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ
هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ
وَقَالُوا مُعَلَّجُ الْمَتْنُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ
﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ

فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ
أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ
إِنِّي أَنَا إِلَهُكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ
﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ فَأَعَزِّلُونِي ﴿٢١﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ مفعول به ﴿فَارْتَقِبْ﴾ يقال: رقبته وارقبته.

واختلف في الدخان، فقيل: إنه دخان يأتي من السماء قبل قيام الساعة يدخل
في أسباع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد^(١)، ويعتري المؤمن منه
كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار ليس فيه خصاص^(٢)،
ويمتد ذلك أربعين يوماً، روي ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس والحسن^(٣). وقيل:
إن رسول الله ﷺ دعا على قومه لما كذبوه فقال: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر،
واجعلها عليهم سنين كسني يوسف))، فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف
والعلهز^(٤)، وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان، وكان يحدث الرجل
فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان، فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه بالله
والرحم، وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا، فلما كشف عنهم رجعوا
إلى شركهم، وروي ذلك عن ابن مسعود^(٥).

(١) الحنيد: الذي يقطر ماؤه وقد شوي. (لسان العرب: مادة حنذ)

(٢) الخصاص: شبه الكوة في قبة أو نحوها. (لسان العرب: مادة خصص)

(٣) الدر المنثور ج ٦: ٢٩.

(٤) العلهز - بالكسر -: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة. (الصحيح: مادة
علهز).

(٥) تفسير الطبري ج ٢٥: ٦٧.

﴿يَعْثَى النَّاسُ﴾ أي: يشملهم ويلبسهم، وهو في محل الجر صفة لـ ﴿دُخَانٍ﴾ أي: يقولون: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾، ويقولون المحذوف نصب على الحال أي: قائلين ذلك.

﴿وَإِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ موعدة بالإيمان إن كشف العذاب عنهم.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ كيف يذكرون ويتعظون ويفنون بوعدهم ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ ما هو أعظم من كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات القاهرة، فلم يذكروا ﴿وَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ وبهتوه، بأن غلاماً أعجمياً اسمه عداس هو الذي علمه، ونسبوه إلى الجنون.

ثم قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ عذاب الجوع والدخان ﴿فَلْيَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: ريثما يكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم، لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من الابتهاال والتضرع. ومن جعل الدخان قبل يوم القيامة قال في قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾: إنه إذا أتت السماء بالدخان تضرع المعذبون به وقالوا: ربنا اكشف عنا العذاب إِنَّا مَنِيُونَ مُؤْمِنُونَ، فيكشفه الله عنهم، وريثما يكشفه عنهم يرتدون.

ثم قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَاطِلَةَ﴾ يريد: يوم القيامة، كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾^(١).

﴿وَإِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ ننتقم منهم في ذلك اليوم، فانتصب ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ بما دل عليه ﴿وَإِنَّا مُنْقِمُونَ﴾، لأن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها. وقرئ: ﴿نَبْطِشُ﴾ بضم الطاء وكسر ها.

﴿وَلَقَدْ فتنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معنى الفتنة: إنه أمهلهم ووسع عليهم

الرزق، فكان ذلك سبباً لانهاكهم في المعاصي، أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا، فاختاروا الكفر على الإيمان.

﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ على الله، أو كريم الأخلاق والأفعال.

﴿أَنْ أَدُوا﴾ هي (أن) المفسرة، لأنه لا يجيء الرسول قومه إلا مبشراً ونذيراً، فيتضمن معنى القول، أو هي مخففة من الثقيلة أي: جاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلي.

و﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مفعول به وهم بنو إسرائيل، أي: أدوهم إلي وأرسلوهم معي، أو أدوا إلي يا عباد الله ما يجب عليكم من الإيمان بي وقبول دعوتي، وعلل ذلك بأنه ﴿رَسُولٌ آمِنٌ﴾ قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾: (أن) هذه مثل الأولى، أي: لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه.

وقرئ: عذت بالإدغام ومعناه: إنه عائد بربه، معتصم به من كيدهم، فلا يكثرث بتهددهم بالقتل والرجم.

﴿وَإِنْ فَاعِلُونَ﴾ يريد: ﴿إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ بي فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصلة بيني وبينكم، أو فخلوني كفافاً لا علي ولا لي، ولا تتعرضوا لي بشرككم وأذاكم، فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه صلاحكم وفلاحكم ذلك.

فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِ يَسَارَى لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا
مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْوُونَ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعَمَ كَانُوا فِيهَا
فَكَهِينٌ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ

أَسْمَاءَ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ مِنَ
الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ
﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَلَيْنَاهُمْ مِنَ
الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾

﴿فَدَعَا رَبُّهُ﴾ فقال: إِنَّ ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ أي: مشركون لا يؤمنون.

﴿فَأَنزَلَ بِعِبَادِي﴾ فيه وجهان: إضمار القول [بعد الفاء فقال: أسر، وأن

يكون جواب شرط محذوف نحو: إن كان الأمر كما تقول] ^(١) فأسر بعبادي.

﴿رَهْؤًا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أَنَّهُ السَّاكِنُ ^(٢)، قال الأعشى:

يَمْشِينَ رَهْؤًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلُّمٌ ^(٣)

أي: مشياً ساكناً على هنية، أراد موسى ﷺ لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه

فينطبق كما ضربه فانفلق، فأمره سبحانه أن يتركه ساكناً قاراً على حاله من انتصاب

الماء وكون الطريق يساً ليدخله القبط فيغرقوا، وقيل: الرهوة: الفجوة الواسعة ^(٤)،

أي: أتركه مفتوحاً على حاله.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ومجلس خدير ومنزل بهي ونعمة وتنعم وسعة في العيش.

﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها،

أو في موضع الرفع، أي الأمر كذلك.

(١) ساقطة من ج.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ٣٥٢.

(٣) ديوان الأعشى: ٢٥٣.

(٤) عن مجاهد. تفسير السمرقندي ج ٣: ٢٥٧ بالمعنى.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يجل رزؤه ويعظم فقده فيقال فيه: بكى عليه السماء.

﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ أي: ممهلين.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من قوله: ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ كأنه في نفسه كان عذاباً مهيناً لإفراطه في تعذيبهم، ويجوز أن يكون ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ حالاً من ﴿الْعَذَابِ﴾ أي: واقعاً من جهة فرعون.

﴿عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: كبيراً رفيع الطبقة من بينهم بليغاً في إسرافه، أو عالياً متكبراً، و﴿مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ خبر ثان كأنه قال: كان متكبراً مسرفاً.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال أي: عالين بمكان الخيرة، وبأنهم أحقاء بالاختيار.

﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ على عالمي زمانهم.

﴿وَأَتَيْنَهُم مِّنَ الدَّلَالَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ﴾ مَا فِيهِ بَلَكُوا مُبِيرٌ ﴿نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر للنظر كيف يعملون.

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعْشِرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَنُؤَا بِأَبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْبِ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يَغْنَىٰ مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ

يُصْرَوْنَ ﴿١١﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾
 إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿١٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿١٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي
 فِي الْبُطُونِ ﴿١٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿١٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ
 الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿١٨﴾
 ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ
 تَمْتَرُونَ ﴿٢٠﴾

ثم رجع سبحانه إلى ذكر من ذكرهم في أول السورة من كفار قريش، فقال:
 ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ أَي: ما الموتة﴾ ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى﴾ نموتها في الدنيا ثم
 لا بعث بعدها ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ بمبعوثين ولا معادين.

﴿فَأَنؤُا بِتَابِئِنَا﴾ الذين ماتوا قبلنا وأعيدوهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن
 الله يعيد الأموات، وقائله أبو جهل قال: إن كنت صادقاً فابعث جدك قصي بن
 كلاب، وهذا جهل من أبي جهل؛ لأنَّ النشأة الثانية إنَّها وجبت للجزاء لا للتكليف،
 وليست هذه الدار بدار جزاء بل دار تكليف، فكأنَّه قال: إن كنت صادقاً في إعادتهم
 للجزاء فأعدهم للتكليف، فلذلك عدل عن مقابلته إلى الوعيد والوعظ بما هو أعود
 عليه فقيل: ﴿أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ﴾ أي: أهم أكثر عدداً وعدةً ونعمة وقوة كقوله:
 ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾^(١) بعد ذكر آل فرعون، وهو تبع الحميري، كان مؤمناً
 وقومه كافرين، وهو الذي سار بالجيوش حتى حير الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها
 ثم بناها، وكان إذا كتب كتب: باسم الله الذي ملك براً وبحراً وضحاً وريحاً، ذم
 الله قومه ولم يذمه. وعن الصادق عليه السلام: ((إِنْ تَبِعَ قَالُ لِلأَوْسِ وَالخَزْرَجِ: كُونُوا هَاهُنَا

حتى يخرج هذا النبي، أما أنا فلو أدركته لخدمته وخرجت معه»^(١).

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يريد: وما بين الجنسين.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ ميقات حسابهم وجزائهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى﴾ أي مولى كان من قرابة وغيرها ﴿عَنْ﴾ أي ﴿مَوْلًى﴾ كان ﴿شَيْئًا﴾ من إغناء، [أي قليلاً منه]^(٢).

﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ الضمير للموالي؛ لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى.

﴿مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ في محلّ الرفع على البدل من الواو في ﴿يُصْرُونَ﴾، أي: لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله، إما بأن يسقط عقابهم ابتداءً، أو يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له بشفاعته.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. ويجوز أن يكون ﴿مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ منصوباً على الاستثناء.

و﴿الْأَشِيرُ﴾: الآثم، وقيل: هو أبو جهل^(٣)، وروي أنه أتى بتمر وزبد فجمع بينهما وأكل وقال: هذا هو الزقوم الذي يخوفنا محمد به ونحن نتزقمه أي: نملاً أفواهنا به^(٤).

﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو المذاب من النحاس، وقيل: هو دردي الزيت^(٥)، وقرئ:

(١) إكمال الدين: ١٦٨.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) عن مجاهد. تفسير الماوردي ج ٥: ٢٥٧.

(٤) التبيان ج ٩: ٢٣٩.

(٥) عن ابن عباس. معاني القرآن للنحاس ج ٦: ٤١٢.

﴿يَغْلِي﴾ بالياء والتاء، فمن قرأ بالتاء فعلى الشجرة، ومن قرأ بالياء حملة على الطعام، لأن الطعام هو الشجرة في المعنى، ولا يحمل على المهل بل على المشبه بالمهل، والكاف في محل الرفع خبر بعد خبر، وكذلك يغلي.

يقال للزبانية: ﴿خُذُوهُ فَأَعِثُّوهُ﴾ فقودوه بعنف، وهو أن يؤخذ بتلابيب الرجل فيجرّ إلى قتل أو حبس، ومنه: العتل، وقرئ بكسر التاء وضمها.

﴿إِن سَوَاءَ الْجَحِيمِ﴾ إلى وسطها ومعظمها، وسمي وسط الشيء سواء لاستواء المسافة بينه وبين أطرافه المحيطة به. ويجوز أن يكون الصب على طريق الاستعارة كقول الشاعر:

صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ^(١)

وكقوله: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾^(٢).

يقال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ على سبيل الهزاء والتهكم لمن كان يتعزّز ويتكبر على قومه. وروي أنّ أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أعزّ ولا أكرم مني^(٣). وقرئ: أنّك بالفتح أي: لأنك.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ العذاب، أو إنّ هذا الأمر هو ﴿مَا كُنْتُمْ بِوَيْءِ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تشكون فيه، أو تتمارون وتتلاحون بسببه.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾
يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ

(١) ديوان البحرني: ٣٠، وفيه: والمرء لو كانت الشعرى له وطناً حطت

(٢) البقرة: ٢٥٠

(٣) الكشف والبيان ج ٨: ٣٥٦.

وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ
ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ
الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِنَ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْتَهُ لِسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

قريء ﴿مَقَامٍ﴾ بالفتح وهو موضع القيام، وبالضم وهو موضع الإقامة،
والأمين في وصف المكان مستعار، لأن المكان المخيف كأنها يخوف صاحبه مما يلقي
فيه من المكاره.

قالوا: السندس: ما رقّ من الديباج، والاستبرق: ما غلظ منه^(١)، وهو
معرب استبر، وإنها ساغ وقوع اللفظ الأعجمي في القرآن، لأن معنى التعريب أن
يجعل عربياً بالتصرّف فيه وإجرائه على وجوه الإعراب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف مرفوعة، أي: الأمر كذلك، أو منصوبة أي: مثل
ذلك آتيناهم.

﴿وَزَوَّجْنَهُمْ﴾ وعن الأخفش: (هو التزويج المعروف)^(٢)، وعن غيره: لا
يكون في الجنة تزويج، والمعنى: وقرناهم ﴿بِحُورٍ﴾^(٣).

﴿يَدْعُونَ﴾ أي: يستدعون فيها أي ثمرة شأووه واشتهوه ﴿ءَامِنِينَ﴾ من
نفادها ومضرّتها، غير خائفين فوتها.

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٣٥٦.

(٢) معاني القرآن للأخفش ج ٢: ٥١٦.

(٣) مجاز القرآن ج ٢: ٢٠٩.

أي: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ ألبتة، فوضع قوله: ﴿إِلَّا الْمَوْتَ الْأَوَّلَ﴾ موضع ذلك، لأن الموت الماضي لا يمكن ذوقها في المستقبل، وهو من باب التعليق بالمحال، فكأنه قال: إن كانت الموت الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فأنهم يذوقونها.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: تفضلاً منه وعطاء وثواباً. يعني: كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار.

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ﴾ معناه: ذكرهم بالكتاب المبين فإنما سهلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك، حيث أنزلناه عربياً ليسهل عليك وعلى قومك تفهمه والتذكر به.

﴿فَأَرْقَبَ﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ ما يحل بك ومرتصون بكم الدوائر، وقيل: انتظر نصرك عليهم فإنهم ينتظرون خلافة بزعمهم^(١).

سورة الجاثية

مكية إلا آية نزلت بالمدينة: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ سبع وثلاثون آية كوفي، ست في غيرهم، ﴿حم﴾ كوفي.
 في حديث أبي: ((ومن قرأ (حم الجاثية) ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها كان ثوابها أن لا يرى النار أبداً، وهو مع محمد ﷺ))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِن دَابَّهِ ءَايَاتٌ
 لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَخَلَّافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن
 رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ٥ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ
 يُؤْمِنُونَ ٦

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ﴾ يجوز أن يكون على ظاهره، وأن يكون بمعنى إن في خلق

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٣٥٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٤.

السموات لقوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾.

وقرى: ﴿مَآئِنْتُ﴾ بالرفع والنصب في الموضعين: فأما الأول فعلى قولك: إِنَّ الدار لزيداً وفي البيت عمراً، أو في البيت عمرو. وأما الثاني وهو قوله: ﴿مَآئِنْتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فمن العطف على عاملين مختلفين سواء نصبت أو رفعت، فالعاملان إذا نصبت هما: (إِنَّ) و(فِي)، وإذا رفعت فالعاملان: الابتداء و(فِي)، عمل الابتداء الرفع في ﴿مَآئِنْتُ﴾ وعمل (فِي) الجر في ﴿أَخْلَيْفُ﴾. والعطف على عاملين شديد سائغ على مذهب الأخفش^(١)، فأما سيبويه فلا يميزه، ومخرج الآية على مذهبه أن يقدر (فِي) ويضمّر، لأن ذكره قد تقدّم في الآيتين قبله كما قدره سيبويه في قول الشاعر:

أَكْلُ امْرِئٍ تَحْسِبِينَ امِراً وَنَارٍ تَأْجُجُ بِاللَّيْلِ نَاراً^(٢)

وقال: إِنَّ (كل) في حكم الملفوظ واستغني عن إظهاره بتقدّم ذكره^(٣).

أو يحمل ﴿وَأَخْلَيْفُ أَيْلٍ﴾ على في المتقدّم ذكرها ويجعل ﴿مَآئِنْتُ﴾ على التكرار لطول الكلام، كما قيل في (أن) الثانية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾^(٤)، أو ينتصب على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفاً على ما قبله، أو يرتفع بإضمار (هي)، فهذه ثلاثة أوجه.

﴿يَلِكُ﴾ إشارة إلى الآيات المتقدمة، أي: تلك الآيات ﴿مَآئِنْتُ اللَّهِ﴾.

و﴿تَلَوْهَا﴾ في محل الحال أي: متلوّة عليك بالحقّ، والعامل في الحال معنى

(١) المقتضب ج ٤: ١٩٥.

(٢) البيت لأبي دود الإيادي. الشعر والشعراء ج ١: ٢٣٩.

(٣) الكتاب ج ١: ٦٦.

(٤) التوبة: ٦٣.

الإشارة.

﴿بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ﴾ أي: بعد آيات الله كما قالوا: أعجبني زيد وكرمه. والمراد: أعجبني كرم زيد. ويجوز أن يراد: فبأي حديث بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾^(١)، وآياته أي: أدلته الفاصلة بين الحق والباطل.

وَنَبِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ عَذَابٍ إِلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن رَّوَّابِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾

الأفَّاك: الكثير الإفك، وهو الكذب.

﴿يُصِرُّ﴾ يقبل على كفره ويقيم عليه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان بالآيات وعن الانقياد للحق.

﴿كَأَن﴾ مخففة من الثقيلة أي: كأنه ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ والضمير ضمير الشأن والحديث، والجملة في محلّ النصب على الحال، أي: يصّر مثل غير السامع. ﴿وَإِذَا﴾ بلغه شيء ﴿مِّنْ ءَايَاتِنَا﴾ وعلم أنه منها ﴿اتَّخَذَهَا﴾ أي: اتخذ الآيات ﴿هُزُوًا﴾ ولم يقل: اتخذها، للإيذان بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة

الآيات التي أنزلها الله على رسوله استهزأ بجميع الآيات، ولم يقتصر على الاستهزاء بها بلغة.

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى كل ﴿أَفَّاكٍ أَثِيرٍ﴾.

والوراء: اسم للجهة التي يوارىها الشخص من خلف أو قدام، والمعنى: من قدامهم جهنم.

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ وحصلوه من الأموال في متاجرهم ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام.

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى القرآن.

﴿هُدًى﴾ أي: دلالة موصلة إلى الحق كاملة في الهداية، كما تقول: زيد رجل، أي: كامل في الرجولية وأتيا رجل.

والرجز: أشد العذاب، وقرئ بجر ﴿أَلِيُّهُ﴾ ورفع.

ثم دلّ سبحانه على توحيده فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ أي: السفن ﴿فِيهِ﴾، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان، واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر.

وقوله: ﴿وَمِنَهُ﴾ واقعة موقع الحال، والمعنى: سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده، والمعنى: إنه مكوّنها وموجدتها بقدرته ومسخرها لخلقها. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي جميعاً منه، وأن يكون ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مبتدأ و﴿وَمِنَهُ﴾ خبره.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ

وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَدَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَعَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا
اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾
ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ
الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا
بَصَيِّرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

أي: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ اغفروا ﴿يَغْفِرُوا﴾ فحذف المقول لدلالة جوابه عليه.

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أي: لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه، وهو من قوْلهم: أَيَّامُ الْعَرَبِ لَوْ قَاتَعْتَهُمْ، وقيل: لا يأملون الأوقات التي وقَّتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها.

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ تعليل الأمر بالمغفرة، أي: إِنَّا أَمَرُوا بِأَنْ يَغْفِرُوا لِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ تَوْفِيَّتِهِمْ جَزَاءً مَغْفِرَتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَنَكَرَ ﴿قَوْمًا﴾ والمراد به الَّذِينَ آمَنُوا لِلشَّاءِ عَلَيْهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: لِيَجْزِيَ قَوْمًا أَيُّهَا قَوْم، أَوْ قَوْمًا مَخْصُوصِينَ لَصَبْرِهِمْ وَإِغْضَائِهِمْ عَلَىٰ أَذَىٰ أَعْدَائِهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ بِاحْتِمَالِ الْمَكَارِهِ وَكُظْمِ الْغَيْظِ. وقرئ: لَنَجْزِيَ بِالنُّونِ، وقرئ: لِيَجْزِيَ قَوْمًا عَلَىٰ مَعْنَى: لِيَجْزِيَ الْجَزَاءَ قَوْمًا.

﴿وَزَدَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يريد ما أحلَّ لهم وأطاب من الأرزاق.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في كثرة الأنبياء منهم.

﴿وَمَا يَتَّبِعُهُمْ بَيِّنَاتٌ﴾ آيات معجزات ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾ من أمر الدين.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ فيما وقع بينهم الخلاف في الدين ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ﴾

ما يوجب رفع الخلاف وهو ﴿الْعِلْمُ﴾، وإنما اختلفوا لبغي حدث بينهم، أي: لعداوة وحسد.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ أي: طريقة ومنهاج ﴿مِّنَ﴾ أمر الدين، وأصله:

الشرعة التي هي الطريق إلى الماء.

﴿فَاتَّبَعَهَا﴾ أي: فاتبع شريعتك الثابتة بالبراهين والمعجزات ﴿وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَاءَ﴾ الجهال من قومك ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إن اتبعت أهواءهم.

﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصِيرَةً لِلنَّاسِ﴾ [جعل سبحانه ما فيه من معالم الدين

والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب، كما جعله روحاً وحياة ﴿وَهَدَى﴾ وهو هدى للناس] ^(١) ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّجْيًاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿١١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَلِيُخْرِجَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢﴾
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ. وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْدِلُهَا إِلَّا
الَّذَهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بِنَابِئِنَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾

﴿آم﴾ منقطعة، ومعنى الهمة فيها إنكار الحسبان، والاجتراح: الاكتساب.

﴿أَنْ يَجْمَعَهُمْ﴾ أن نصيرهم، وهو من جعل الذي يتعدى إلى مفعولين،

فالأول الضمير والثاني الكاف.

والجملة التي هي ﴿سَوَاءٌ نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بدل من الكاف، لأن الجملة
تقع مفعولاً ثانياً، فكانت في حكم المفرد. ومن قرأ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب جعل سواء
مثل مستوياً، ويكون ﴿نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ رفعا على الفاعلية، والمعنى: إنكار أن
يستوي المسيئون والمحسنون محياً وأن يستووا مماتاً، لافتراق أحوالهم أحياء حيث
عاشوا على الحالتين المختلفتين: هؤلاء على الطاعات وأولئك على المعاصي، وأمواتاً
حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى رضوان الله وثوابه، وأولئك
على اليأس من رحمة الله والوصول إلى سخطه وعقابه.

وقيل: معناه: إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة، لأن المسيئين
والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وإنما يفترون في الممات. وقيل:
﴿سَوَاءٌ نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ كلام مستأنف على معنى: أن محيا المسيئين ومماتهم

سواء، وكذلك يحيا المحسنين ومماتهم^(١)، كل يموت على ما عاش عليه^(٢).

﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ عطف على ﴿بِالْحَقِّ﴾ لأن فيه معنى التعليل، أو على معلل محذوف تقديره: وخلق الله السماوات والأرض ليدلّ بهما على قدرته ولتجزى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾.

﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوًى﴾ أي: اتخذ معبوده ما يهواه، فهو مطاوع له يتبع ما يدعوه إليه.

﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ﴾ أي: تركه عن الهداية واللفظ وخذله ﴿عَلَىٰ عِلْرٍ﴾ أي: عالماً بأن ذلك لا يجدي عليه وآته من لا لطف له، أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع الألفاظ ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ﴾ إضلال ﴿اللَّهُ﴾.

﴿نُومٌ وَنَحْيٌ﴾ أي: نموت نحن ويحيا أولادنا، أو يموت بعض منا ويحيا بعض، أو يصيبنا الأمان: الموت والحياة، يريدون: الحياة في الدنيا والموت بعدها، وليس وراء ذلك حياة.

﴿وَمَا يُهْلِكُكَ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي: وما يميتنا إلا الأيام والليالي، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر، ويجعلونه المؤثر في هلاك النفوس. ومنه قوله ﷺ: ((لا تستبوا الدهر، فإن الله هو الدهر))^(٣). أي: فإنه الفاعل للحوادث لا الدهر.

وسمى ما ليس بحجة من مقالاتهم الباطلة حجة، لأنهم أدلوا به كما يدلى بالحجة وساقوها مساقها، فسمي حجة على سبيل التهكم، أو لأنه في أسلوب قولهم:

(١) ساقطة من ب.

(٢) عن مجاهد. التبيان ج٩: ٢٥٨.

(٣) المجازات النبوية: ٢٣٥، صحيح مسلم ج٧: ٤٥.

نَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ صَرْبٌ وَجِيعٌ^(١)

كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة، والمراد نفي الحجة.

وإنما وقع قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جواباً لقولهم: ﴿أَتُتَوَّابَاتِنَا﴾ لأنهم لما أنكروا البعث ألزموا ما هم به مقرون من أن الله هو الذي يحييهم ثم يميتهم، وضم إلى ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وهو جمعهم ﴿لِلَّيَوْمِ الْآئِنَةِ﴾ ومن كان قادراً على ذلك قدر على الإتيان بآبائهم.

وعامل النصب في ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: ﴿تَحْشُرُ﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾.

وَرَبَّى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
 (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
 (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِيئِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ (٣٢) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِيَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَٰيَتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَضُوا الْخِيَرَةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)

يؤى

﴿وَرَرَى﴾ يوم القيامة أهل كل ملة باركة على ركبها مستوفزة، وعن قتادة: (جاثية: جماعات)^(١)، من الجثوة وهي الجماعة وجمعها: جثي. وفي الحديث: ((من جثي جهنم))^(٢).

﴿كُلُّ أَمَةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي: إلى كتب أعمالها التي كانت تستنسخ لها، فاكثفى باسم الجنس كما في قوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾^(٣)، وقيل: إلى كتابها المنزل على رسولها ليسألوا عما عملوا به^(٤)، والأول أصح.

﴿الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ﴾ محمول على القول.

﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ إنما أضيف إليهم وإلى الله عز وجل، لأن الإضافة تكون للملابسة، وقد لا بسهم لأن أعمالهم مثبتة فيه، ولا بسب سبجانه لأنه الأمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال العباد.

﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ﴾ يشهد عليكم بما عملتم ﴿بِالْحَقِّ﴾ بلا زيادة ونقصان.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ الملائكة، أي: نستكتبهم أعمالكم.

﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: في جنته وثوابه. وقرأ الباقرون: ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ عَلَى الْبِنَاءِ﴾ للمفعول.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جوابه محذوف، والتقدير: فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ والمعنى: ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تلى عليكم؟ فحذف المعطوف عليه.

(١) الكشف ج ٤: ٢٩٢.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ١١: ٣٤١، نوادر الراوندي: ١٤٠.

(٣) الزمر: ٦٩.

(٤) عن الجاحظ. تفسير الماوردي ج ٥: ٢٦٨.

﴿فَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ فتعظمتن عن قبولها ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ﴾ أي: كافرين، كما قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَاهِلِينَ﴾^(١).

وقرئ: ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب، فالرفع محمول على موضع (إِنَّ) وما عملت فيه، والنصب على لفظ (إِنَّ)، و﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ في موضع رفع.

﴿مَا السَّاعَةُ﴾ أي: وأي شيء الساعة.

﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ والأصل: نظن ظناً. ومعناه: إثبات الظن، فأدخل حرف النفي وحرف الاستثناء ليفيد إثبات الظن مع نفي ما سواه، وزاد نفي ما سوى الظن تأكيداً قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَنَبِّينَ﴾.

﴿وَبَدَأْتُمْ﴾ أي: ظهر لهم ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: قبائح أعمالهم، أو عقوبات سيئاتهم كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٢).

﴿الْيَوْمَ نَسْكَرُ﴾ أي: نترككم في العذاب كما تركتم عدة ﴿لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ وهي الطاعة، أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي الذي لا يبالي به كما لم تبالوا بلقاء يومكم هذا، وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكر في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٣) أي: نسيتم لقاء الله ولقاء جزائه في يومكم هذا.

﴿ذَلِكُمْ﴾ المفعول بكم ﴿بِأَنكُمُ اخْتَدْتُمْ﴾ بسبب استهزائكم بآيات الله واغتراركم بالدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي: يرضوه.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السماوات

(١) القلم: ٣٥.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) سبأ: ٣٣.

والأرض والعالمين وكبروه، فقد ظهرت آثار كبريائه في الجميع، فإنّ مثل هذه الربوبية الشاملة العامة توجب الشناء والحمد والتكبير والتعظيم على المربوبين.

سورة الأحقاف

مكية غير آيات، وهي خمس وثلاثون آية كوفي، أربع في الباقيين، ﴿حم﴾ كوفي.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة الأحقاف) أُعطي من الأجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ورفع له عشر درجات))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها كل ليلة أو كل جمعة لم يصبه الله بروعة في الحياة الدنيا، وآمنه من فرع يوم القيامة))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا
مُعْرِضُونَ ۝ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا
أَوْ أَتَنْفَرُ ۚ مَتَّ عَلِيمٌ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ
يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٤.

دُعَايَهُمْ غَفِلْتُمْ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِنَنَادٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة والغرض الصحيح، ولم نخلقهما عبثاً ولا باطلاً.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه وهو يوم القيامة.
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا﴾ من يوم القيامة والجزاء ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يؤمنون به ولا يستعدون له، ولا بد من انتهائهم وانتهاء كل خلق إليه. ويجوز أن تكون (ما) مصدرية أي: عن الإنذار.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ ما تعبدونهم من الأصنام وتدعونهم مع الله آلهة ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ حتى استحقوا به العبادة وتوجيه القرب إليهم، بل ﴿لَهُمْ شِرْكٌ فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ فإنهم لا يقدرّون على ادعاء ذلك.

﴿أَتُنَادِي بِكَتَابٍ﴾ أنزله الله يدلّ على صحة قولكم في عبادتكم غيره.
﴿أَمْ أَتُنَادِي بِمَنْ عَدُوٌّ لَّكُمْ أَوْ بَقِيَّةٍ مِنْ عِلْمٍ تُوْثِرُ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ﴾ وفي الشواذ عن علي عليه السلام: أو أثره بسكون الثاء، وعن ابن عباس: أثره بفتح الحين، فالأثر: المرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه، والأثره بمعنى الأثرارة أيضاً، أي: خاصة من علم أوثرتم به وخصصتم لإحاطة به لغيركم.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ

ضلالاً من عبدة الأصنام حيث يدعون جهاداً ﴿لَا يَسْتَجِيبُ﴾ لهم ولا يقدر على استجابة أحد ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم الساعة، ويتركون دعاء القادر على كل شيء السميع المجيب.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ عليهم ضداً و﴿لَهُمْ أَعْدَاءُ﴾ فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة منهم.

﴿يَبْنَتِ﴾ جمع بئنة، وهي الحجة والشاهد، أو واضحات ميّتات، واللام في ﴿لِلْحَقِّ﴾ مثلها في قوله: [﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾^(١) أي: لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا. والمراد بالحق: الآيات]^(٢)، وبالذين كفروا: المتلو عليهم، فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: بادهوه بالبحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير فكر ونظر وسمّوه سحراً مبيناً ظاهراً لظلمهم وعنادهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرِيَّهُ﴾ إعراض وإضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً إلى قولهم: إن محمداً افتراه، كأنه قيل: دع هذا واسمع قولهم المنكر العجيب، وذلك أن محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتره على الله، ولو اختص بالقدرة عليه من بين سائر العرب الفصحاء لكانت قدرته عليه معجزة خارقة للعادة، وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله له، والحكيم لا يصدّق الكاذب فلا يكون مفترياً. والضمير في ﴿أَفَنَرِيَّهُ﴾ لـ(الحق) والمراد به الآيات.

﴿قُلْ إِنْ أَفَرِّيْتُهُ﴾ على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ﴾ دفع شيء من عقابه عني، فكيف أتعرض لعقابه؟! يقال:

(١) الأحقاف: ١١.

(٢) ساقطة من ج.

فلان لا يملك إذا غضب، ومثله: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾^(٩)، ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ﴾ أي: تندفعون فيه من القدر في وحي الله والطعن في آياته.

﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود، ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بمجازاتهم.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وعد بالرحمة والمغفرة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا، وإشعار بحلم الله فيهم مع عظم ما ارتكبوه.

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ إِن أُنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَتَأْمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَنُشَرِّىَ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

يَعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي
أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

البدع: البديع، وهو مثل الخف بمعنى الخفيف، أي: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ
الرُّسُلِ﴾ فأتاكم بكل ما تفترحونه من الآيات، وأخبركم بكل ما تسألونه عنه من
المغيبات التي لم يوح بها إليّ، فإن الرسل ما كانوا يأتون من الآيات إلا بها آتاهم الله،
ولا كانوا يخبرون من الغيوب إلا بها أوحاه إليهم.

﴿وَمَا أَدْرِى﴾ ما يفعله الله ﴿بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فيما يستقبل من الزمان، وما يقدره
لي ولكم من أفعاله وقضاياه. وقيل: وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في
الدنيا، ومن الغالب منا والمغلوب^(١)، ووجه الكلام: ما يفعل بي وبكم، لأنه مثبت
غير منفي، ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملاً عليه لتناوله (ما) وما في حيزه
صح ذلك وحسن. و﴿مَا﴾ في ﴿مَا يُفْعَلُ﴾ يجوز أن تكون موصولة منصوبة، وأن
تكون استفهامية مرفوعة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِن عِندِ اللَّهِ﴾ جواب الشرط محذوف، والتقدير: إن كان
القرآن من عند الله ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أَلستم ظالمين؟! ويدل على هذا المحذوف قوله:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام، لما قدم رسول الله ﷺ المدينة
نظر إلى وجهه وتأمله، وسأله عن مسائل ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، وتحقق أنه النبي

المنتظر فقال: أشهد أنك رسول الله حقاً، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبي ﷺ: ((أي رجل عبد الله فيكم؟))، فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله^(١). قال سعد ابن أبي وقاص: (ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزل ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾^(٢)). والضمير للقرآن، أي: على مثله في المعنى، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن، ويدل عليه قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣)، ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾^(٤).

ويجوز أن يكون المعنى: وشهد شاهد على نحو ذلك، يعني: على كونه من عند الله. ونظم هذا الكلام أن الواو الأولى عاطفة لـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾ على فعل الشرط، وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لـ ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على ﴿شَهِدَ﴾، فأما الواو في ﴿وَشَهِدَ﴾ فقد عطفت جملة قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ فتأمن واستكبرتم على جملة قوله: ﴿كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾. والمعنى: قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله فإيما به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، أستم أضل الناس

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٩.

(٢) الكشف والبيان ج ٩: ٩.

(٣) الشعراء: ١٩٦.

(٤) الأعلى: ١٨.

وأظلمهم؟ وجعل الإيـان في قوله: ﴿فَتَأْمَنُ﴾ مسبباً عن الشهادة على مثله، لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى ﷺ، وأنه وحي وليس من كلام البشر فشهد عليه واعترف، كان إيـانه نتيجة ذلك.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لأجلهم قالوا: عامة أتباع محمد سقاط، فلو ﴿كَانَ﴾ ما جاء به ﴿خَيْرًا﴾ لما سبقنا ﴿إِلَيْهِ﴾ هؤلاء، وقيل: لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار، قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان وأسد وأشجع: لو كان دين محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم^(١). والعامل في ﴿إِذْ﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه، والتقدير: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ وهو قولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٢).

﴿كِتَابٌ مُوسَى﴾ مبتدأ، ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ خبر مقدم، و﴿إِمَامًا﴾ حال من الظرف كقولك: في الدار زيد قائماً، أي: مؤتمناً به قدوة في دين الله ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى، أو لما تقدمه من الكتب.

و﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير الكتاب في ﴿مُصَدِّقٌ﴾ فالعامل فيه ﴿مُصَدِّقٌ﴾، أو حال من ﴿كِتَابٌ﴾ لتخصيصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة. وقرئ ﴿لِسُنْدَرٍ﴾ بالتاء والياء، و﴿بُشْرَى﴾ في محل نصب عطفاً على محل ﴿لِسُنْدَرٍ﴾ لأنه مفعول له.

وقرئ: حسناً و﴿إِحْسَنًا﴾، و﴿كُرْهًا﴾ بضم الكاف وفتحها وهما لغتان، وانتصب على الحال أي: ذات كره، أو على أنه صفة للمصدر أي: حملاً ذا كره.

(١) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٤: ٦٠.

(٢) الأنعام: ٢٥.

﴿وَحَمَلُهُ، وَفَصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدة حمله وفصاله ثلاثون شهراً، وقرئ:

وفصله، والفصل والفصال في معنى الفطم والفطام، والمراد: بيان مدة الرضاع لا الفطام. ولكنه عبر عنه بالفصال لما كان الرضاع يليه الفصال وينتهي به، وفيه فائدة وهي: الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته.

وبلوغ الأشد: أن يكتهل ويستوفي السن التي يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه، وذلك إذا أناف على الثلاثين وناهز الأربعين، وعن ابن عباس وقتادة: (ثلاث وثلاثون سنة)^(١)، ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعين، وذلك وقت إنزال الوحي على الأنبياء.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي: ألهمني، والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها:

نعمة الدين.

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ سأل سبحانه أن يجعل ذريته مظنة للصلاح، كأنه

قال: هب لي الصلاح في ذريتي، وأوقعه فيهم.

﴿وَلِيَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لأمره.

وقرئ (يتقبل) و(يتجاوز) و(أحسن) بالرفع، و﴿نَقَبْلُ﴾ و﴿وَنَجَاوُزُ﴾

بالنون و﴿أَحْسَنُ﴾ بالنصب، و﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ من نحو قولك: أكرمني الأمير في ناس من أصحابه، تريد: أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم، وهو في محلّ النصب على الحال على معنى: كائنين في أصحاب الجنة، معدودين فيهم.

﴿وَعَدَ الصِّدِّيقُ﴾ مصدر مؤكد لأنّ قوله: ﴿نَقَبْلُ عَنْهُمْ﴾ وعد من الله لهم

بتقبل أعمالهم، وبالتجاوز عن سيئاتهم.

وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ
الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ
﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْعَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا
وَأَسْمَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ فَتَقُونَ ﴿٢٠﴾

﴿الَّذِي قَالَ﴾ مبتدأ وخبره: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ والمراد
بـ ﴿الَّذِي قَالَ﴾: الجنس القائل ذلك القول، ولذلك جاء الخبر بلفظ الجمع.

و﴿أُفٍّ﴾ كلمة تضرجر، واللام للبيان، معناه: هذا التأفيف ﴿لَّكُمَا﴾
ولأجلكما خاصة دون غيركما.

﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: أبعث وأخرج من الأرض.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يقولان: الغياث بالله منك ومن قولك ﴿وَيْلَكَ﴾
دعاء عليه بالثبور، والمراد به التحريض على الإيثار لا حقيقة الهلاك.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾.

﴿فَيَقُولُ﴾ في جوابها: ﴿مَا هَذَا﴾ القرآن أو الذي تدعونني إليه ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطورها وليس لها حقيقة.

﴿فِي أَمْرٍ﴾ مثل قوله: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾^(١).

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الجنسين المذكورين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ على مراتبهم ومقادير أعمالهم [من الخير والشرّ، أو من أجل أعمالهم الحسنة والقيحة، وإنّا قال: درجات - وقد جاء: الجنة درجات والنار دركات - على وجه التغليب، لاشتغال كل على الفريقين. وَلِيُؤْفِقَهُمْ﴾ تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه، كأنه قال: وليؤفقه أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم، قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم^(٢)، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ انتصب بالقول المضمّر قبل ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾، وعرضهم على النار: تعذيبهم بها، كما يقال: عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به. ومنه قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾^(٣)، أو يكون المعنى: عرضت النار عليهم، كما يقال: عرضت الناقة على الحوض، وإنّا يعرض الحوض عليها، وهو من القلب. ويدلّ عليه تفسير ابن عباس: يجاء بهم وبها فيكشف لهم عنها^(٤).

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ أي: ما كتب لكم حظ [من الطيبات]^(٥) إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها. وقيل: معناه: أنفقتم طيبات ما رزقتم في شهواتكم وفي ملاذ الدنيا ولم تنفقوها في مرضاة الله عزّ اسمه. وروي: أنّ النبي ﷺ دخل على أهل الصفة وهم

(١) الأحقاف: ١٦.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) غافر: ٤٦.

(٤) الكشف ج ٤: ٣٠٥.

(٥) ساقطة من ب.

يرقعون ثيابهم بالأدم وما يجدون لها رقاعاً، فقال: ((أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى، ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما تستر الكعبة؟ قالوا: نحن يومئذ خير، قال: بل أنتم اليوم خير))^(١). وقرئ: أذهبتم بهمة الاستفهام، وأذهبتم بألف بين همزتين.

وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
(١١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُ إِن كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ (١٢) قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
وَلَكِنِّي أَتُكِّمُ أَرْكَكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ (١٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ
أُودِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٤) تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا
مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٥) وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ
مَكَنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْعَدَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ
سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَدُهُمْ مِنْ شِقْوِ إِذْ كَانُوا يَمْجُدُونَ
بِأَيِّبِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
مَا هَوَّلَكُمْ مِنَ الْفُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧) فَلَوْلَا
نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ
وَذَلِكَ أَفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَقْرُؤُونَ (١٨)

﴿أَخَا عَادٍ﴾ هو دليلاً.

الأحقاف: جمع حقف وهو الرمل المستطيل المرتفع فيه انحناء، من احقوف

الشيء إذا اعوج. وكانت عاد بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من بلاد اليمن، وقيل: بين عمان ومهرة^(١).

﴿النُّذُرُ﴾ جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار.

﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ من قبل هود ومن بعده، أي: قال لهم: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ العذاب، وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ اعتراض.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّكِفَ﴾ لتصرفنا ﴿عَنْ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُ﴾ من العذاب.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ معناه: إني لا أعلم الوقت الذي فيه يكون تعذيبكم حكمة وصواباً، إنما علم ذلك عند الله، فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في هذا الوقت؟!

﴿وَأُتْلِغُكُمْ﴾ أي: وأنا أبلغكم ﴿مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وأمرت بتبليغه إليكم ﴿وَلَكِنِّي أَرَدْتُكُمْ قَوْمًا يَتَبَحَّهُوْنَ﴾ حيث لا تحييون إلى ما فيه صلاحكم ونجاتكم، وتستعجلون العذاب الذي فيه هلاككم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ الضمير يعود إلى ﴿مَا تَعِدُنَا﴾، أو هو ضمير مبهم قد وضع بقوله: ﴿عَارِضًا﴾ إما تمييزاً وإما حالاً، والعارض: السحاب الذي يعرض في أفق من آفاق السماء، ومثله: العنان من: عن إذا عرض، والحيي من: حيا، وإضافة ﴿مُسْتَقْبَلٍ﴾ و(مطر) غير حقيقية لكونها تكرتين وإن أضيفا إلى المعرفتين، ألا ترى أن كليهما وصف للنكرة، وفي تقدير الانفصال كأنه قال: عارضاً مستقبلاً أوديتهم وهذا عارض مطر إيتانا.

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: قال هود: ليس هو كما توهمتم ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ هي ربيح فيها عذاب ﴿مؤلم﴾.

﴿تُدْمِرُ﴾ أي: تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من نفوس عاد وأموالهم و دوابهم الكثيرة، فعبّر عن الكثرة بالكلية فأصبحوا لا ترى أيها الرائي إلا مساكنهم، وقرئ: ﴿لَا يَرَى﴾ على البناء للمفعول ﴿لَا مَسَكِنُهُمْ﴾ بالرفع.

﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾: ﴿إِنْ﴾ نافية أي: فيما ما مكناكم فيه من قوة الأجسام وطول العمر وكثرة المال، إلا أنّ ﴿إِنْ﴾ أحسن في اللفظ لما في تكرير (ما) من البشاعة، ألا ترى أنهم قلبوا الألف من (ما) هاء في (مهما) وأصله (ماما) لبشاعة التكرير.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من الإغناء، وهو القليل منه، وانتصب ﴿إِذْ كَانُوا﴾ بقوله: ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ وجرى مجرى التعليل، ألا ترى أنّ قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذ أساء يستويان في المعنى، لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنها ضربت فيه لوجود إساءته فيه.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿مِنَ الْقُرَى﴾ نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما، والمراد: أهل القرى، ولذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا نصر هؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم شفعاء متقرباً بهم إلى الله حيث قالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١). وأحد مفعولي (اتخذ) المحذوف الراجع إلى ﴿الَّذِينَ﴾ والثاني: ﴿إِلَهَاتِنَا﴾، و﴿قُرْبَانًا﴾ حال، والمعنى: فهلا منعهم من الهلاك أهتهم.

﴿بَلِّ صَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي: غابوا عن نصرتهم و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم، أي: وذلك أثر ﴿إِفْكِهِمْ﴾ الذي هو اتخاذهم إياها آلهة، وثمرة شرهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ
قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا
يَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا
دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِيَكَم مِّنْ عَذَابِ
الْآلِيمِ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ
مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَفْتَدِرْ عَلَىٰ أَنْ يُخَيَّرَ
الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا
عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُ الْأَعْرَابُ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا
تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن
نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْدِي لَكِ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: أملناهم إليك من بلادهم بالتوفيق
والألطاف حتى أتوك، والنفر: دون العشرة، وجمعه: أنفار. وعن ابن عباس:
(صرفناهم إليك عن استراق سمع السماء برجوم الشهب فقالوا: ما هذا الذي
حدث في السماء إلا لأجل شيء حدث في الأرض، فضرربوا في الأرض حتى وقفوا
على النبي ﷺ ببطن نخلة عامداً إلى عكاظ وهو يصلي الفجر، فاستمعوا القرآن

ونظروا كيف يصلي^(١).

والضمير في ﴿حَضَرُوهُ﴾ للقرآن أو لرسول الله.

﴿قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنْصِتُوا﴾ أي: استمعوا مستمعين.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي: فرغ من التلاوة ﴿وَلَوْ﴾ انصرفوا ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ يخوفونهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا.

قالوا: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا على اليهودية.

﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ محمداً ﷺ، دعاهم إلى توحيدهِ ﴿وَأَمِنُوا بِهِ﴾ الهاء لله، فجاءوا إلى رسول الله وآمنوا وعلمهم شرائع الإسلام، وأنزل الله سبحانه سورة الجن، وكانوا يقدون إليه في كل وقت. وفيه دلالة على أنه كان مبعوثاً إلى الجن والإنس.

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا ينجي منه مهرب ولا يسبقه سابق.

﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أي: أنصار يدفعون عنه عذاب الله إذا نزل بهم.

﴿يَقْدِرُ﴾ محله الرفع لأنه خبر ﴿أَنَّ﴾، وإنما دخلت الباء لاشتغال النفي في

أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وما في حيزها، كأنه قال: أليس الله بقادر؟ ألا ترى أنَّ ﴿بَلَى﴾

مقررة لكونه سبحانه قادر على كل شيء لا لرؤيتهم؟ وقرئ: يقدر.

﴿وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُمْ﴾ يقال: عبي فلان بأمره: إذا لم يهتد له ولم يعرف وجهه،

ومنه: ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾^(٢).

﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ محكي بعد قول مضمر، وهذا المضمر هو الناصب

(١) تفسير الطبري ج ٢٦: ٢٠.

(٢) ق: ١٥.

للظرف، و﴿هَذَا﴾ إشارة إلى العذاب بدلالة قوله: ﴿فَدُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وهو توبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده.

﴿أُولُوا الْعِزْمِ﴾ أولو الجد والثبات والصبر، قيل: إنَّ ﴿مِنْ﴾ للتبيين^(١)، والمراد: جميع الرسل، والأظهر أنَّ ﴿مِنْ﴾ للتبويض. وأولو العزم من الرسل: من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدّمه، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ العذاب، أي: لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر، وإثمهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ﴿سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾.

و﴿بَلِّغْ﴾ أي: هذا بلاغ، والمعنى: هذا القرآن بما فيه من البيان كفاية، أو هذا تبليغ من الرسول.

﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ﴾ الخارجون من أمر الله تعالى، المتمردون في الفسق والمعاصي؟ وعن الزجاج: (ما جاء في رجاء رحمة الله شيء أبلغ من هذه الآية)^(٢).

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٢٦: ٢٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٤٤٨.

سورة محمد

مدينة وهي أربعون آية بصري، ثمان وثلاثون كوفي، عدّ البصري ﴿أَوْزَارَهَا﴾ و﴿لِلشَّارِبِينَ﴾.

وفي حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة محمد) كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها لم يدخله شك في دينه أبداً، ولم يزل محفوظاً من الشرك والكفر حتى يموت ... تمام الخبر))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ۖ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَجْعَلُهُمْ أَتَمًّا نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِائِدَةً وَهُمْ أَتَمُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۖ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَلَمَّا مَتَّ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءُ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٢٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٤.

لَا نَنْصَرُ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِنَبْلُوًا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾ سَيَجْزِيهِمْ وَصْلُكَ بِالْمَمِّ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ
عَرَفَهَا لَمْ يَعْرِفَهَا لَمْ

﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أحبب الله أعمالهم التي ظنوها خيراً وقربة، ويسموها
مكارم الأخلاق من صلة الأرحام وقرى الأضياف وحفظ الجوار ونحو ذلك،
وأذهبها وأبطلها كأنها لم تكن. وقيل: هم العشرة في وقعة بدر أطعم كل واحد
منهم الجند يوماً^(١)، وقيل: هو عام في كل من صد وأعرض عن الدخول في دين
الإسلام أو صد غيره عنه^(٢). وحقيقة أضلها: جعلها ضالة ضائعة ليس لها من
يتقبلها ويثيب عليها، كالضالة من الإبل التي هي بمضيعة لا حافظ لها.

وقوله: ﴿وَلَا تَأْمَنُوا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ اختصاص للإيمان بما نزل على رسول
الله ﷺ من بين ما يجب الإيمان به تعظيماً لشأنه، وإيداناً بأن الإيمان لا يتم إلا به،
وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾. وقيل: معناه:
إن دين محمد ﷺ هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره.

﴿وَأَصْلَحَ بِالْمَمِّ﴾ أي: حالهم وشأنهم بأن نصرهم على أعدائهم في الدنيا،
ويدخلهم الجنة في العقبى.

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، أي: ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين، وتكفير
سيئات الآخرين وإصلاح بهم كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق.
ويجوز أن يكون ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك بهذا السبب، فيكون
محل الجار والمجرور منصوباً على هذا الوجه، ومرفوعاً على الأول.

(١) عن الكلبي. تفسير السمرقندي ج ٣: ٢٨١.

(٢) عن السدي. تفسير الماوردي ج ٥: ٢٩٠.

﴿أَبْطَلَ﴾ ما لا ينتفع به، وعن قتادة: (الباطل: الشيطان)^(١).

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الضرب ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ والضمير راجع إلى ﴿النَّاسِ﴾ أو إلى المذكورين قبل من الفريقين، أي: يضرب أمثالهم للناس لأجل الناس ليعتبروا بهم، وضرب المثل هو في أن جعل الإضلال مثلاً للخيبة الكافرين، وإصلاح البال مثلاً لفوز المؤمنين، أو في أن جعل الحق كأنه دعا المؤمن إلى نفسه فأجابه، والباطل كأنه دعا الكافر إلى نفسه فأجابه.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ﴾ هو من اللقاء بمعنى الحرب.

﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدّم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول، وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، لأنك تذكر المصدر وتدلّ على الفعل بالنسبة التي فيه، وضرب الرقاب عبارة عن القتل، لأنّ الواجب أن يضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء في القتل، وإن جاز الضرب في سائر المواضع.

﴿حَقَّ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ أي: أكثرتم قتلهم وأغلظتموه، من الشيء الثخين وهو الغليظ، أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتهم عنهم النهوض.

﴿فَشُدُّوا أَلْوَاكَ﴾ أي: فأسروهم وأحكموا وثاقهم، والوثاق - بالفتح والكسر -: اسم ما يوثق به.

﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ هما منصوبان بفعليهما مضميرين أي: فإما تمتنن مناً وإما تفدون فداءً، والمعنى: التخيير بعد الأسرى أن تمتننوا عليهم فتطلقوهم، وبين أن تفادوهم بأسارى المسلمين أو بالمال.

والمروى عن أئمتنا عليهم السلام: أنّ الأسارى ضربان: ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال والحرب قائمة، فالإمام مخير فيهم [بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وضرب يؤخذون بعد انقضاء القتال، فالإمام مخير فيهم] ^(١) بين المنّ والفداء إما بالمال أو بالنفس، وبين الاسترقاق، وبين ضرب الرقاب ^(٢).

﴿حَقَّ نَعَمَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أوزار الحرب: آلتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع. وسميت أوزارها [لأنّه لم يكن لها بد من جرّها فكأنتها تحملها، فإذا انقضت فكأنتها وضعتها، وقيل: أوزارها: ^(٣) آثامها، يعني: حتى يترك أهل الحرب - وهم المشركون - شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الأديان، ولا يعبدوا الأوثان ^(٤). وعن الفراء: (حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسلم) ^(٥). وعن الزجاج: (يعني: اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا، فما دام الكفر فالحرب قائمة أبداً) ^(٦).

﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، أو افعلوا ذلك.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْصَرَكُمْ﴾ ببعض أسباب الهلاك [من خسف أو رجفة أو حاسب أو غرق أو موت خارق] ^(٧) ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم بقتالهم ﴿لِيَبْلُؤُوا﴾ المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا ويبدلوا أنفسهم في إحياء الدين حتى يستوجبوا

(١) ساقطة من ب.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٦: ١٤٣.

(٣) ساقطة من د.

(٤) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٦: ٢٨.

(٥) معاني القرآن للفراء ج ٣: ٥٧.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ٦.

(٧) ساقطة من ب، ج.

الثواب العظيم، والذين قاتلوا في سبيل الله أي جاهدوا. وقرئ: ﴿قِيلُوا﴾.

﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ بل يتقبلها ويثيبهم عليها جزيل الثواب.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى طريق الجنة ﴿وَيُضِلُّهُمْ﴾ حالهم.

﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [أعلمها لهم وبينها]^(١) بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من

الجنة، وعن مجاهد: (يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون، كأنهم كانوا

سكانها منذ خلقوا)^(٢). وعن مقاتل: (إن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا

يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله)^(٣). وقيل: معناه: طيبها لهم، من العرف

وهو طيب الرائحة^(٤).

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَلُهَا

﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ

﴿١١﴾ إِنْ اللَّهَ يُدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَايَاكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ

وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيْنَ مِنْ قَرْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ

(١) ساقطة من ب.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٦: ٢٩.

(٣) الدر المنثور ج ٦: ٤٨.

(٤) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج ٤: ٦٨.

الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَمْ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ
مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾

﴿إِنْ نَصْرُوا﴾ دين الله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُنَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ﴾ في مواطن
الحروب، أو على محجة الإسلام.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ عطف على الفعل الذي هو الخبر،
وانتصب به ﴿تَعْسًا﴾ أي: ففضى تعساً لهم، أو فقال: تعساً لهم أي: أتعسهم الله
فتعسوا تعساً، ونقيض تعساً له: لعا له، قال الأعشى:

فَالْتَعَسُ أَوْلَىٰ لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَعَا^(١)

والمراد: فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت، وعن ابن
عباس: (يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار)^(٢).

﴿ذَلِكَ يَأْتُهُمْ كَرْهُوًا﴾ القرآن و﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فيه من الأحكام، لأنهم
قد ألفوا الإهمال فشق عليهم التكليف. قال الباقر عليه السلام: ((كرهوا ما أنزل الله في
عليه السلام))^(٣).

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلكهم، ومعناه: دمر عليهم وأهلك ما اختص بهم
من أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَالْكَافِرِينَ أَهْمَلْنَا﴾ الضمير للعاقبة المذكورة، أو
للهلكة لأن التدمير يدل عليها.

﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعلناه بالفريقين بسبب أن ﴿اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: وليهم

(١) ديوان الأعشى: ٨٣، صدره: بذات لوث عفنة إذا عثرت فالتعس أدنى....

(٢) الكشف ج ٤: ٣١٨.

(٣) تفسير القمي ج ٢: ٣٠٢.

وناصرهم والدافع عنهم، ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ينصرهم ويدفع عنهم.
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾ يتنعمون بمتاع الحياة الدنيا أياماً قلائل ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾
 غافلين غير مفكرين في العاقبة ﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ في مسارحها ومعالفها غافلة
 عما هو بصدددها من الذبح والنحر.

﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ أي: منزل لهم ومقام.

﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهل قرية، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكَنَّهُمْ﴾، فكأنه قال: وكم من
 قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك من مكة أهلكتناهم، ومعنى أخرجوك:
 كانوا سبب خروجك.

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ يجري مجرى الحال المحكية بمعنى: فهم لا ينصرون.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ [أي: على حجة من عند ربه] ^(١) وبرهان وهي
 القرآن المعجز وسائر المعجزات، يريد: رسول الله ﷺ.

﴿كَمْ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ عَمَلِهِمْ﴾ يريد: أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم
 وعداوتهم لله ولرسوله، وقال: ﴿سُوءَ عَمَلِهِمْ﴾ و﴿وَاتَّبَعُوا﴾ حملاً على لفظ (مَنْ)
 ومعناه.

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ
 لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى
 وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ
 وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى
 إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَلَأَ اللَّهُ لِقَالِكَ أَوْ لِقَالِكَ

الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ
 هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ
 بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذَكَرْتَهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ
 سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ
 فَأُولَئِكَ لَهُمْ

﴿٢٠﴾

قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ... كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ﴾ كلام في صورة الإثبات، والمعنى: النفي
 والإنكار؛ لانطوائه تحت كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه، وهو قوله:
 ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فكأنه قال: أمثل الجنة كمثل
 جزاء من هو خالد في النار، وفي تعريته من حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من
 يسوي بين المتمسك بالبئنة والمتبع لهواه، وأنه بمنزلة من يسوي بين الجنة التي فيها
 تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم، ونظيره قول القائل:

أَفَرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكَرَامَ وَأَنْ أُورِثَ ذُوداً شَصَائِصاً نَبَلاً^(١)

فإنه إنكار للفرح برزية الكرام ووراثه الذود مع تعري الكلام عن حرف
 الإنكار، لانطوائه تحت حكم قول من قال له: أتفرح بموت أخيك وبوراثه إيله؟!
 فكأنه قال: أمثلي من يفرح بذلك؟! وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار.
 و﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ، وخبره ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ﴾،

وقوله: ﴿فَبِمَا أَتَتْكُمْ﴾ داخل في حكم الصلة كالتركيب لها. ويجوز أن يكون في محلّ النصب على الحال، أي: مستقرة فيها أنهار. وفي قراءة عليّ عليه السلام: أمثال الجنة، أي: ما صفاتها كصفات النار، وقرئ: أسن، يقال: أسن الماء وأجن: إذا تغير طعمه وريحه، فهو أسن وأسن.

﴿مَنْ لَبِنَ لَمْ يَنْغَيِّرْ طَعْمَهُ﴾ كما يتغير ألبان الدنيا، فلا يصير قارصاً ولا حازراً^(١).

﴿لَذَّوْ﴾ [تأنيث اللذ] ^(٢) وهو اللذيذ، أو وصف بمصدر أي: يلتذون بها ولا يتأذون بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التي لا تخلو من المرارة والخمار والصداع. ﴿مُصَفًّى﴾ أي: خالصة من الشمع والقذى والأذى ﴿وَلَهُمْ﴾ مع ذلك ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: ستر لذنوبهم وإنساء لسيئاتهم، حتى لا يتنقص عليهم النعيم.

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ شديد الحر، روي: أنه إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم^(٣).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وهم المنافقون، أي: يستمعون إلى كلامك فيسمعونه ولا يعونه، فإذا ﴿خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ﴾ آتاهم الله ﴿أَلَعَلَّ﴾ من المؤمنين ﴿مَلَائِكَةٌ﴾ أي شيء قال الساعة؟! وإنما قالوه استهزاء وقلة مبالاة به، يعنون: إننا لم نشتغل بوعيه وفهمه، قال الزجاج: (هو من استأنفت الشيء إذا

(١) الحازر: اللبن الحامض. (الصحيح: مادة حزر)

(٢) ساقطة من ب.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٦: ٣٢.

ابتدأته، والمعنى: ماذا قال في أول وقت يقرب منا؟^(١)، وعن الأصمغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال: ((إنا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي، فأعياه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً))^(٢).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى﴾ بالتوفيق ﴿وَوَآئِهِمْ﴾ جزاء ﴿تَقْوَاهُمْ﴾، أو أعانهم عليها، وقيل: الضمير في ﴿زَادَهُمْ﴾ لقول الرسول ﷺ، أو لاستهزاء المنافقين أي: زادهم استهزاءهم بصيرة وتصديقاً لنبيهم^(٣).

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بدل اشتغال من ﴿السَّاعَةِ﴾. ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: علاماتها، وقيل: هي مبعث محمد خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله ونزول آخر الكتب وانشقاق القمر والدخان^(٤)، وقيل: قطع الأرحام وشهادة الزور وكثرة اللثام وقلة الكرام^(٥).

﴿فَأَنَّى لَهُمْ﴾ أي: فمن أين لهم وكيف لهم الذكرى والانتعاظ والتوبة ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة؟ أي: لا تنفعهم الذكرى يومئذ.

ثم خاطب النبي ﷺ والمراد أمته قال: إذا علمت سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحداية الله عز اسمه وعلى التواضع وهضم النفس بالاستغفار ﴿لِذُنُوبِكُمْ﴾ مع كمال عصمتك لتستن أمتك بستك. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أمره بالاستغفار لذنوبهم تكرمة لهم، إذ هو الشفيع

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٠.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ١٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١١.

(٤) تفسير السمرقندي ج ٣: ٢٨٦.

(٥) الكشف ج ٤: ٣٢٣.

المجانب فيهم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ﴾ في معاشكم ومتاجركم ﴿وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ ومستقركم في منازلكم، أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور، أو في الجنة والنار، أو متقلبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومقامكم في الأرض، ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى. وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال: (ألم تسمع قوله حين بدأ به: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فأمره بالعمل بعد العلم، وقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ﴾^(١) ثم قال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٣) ثم قال: ﴿فَاخْذَرُواهُمْ﴾^(٤)»^(٥).

﴿لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: هلا نزلت سورة، كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويقولون: هلا نزلت سورة في معنى الجهاد.

﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ﴾ مبيّنة غير متشابهة، وأوجب عليهم فيها القتال وأمروا به.

﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ شك ﴿سَظُنُّوا إِلَيْكَ﴾ أي: يشخصون نحوك بأبصارهم ﴿نَظَرَ الْمَغِشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت جنباً واهلماً.

﴿فَأَوَّلَىٰ لَهْمَ﴾ وعيد بمعنى: فويل لهم، وهو أفعل من الولي وهو القرب،

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) الأنفال: ٢٨.

(٤) التغابن: ١٤.

(٥) الكشف ج ٤: ٣٢٤.

ومعناه: وليهم وقاربهم ما يكرهون.

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَنَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْنَاهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

هذا استئناف كلام، أي: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ خير لهم، وقيل: هي حكاية قولهم^(١) يعني: قالوا: طاعة [وقول معروف]^(٢)، أي: أمرنا طاعة وقول معروف، أي: حسن لا تنكره العقول.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: جد، وإنما العزم والجد لأصحاب الأمر، وأسند إلى

(١) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج ٥: ٣٠١.

(٢) ساقطة من ب.

الأمر مجازاً.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا﴾ فيما زعموا من الحرص على الجهاد، أو في إيمانهم بأن يواطئ فيه قلوبهم الستهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من نفاقهم.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: هل يتوقع منكم يا معشر المنافقين ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: تسلطتم وملكتم أمور الناس وتأمرتم عليهم وجعلتم ولاية ﴿أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بسفك الدم الحرام وأخذ الرشا ﴿وَتَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ تهالكاً على ملك الدنيا، فيقتل بعضكم بعضاً، ويقطع بعضكم رحم بعض.

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين الذين لعنهم الله لإفسادهم في الأرض وقطعهم الأرحام، فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعدة، وعموا عن إِبصار طريق الهدى.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ﴾ ويتصفحونه ويعتبرون به ويقضون ما عليهم من الحقوق.

﴿أَمْرٌ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ هي أم المنقطعة، ومعنى الهمزة فيه: التسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يوصل إليها ذكر، ومعنى تنكير القلوب: أنها قلوب قاسية مبهم أمرها، أو بعض القلوب وهي قلوب المنافقين. وأما إضافة الأقفال إليها فلأن المراد الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تفتح. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ بأن رجعوا عن الحق والإيمان ﴿مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُمْ الْهُدَىٰ﴾ وظهر لهم طريق الحق.

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وقعت خبراً لـ (إِنَّ) ومعناه: الشيطان سَوَّلَ لهم ركوب العظائم من الذنوب، من السؤل وهو الاسترخاء.

﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ ومدّ لهم في الآمال.

﴿ذَلِكَ﴾ بسبب ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ من القرآن،

وعن الصادق عليه السلام: ((في ولاية علي عليه السلام)).^(١)

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: في بعض ما تأمرون به وتريدونه

والله يعلم أسرارهم.

وقرئ: ﴿إِسْرَارُهُمْ﴾ بكسر الهمزة، أي: ما أسرّه بعضهم إلى بعض من القول،

وما أسرّوه في أنفسهم من الاعتقاد.

﴿فَكَيْفَ﴾ يعملون وما حيلتهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقبضت

أرواحهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ التوفي الموصوف بتلك الصفة بسبب ﴿أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ

اللَّهُ﴾ من عظام الأمور ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ التي كانوا

يعملونها من صلاة وغيرها لأنها في غير إيمان.

بل أحسب ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾ أحقادهم

على المؤمنين، وإخراجها: إبرازها لرسول الله وللمؤمنين المخلصين، وإظهارهم

على نفاقهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُمُ﴾ يا محمد حتى تعرفهم بأعيانهم، وهو قوله:

﴿فَلَقَرَفَنَّهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ بعلامتهم، وعن أنس: (ما خفي على رسول الله ﷺ بعد

هذه الآية أحد من المنافقين، وكان يعرفهم بسيماهم)^(٢). والفرق بين اللامين في:

(١) الكافي ج ١: ٤٢١.

(٢) الكشف والبيان ج ٩: ٣٧.

﴿فَلَعَرَفْنَهُمْ﴾، ﴿وَلَعَرَفْنَهُمْ﴾: أن الأولى هي الداخلة في جواب (لو) كالتي في ﴿لَا ذَرَبْنَكُمْ﴾ ثم كررت في المعطوف، واللام في ﴿وَلَعَرَفْنَهُمْ﴾ وقعت مع النون في جواب القسم المحذوف.

﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: تعرفهم في فحوى كلامهم ومغزاه ومعناه، وعن أبي سعيد الخدري: (لحن القول: بغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام)^(١). وعن جابر مثله^(٢). وعن عبادة بن الصامت^(٣): (كنا نبور^(٤) أولادنا بحب علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا رأينا أحدهم لا يحبّه علمنا أنّه لغير رشدة)^(٥). وقيل: اللحن أن تلحن بكلامك أي: تميله إلى نحو من الأنحاء ليتفطن له صاحبك كالتعريض والتورية^(٦)، قال:

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْقَهُوا وَاللَّحْنُ يَغْرِفُهُ ذُوو الْأَلْبَابِ^(٧)

وإنما قيل للمخطئ: لاحن، لأنه يعدل بكلامه عن الصواب.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بمشاق الأمور والتكاليف. وعن الفضيل أنّه كان إذا قرأها بكى وقال: (اللهم لا تبلىنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا)^(٨).

﴿وَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ أي: ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم لنعلم حسنه

(١) شواهد التنزيل ج ٢: ٢٤٩.

(٢) الاستيعاب ج ٢: ٤٦.

(٣) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، كان أحد النقباء بالعقبة، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، مات بالرملة سنة ٣٤هـ، وقيل: إنه عاش إلى سنة ٤٥هـ. ينظر: الإصابة ج ٢: ٢٦٨.

(٤) نبور: نخبر ونمتحن. (لسان العرب: مادة بور)

(٥) أسنى المطالب: ٥٨.

(٦) الصراح: مادة لحن.

(٧) ديوان القتال الكلابي: ٣٦، وفيه: ووحيت وحيًا ليس بالمرتاب.

(٨) الكشف والبيان ج ٩: ٣٨.

من قبيحه، لأن الخبر على حسب المخبر عنه. وقرئ: وليبلونكم، ويعلم، ويبلو، بالياء، وهو قراءة الباقر عليه السلام، وقرئ: ونبلو بالنون وسكون الواو، على معنى: ونحن نبلو.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ
﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَهِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ
مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَنَّ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ
وَلِنْ تُوَسَّوْا وَتَنْفَقُوا يُوَفَّكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُهُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ
يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرِجْ أَصْغَرَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَآأَنْتُمْ
هَآؤَآءَ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ
يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وظهر لهم الحق إنما ضروا أنفسهم، و﴿لَنْ يَضُرُّوا
اللَّهُ﴾ بذلك ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ التي عملوها فلا يرون لها في الآخرة ثواباً.
﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بمعصية الله والرسول، أو بالشك والنفاق. وعن ابن
عباس: (لا تبطلوها بالرياء والسمعة) ^(١).

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي: فلا تضعفوا ولا تتوانوا في قتال أعداء الله.
ولا ﴿تَدْعُوا إِلَى السَّلَهِ﴾ قرئ بالفتح والكسر وهما المسألة ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾

أي: الأغلبون الأقهرون، وقيل: إنَّ (الواو) للحال، أي: لا تدعوهم إلى الصلح والحال أنكم الغالبون القاهرون لهم^(١). و﴿تَدْعُوا﴾ مجزوم لدخوله في حكم النهي كما ذكرنا، ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار (أن).

﴿وَلَنْ يَرِيَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ هو من: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً أو حربته^(٢)، وحقيقته: أفردته من حميمه أو ماله، من الوتر وهو الفرد. ومنه قول النبي ﷺ: ((ومن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله))^(٣)، أي: أفرد عنها قتلاً ونهباً، فشبهه سبحانه إضاعة عمل العامل وإبطال ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام.

﴿وَلِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ﴾ أي: ثواب إيمانكم وتقواكم.

﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: ولا يسألكم جميعها في الصدقة، وإن أوجب عليكم الزكاة في بعضها، واقتصر منه على القليل وهو ربع العشر، وقيل: لا يسألكم الرسول على أداء الرسالة أموالكم أن تدفعوها إليه.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُخْفِئْكُمْ﴾ أي: فيجهدكم بمسألة جميعها، والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء، يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح، ومنه: إحفاء الشارب وهو استئصال شعره.

﴿تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَصْغَنَكُمْ﴾ أي: تضطغنون [على رسول الله وتضييق صدوركم لذلك، والضمير في (يُخرج) لله عز وجل، أي: يضمنكم]^(٤) بطلب

(١) عن مجاهد. التبيان ج ٩: ٣٠٨.

(٢) حربته: أغضبته. (الصحيح: مادة حرب).

(٣) سنن النسائي ج ١: ٢٣٨.

(٤) ساقطة من ج.

أموالكم، أو للبخل لأنه سبب الاضغان.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ موصول صلتها ﴿تُدْعُونَ﴾، أي: ها أنتم الذين تدعون، أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون، ثم استأنف وصفهم، كأنهم قالوا: وما وصفنا؟ فقال: ﴿تُدْعُونَ لِئُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كأنه قيل: الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر، فمنكم ناس يبخلون به، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ﴾ بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله، وإنما ﴿يَبْخَلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ إذ يلزمها العذاب الأليم ويحرمها الثواب العظيم، يقال: بخلت عليه وعنه، وضننت عليه وعنه. وفي الآية إشارة إلى أن معطي المال أحوج إليه من الفقير الآخذ، فبخله به بخل على نفسه.

﴿وَاللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ عما عندكم من الأموال ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إلى ما عند الله من

الرحمة والثواب.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ معطوف على ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا وَتَنَقَّوْا﴾.

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ على خلاف صفتكم، راغبين في الإيمان والتقوى، غير متولين عنهما ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ بل خيراً منكم وأطوع لله. روي: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: من هؤلاء؟ فضرب ﷺ يده على فخذ سلمان فقال: ((هذا وقومه، لو كان الإيمان منوطاً بالشريا لتناوله رجال من فارس))^(١). وعنهم ﷺ: ((إن تولوا يا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم يعني: الموالي))^(٢).

(١) صحيح ابن حبان ج ١٦: ٦٣.

(٢) تفسير القمي ج ٢: ٣٠٩.

سورة الفتح

مدنية وهي تسع وعشرون آية.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الفتح) فكأنها شهد مع محمد فتح مكة))^(١)، وفي رواية أخرى: ((فكأنها كان مع من بايع محمداً تحت الشجرة))^(٢)، وعن الصادق عليه السلام: ((حصنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيما نكم من التلف بقراءة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة: أنت من عبادي المخلصين، ألحقوه بالصالحين من عبادي، فأسكنوه جنات النعيم، واسقوه من الرحيق المختوم بمزاج الكافور))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ

(١) تفسير السمرقندي ج ٣: ٣٠٥.

(٢) مجمع البيان ج ٩-١٠: ١٠٨.

(٣) ثواب الأعمال: ١١٥.

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ يَا اللَّهُ ظَرْبُ السَّوَةِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَةِ
وَعُصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا ﴿٧﴾

اختلف في هذا الفتح، ف قيل: هو فتح مكة وعده الله ذلك عند انكفائه من
الحديبية^(١)، وعن جابر: (ما كنا نعلم فتح مكة إلا يوم الحديبية)^(٢). وجاء به على
لفظ الماضي على عادته عز اسمه في أخباره، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة
الموجودة. وقيل: هو فتح الحديبية^(٣)، فروي: أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية
قال رجل من أصحابه: ما هذا بفتح، لقد صدونا عن البيت وصدّ هدينا، فقال ﷺ:
(بش الكلام هذا بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن
بلادهم بالراح، ويسألوكم القضية، ورغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما
كرهوا)^(٤). وعن الزهري: (لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن
المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم وأسلم
في ثلاث سنين خلق كثير كثير بهم سواد الإسلام)^(٥).

(١) عن أنس. معالم التنزيل ج ٤: ٧٢.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٦: ٤٤.

(٣) عن الشعبي. تفسير الماوردي ج ٥: ٣٠٩.

(٤) دلائل النبوة ج ٤: ١٦٠.

(٥) معالم التنزيل ج ٤: ٧٣.

والحديبية: بئر نفذ ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة، فأتاها النبي ﷺ فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء ثم توضأ وتمضمض ونجّه فيها، فدرّت بالماء حتى أصدرت جميع من معه وركابهم^(١). وعن سالم بن أبي الجعد^(٢) قال: (قلت لجابر: كم كنتم تحت الشجرة؟ قال: كنا ألفاً وخمسمائة، وذكر عطشاً أصابهم ثم قال: فأتي رسول الله ﷺ بماء في تور فجعل يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنه العيون، قال: فشربنا وسقانا وكفانا، ولو كنا مائة ألف كفانا)^(٣).

وقيل: المراد بالفتح هنا فتح خيبر، ذكره مجمع بن حارثة الأنصاري - وهو أحد القراء - في حديثه: (لما انصرفنا من الحديبية أوحى إلى رسول الله ﷺ فوجدناه واقفاً عند كراع الغميم وقرأ ﴿لِنَافَتْحَنَا... السورة﴾، فقال عمر: أو فتح هو؟ قال: نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل فيها أحد إلا من شهدها)^(٤).

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ لأصحابنا فيه وجهان من التأويل:

أحدهما: أن المراد: يغفر لك ما تقدّم من ذنب أمتك وما تأخّر بشفاعتك. وحسنت إضافة ذنوب أمته إليه للاتصال بينه وبينهم، ويعضده ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: ((والله ما كان له ذنب ولكن الله

(١) معالم التنزيل ج ٤: ٧٣.

(٢) سالم بن أبي الجعد الأشجعي مولا هم الكوفي، يكنى أبا أسماء، من أصحاب علي عليه السلام ومن ثقات التابعين. ينظر: ميزان الاعتدال ج ٢: ١٠٩، معجم رجال الحديث ج ٨: ١٤.

(٣) مسند أحمد ج ٣: ٣٦٥.

(٤) الكشف والبيان ج ٩: ٤١.

سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي عليه السلام ما تقدم وما تأخر^(١).

والآخر: ذكره السيد المرتضى (قدس الله روحه): أن الذنب مصدر، والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول، والمراد هنا: ما تقدم من ذنبهم إليك في إخراجهم إياك من مكة وما تأخر من صدك عن المسجد الحرام، أي: ليغفر ما أذنبه قومك إليك من إخراجك من مكة وصدك عنها، فالذنب مضاف إلى المفعول هنا، وتعدى بنفسه حملاً على الإخراج والصد للذين هو في معناهما، ولذلك جعل المغفرة علة للفتح وغرضاً فيه^(٢). والمراد بالمغفرة على هذا إزالة أحكام المشركين ونسخها عنه، وستر تلك الوصمة عليه بها يفتح له من مكة بأن يدخلها فيها بعد، ولو أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لكون المغفرة غرضاً في الفتح.

معنى ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ في الدنيا بإعلاء أمرك وإظهارك على الدين كله وبقاء شريعتك، وفي الآخرة برفع محلّك.

﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ويرشدك طريقاً يؤدي سالكه إلى الجنة ويثبتك عليها.

﴿وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ تمتنع به من كل جبار عنيد، وصف النصر بالعزيز لأن فيه العزة والمنعة، أو يعني عزيزاً صاحبه، أو وصفه بصفة المنصور إسناداً مجازياً.

﴿السَّكِينَةَ﴾ السكون، أي: أنزل الله السكون ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والطمأنينة بسبب الصلح والأمن، ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم بما يرون من الفتوح وعلو كلمة الإسلام على وفق

(١) تفسير القمي ج ٢: ٣١٤ برواية عمر بن يزيد بياغ السابري.

(٢) تنزيه الأنبياء: ١٤٨.

ما وعدوا.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يسَلِّط بعضها على بعض على ما يقتضيه علمه وحكمته. ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية، ووعدهم أن يفتح لهم مكة ليعرف المؤمنون نعمة الله في ذلك ويشكروها فيثيبهم ويعذب المنافقين والكافرين [لما غاضهم من ذلك وكرهوه]^(١).

ومعنى ﴿ظَنَبُ السَّوْءِ﴾: ظنهم أن الله لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحين إياها، والسوء: عبارة عن رداءة الشيء وفساده، كما يقع الصدق عبارة عن جودة الشيء وصلاحه.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي: ما يظنونونه ويربصونه بالمؤمنين فهو دائر عليهم حائق بهم، وهو الهلاك والدمار. وقرئ: دائرة السوء بفتح السين وضمها وهما لغتان من ساء كالكره والكره، والضعف والضعف، إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، والمضموم جار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير، [يقال: أراد به السوء، وأراد به الخير]^(٢)، ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموماً، وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ألا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرناه.

﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ بأن أبعدهم من رحمته.

وكرر قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأن الأول اتصل بذكر المؤمنين، [أي: فله الجنود التي يقدر على أن يعينهم بها]^(٣)، والثاني اتصل بذكر الكافرين،

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقطة من ب.

أي: فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في قهره وانتقامه من أعدائه ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله وقضائه.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ، وَتُعْزِزُهُ وَتُؤَقِّرُهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ
فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيْتَةِ مَا لَيْسَ
فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنُمْ أَنْ
لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي
قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ ظَنِّي السَّوَاءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ
يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، فَلِنَّا أَتَيْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ

اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾

قري: ﴿لِيَتُؤْمِنُوا﴾ وما بعده بالتاء والياء، فالتاء على الخطاب لرسول الله ﷺ
ولأُمته، والياء على أن الضمير في الجميع للناس.

﴿وَتُعْزِزُهُ﴾ أي: تقووه بالنصرة ﴿وَتُؤَقِّرُهُ﴾ أي: تعظموه وتطيعوه
﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من التسبيح أو من السبحة. والضمائر لله عز اسمه، والمراد بتعزير
الله: تعزيز دينه ورسوله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يريد: بيعة الحديبية وهي بيعة الرضوان، أي: بايعوا

رسول الله ﷺ على الموت.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكَ اللَّهُ﴾ هو كقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١)
ثم أكدّه تأكيداً بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كأن يد رسول الله التي تعلو أيدي
المبايعين يد الله، إذ هو جل جلاله منزّه عن صفات الأجسام.

﴿فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لا يعود ضرر نكته إلا عليه. ويقال:
وفيت بالعهد وأوفيت به. وقرئ: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ وهم الذين تخلّفوا عن صحبة رسول
الله ﷺ عام الحديبية لما أراد المسير إلى مكة معتمراً، وذلك في ذي القعدة من سنة
ست من الهجرة، فاستنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا
معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو بصدّ، وأحرم بالعمرة وساق معه
الهدى ليعلم الناس أنّه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب فقالوا: نذهب
معه إلى قوم قد جاؤوه فقتلوا كثيراً من أصحابه، فتخلّفوا عنه واعتلّوا بالشغل،
وظنوا أنّه لا ينقلب إلى المدينة ويهلك.

و﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ هو تكذيب لهم في اعتذارهم،
وإخبار عن ضمايرهم وأسرارهم، وأنهم لا يبالون استغفر لهم الرسول أم لا.

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه
﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ﴾ ما يضرّكم من قتل أو موت ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً﴾ من ظفر وغنم،
وقرئ: ضراً وهما لغتان، كالفقر والفقر، وقيل: إنّ الضّرّ خلاف النفع، والضّر:
سوء الحال^(٢).

(١) النساء: ٨٠.

(٢) عن القاسم بن سلام. إعراب القرآن ج ٤: ١٩٩.

والأهلون: جمع أهل، وأما الأهالي فاسم للجميع كالليالي. والبور: جمع بائر كعائد وعوذ، وقيل: إنه مصدر بار كاهلك مصدر هلك، ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث^(١). والمعنى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا﴾ فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم، وهالكين عند الله، لا خير فيكم، ومستوجبين لسخطه وعقابه. ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أقيم مقام (لهم)، ليعلم أن من لم يجمع بين الإيمانين وهو الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر.

ونكر ﴿سَعِيرًا﴾ إيداناً بأنها نار مخصوصة لهم، كما نكر قوله: ﴿نَارًا تَلْظَى﴾^(٢).

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَقَنَلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتِ بِحَرَجٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾

(١) معاني القرآن للفراء ج ٣: ٢٦٤.

(٢) الليل: ١٤.

﴿ سَيَقُولُ ﴾ الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَفَازٍ﴾ خير ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾. وقرئ: كلم الله، أي: موعده الله لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خير عوضاً من مغانم مكة.

﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ﴾ قبل مرجعنا إليكم أَنَّ غنيمة خير لمن شهد الحديبية لا يشركهم فيها غيرهم.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم ونشارككم فيها ﴿بَلْ كَانُوا﴾ قوماً ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ [أي: لا يفهمون ﴿لَا﴾ فهما^(١) ﴿قَلِيلًا﴾ وهو فطنتهم لأمر الدنيا دون أمور الدين. والفرق بين حرفي الإضراب: أَنَّ الأول إضراب عن أن يكون ذلك حكم الله وإثبات للحسد، والثاني إضراب عن وصفهم المؤمنين بالحسد وإثبات لجهلهم.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿سُدُّعُونَ﴾ فيما بعد ﴿إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ﴾ وهم هوازن وثقيف.

﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ معطوف على ﴿تُقْتَلُونَهُمْ﴾ أي: يكون أحد الأمرين: إما المقاتلة أو الإسلام، لا ثالث لهما.

﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ وتحيبوا إلى قتالهم يأجركم الله ﴿وَلَنْ تَنَازِلُوا﴾ عن قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ عن الخروج إلى الحديبية ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ الله في الآخرة.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو. وقرئ ﴿يُدْخِلُهُ﴾ و﴿يُعَذِّبُهُ﴾ بالنون والياء.

إنما سميت بيعة الرضوان بهذه الآية، بايعوا النبي ﷺ بالحديبية تحت الشجرة

المعروفة وهي الشجرة السمرة^(١).

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من صدق النية في القتال والصبر والوفاء، وكان عددهم ألفاً وخمسمائة أو ثلاثمائة.

﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ والضمير للمؤمنين، والسكينة: هي اللطف المقوي لقلوبهم والطمأنينة.

﴿وَأَنبَتَهُمْ قِتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فتح خيبر.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ وهي مغنم خيبر وكانت مشهورة بكثرة الأموال والعقار.

وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ، وَكَفَّ
أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْنَاكُمْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَ
ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلُ وَلَنْ يَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ
مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوهُمْ فَتَضَيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ
عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

(١) السمرة - بضم الميم - : من شجر الطلح. (الصحيح: مادة سمر)

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ هي جميع ما يفيء على المؤمنين إلى يوم

القيامة.

﴿فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ المغانم يعني: غنائم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾

يعني: أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم فقفذ الله في قلوبهم الرعب فنكصوا، وقيل: يريد أيدي أهل مكة بصلح الحديبية^(١).

﴿وَلَيْتَكُونَ﴾ هذه الكفة والهدنة والغنيمة التي عجلت ﴿ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

وعبرة يعرفون بها أنهم من الله بمكان، وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم، وذلك أن الصلح وقع على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، وعلى أن من قدم مكة من المسلمين فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش فهو آمن على دمه وماله، ومن أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده [دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فقالت خزاعة: نحن في عقد محمد وعهده]^(٢)، وقالت كنانة: نحن في عقد قريش، فقال سهيل بن عمرو لرسول الله ﷺ: أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاءنا ممن معك لا نردّه عليك، فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟! فقال ﷺ: من جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم ولو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً، فقال سهيل: وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة، فإذا كان العام القابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك فأقمتم بها ثلاثاً ولا تدخلها بالسلاح إلا والسيوف في القراب، وعلى أن هذا الهدى حيث ما حبسناه محلّه لا تقدمه علينا، فقال ﷺ: نحن نسوق وأنتم

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٦: ٧٥.

(٢) ساقطة من ب.

تردّون؟! قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأُتيت النبي ﷺ فقلت: أألسنت نبيّ الله؟ قال: بلى، قلت: أألسنا على الحقّ وعدّونا على الباطل؟ فقال: بلى، قلت: فلم تعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري، قلت: أو لست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرت أنّك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنّك تأتيه وتطوف به. فنحّر رسول الله ﷺ بدنة ودعا بحالقه فحلق شعره^(١). وعن محمد بن كعب: (كان كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلما قال له: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، جعل عليّ يتلكأ ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال عليه السلام: فإنّ لك مثلها، تعطيها وأنت مضطهد، فكتب)^(٢).

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة، ثم خرج إلى خيبر فأعطى اللواء أبا بكر وبعثه إلى القوم، فانطلق فلقي القوم ثم انكشف هو وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، ثم بعث عمر بن الخطاب ونهض بمن نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر فانكشف هو وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ. يحبّنه أصحابه ويحبّتهم، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون بجملتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح قال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، فقال: فأرسلوا إليه، فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فبرز مرحب وهو يقول:

(١) السيرة النبوية ج ٣: ٤٣٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: السيرة الحلبية ج ٣: ٢٣.

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنِّي مَرْحَبٌ الأبيات

فقال علي عليه السلام:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْتُ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمُنْظَرَهُ

أَوْ فِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهُ

فضرب مرحباً فقتله، وكان الفتح^(١).

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ اعتراض، أي: وليكون ذلك آية فعل

ذلك.

ويجوز أن يكون المعنى: وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها، ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقاً؛ لأنَّ الإخبار بالمغنيات معجزة وآية.

﴿وَنَهَدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: ويزيدكم بصيرة وثقة بفضل الله وبقيناً.

﴿وَأُخْرَى﴾ أي: وعدكم الله مغانم أخرى ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْدَرُونَ عَلَيْهَا﴾ بعد، وهي

مغانم هوازن في غزوة حنين.

﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: قد قدر عليها واستولى، وأظهركم عليها

وغنمكموها.

﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرُ﴾ هذا من العلم بالمعدوم، علم سبحانه

ما لم يكن أن لو كان كيف يكون.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ في موضع المصدر المؤكد، أي: سنَّ الله جل جلاله غلبة

أنبيائه ستة، وهو كقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(١).

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ يعني: أيدي أهل مكة ﴿عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ بالنهي ﴿يَبْطِئُ مَكَّةَ﴾ يوم الحديبية، وذلك أنهم بعثوا أربعين رجلاً ليصيبوا من المسلمين فأسروا، فخلى رسول الله ﷺ سبيلهم. وعن عبد الله بن المغفل^(٢): (كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة وبين يديه علي يكتب كتاب الصلح، فخرج ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله أبصارهم، فقمنا فأخذناهم، فخلى ﷺ سبيلهم)^(٣). وقرئ: ﴿يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿وَالَّذِي﴾ معطوف^(٤) على الضمير المنصوب في ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ أي: وصدوا ﴿وَالَّذِي مَعْكُوفًا﴾ محبوساً عن ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ وهو مكانه الذي يحل فيه نحره، أي: يجب، وبعض الحديبية من الحرم، وروي: أَنَّ مَضَارِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كانت في الحل ومصلاه في الحرم^(٥).

﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾ مستضعفون كانوا بمكة بين الكفار ﴿وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ كذلك.

﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ صفة لرجال ونساء جميعاً، و﴿أَنْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بدل اشتغال منهم، أو من الضمير المنصوب في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾.

(١) المجادلة: ٢١.

(٢) عبد الله بن المغفل بن عبد غنم المزني، شهد بيعة الشجرة، سكن البصرة ومات بها سنة ٥٩ هـ وقيل: سنة ٦٠ هـ. ينظر: الإصابة ج ٢: ٣٧٢.

(٣) الكشف والبيان ج ٩: ٥٤.

(٤) ساقطة من ب.

(٥) سيرة ابن هشام ج ٤: ٤٤٣.

﴿فَتُصِيبُكُم مِّنْهُمْ مَّعَرَةٌ﴾ هي مفعلة، من عَرَّه يعرِّه: إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه ﴿يَغْيِرْ عِلْمِي﴾ متعلق بـ ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ يعني: أن تطوؤهم غير عالمين بهم، والوطء عبارة عن الإيقاع والإبادة، وقال:

وَوَطِئْتَنَّا وَطْأً عَلَى حَقٍّ وَطْأَ الْمَقِيدِ نَابِتَ الْهَزْمِ^(١)

والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين ظهرائي المشركين مختلطين بهم، وأنتم غير عارفين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كفَّ ﴿أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ فحذف جواب (لولا) لدلالة الكلام عليه، ويجوز أن يكون ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ كالتكرير لـ ﴿لَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ لرجوعهما إلى معنى واحد، ويكون الجواب ﴿لَعَذَّبْنَا﴾، والمعزة التي كانت تصيبهم إذا قتلوهم هي وجوب الدية والكفارة وسوء مقالة المشركين: إنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا. وقوله: ﴿لَيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ تعليل لما دلَّت عليه الآية، كأنه قال: كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في توفيقه للخير والطاعة مؤمنهم، أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تفرقوا وتميَّز بعضهم من بعض، من: زاله يزيله. ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة بأيديكم وبالسيف، ولكن الله يدفع عن الكفار بالمؤمنين وحرمة اختلاطهم بهم.

إِذْ جَعَلْنَا لَكَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلْ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٨﴾

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ
 فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾
 هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
 كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
 عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
 وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
 التَّوْرَةِ وَمَنْطُورٍ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّجْ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
 فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

﴿إِذْ﴾ يتعلّق بما قبله، أي: لعذّبناهم إذ صدوكم عن المسجد الحرام حين
 جعلوا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الألفة التي تحمي الإنسان.

و﴿حَيَّةَ الْبَيْهَاتِ﴾ قولهم: قد قتل محمد وأصحابه أبناءنا وإخواننا،
 ويدخلون علينا في منازلنا، لا يتحدث العرب بذلك، وقيل: هي أنفتهم من الإقرار
 لمحمد بالرسالة والاستفتاح بسم الله الرحمن الرحيم حين قالوا: ما نعرف هذا،
 ولكن اكتب: باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله^(١).

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ﴾ سبحانه ﴿سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فتوقروا
 وحلموا وصبروا على الدخول تحت ما أرادوه.

﴿وَأَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ وهي قوله: لا إله إلا الله وقيل: هي بسم

(١) تفسير الطبري ج ٢٦: ٦٦. تفسير القمي ج ٢: ٣١٣.

الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللمؤمنين^(١). ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها.

﴿وَكُنَّا أَهَقَ﴾ بالسكينة ﴿وَأَهْلَهَا﴾، أو أحقّ بتلك الكلمة من المشركين، أو أحقّ بمكة ودخولها.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّيَا﴾ أي: صدقه في رؤياه تعالى وتقدّس عن الكذب وعن كل قبيح، فحذف الجار وأوصل الفعل.

وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ تعلق بـ ﴿صَدَقَ﴾ أي: صدقه فيما رأى وفي حصوله صدقاً ملتبساً بالحق، أي: بالحكمة والغرض الصحيح، وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المخلص والمنافق، ويجوز أن يتعلّق بـ ﴿الرُّيَا﴾ أي: صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق.

﴿لَتَدْخُلَنَّ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ جواب قسم محذوف، رأى رسول الله ﷺ في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية: أنّ المسلمين يدخلون المسجد الحرام، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما انصرفوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة قال المنافقون: ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فنزلت^(٢).

أخبرهم بأنّ منامه حقّ وصدق، وأكد الدخول بالقسم. وفي دخول ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ وجوه: أن يريد: لتدخلن جميعاً إن شاء الله ولم يمت منكم أحد، ويريد: تعليم عباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدّبين بأدب الله، أو هو متعلّق بـ ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي: يخلق بعضكم ويقصّر بعض وهو أن يؤخذ بعض الشعر.

(١) عن الزهري. تفسير الماوردي ج ٥: ٣٢١.

(٢) تفسير الطبري ٢٦: ٦٨.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة والصلاح في الصلح المبارك لموقعه وتأخير فتح مكة.

[﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: من دون فتح مكة^(١)] ﴿فَتَحَا قَرِيْبًا﴾ وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود.
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ أي: بالقرآن وبالدليل الواضح ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ وهو الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه ﴿عَلَى﴾ جنس ﴿الَّذِينَ كُفُّوا﴾ يريد: كل الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب. وهذا توكيد لما وعده سبحانه من الفتح، وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ما يستقلون إليه فتح مكة، وقيل: إن تمام ذلك عند خروج المهدي عجل الله فرجه فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام^(٢).

﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أن ما وعده كائن لا محالة.
﴿ثُمَّ حَمْدٌ﴾ إما خبر مبتدأ أي: هو محمد؛ لتقدم قوله: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ)، وإما مبتدأ و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ عطف بيان.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أصحابه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ جمع شديد ورحيم. وعن الحسن: (بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم [أن تلتزق بثيابهم]^(٣)) ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أن كان لا يرى مؤمن من مؤمن إلا صافحه وعانقه^(٤)، ومثله قوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى

(١) ساقطة من ج.

(٢) إكمال الدين: ٦٢٨.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) الكشف ج ٤: ٣٤٦.

الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ^(١).

﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾ إخبار عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها.

﴿يَبْتَغُونَ﴾ أي: يلتمسون بذلك زيادة نعمة من الله ويطلبون مرضاته.

﴿سَيِّمَاهُمْ﴾ علامتهم ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ يريد: السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود، يفسرها قوله: ﴿مَنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أي: من التأثير الذي يؤثره السجود، وكان يقال لعلي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ذو الثغفات، لأنه كان قد ظهر في مواضع سجوده أشباه ثغفات البعير. وعن سعيد بن جبیر: هي ندى الطهور وتراب الأرض^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾ الوصف ﴿مَثْلُهُمْ﴾ أي: وصفهم العجيب الشأن ﴿فِي التَّوَرَاتِ﴾

وتم الكلام.

ثم ابتداء: ﴿وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ وقيل: معناه: ذلك مثلهم في الكتابين جميعاً^(٣)، ثم ابتداء فقال: ﴿كَزَرْعٍ﴾ أي: هم كزرع ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه، يقال: أشطأ الزرع إذا فرخ. وقرئ: شطأه بفتح الطاء.

﴿فَنَازَرَهُ﴾ [من المؤازرة]^(٤) وهي المعاونة. وعن الأخفش: (أنه أفعل)^(٥)، أي: شده وأعانه وقواه، وقرئ: فازره أي: شد أزره ﴿فَاسْتَقْلَطَ﴾ فصار من الدقة إلى الغلظة.

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) تفسير الماوردي ج ٥: ٣٢٣.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٦: ٧٢.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) معاني القرآن للأخفش ج ٢: ٥٢١.

﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ جمع ساق أي: فاستقام على قصبه، وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي وعلا أمره.

﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ﴾ أي: يروع ذلك الزرع الأكرة الذين زرعوه.

﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ هذا تعليل لما دلّ عليه تشبيههم بالزرع في نوائهم وترقيهم في القوة والاستكمال وتظاهرهم، ويجوز أن يكون تعليلاً لقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، لأنّ الكفار إذا سمعوا ما أعدّ الله تعالى لهم في الآخرة من الأجر مع ما ينيلهم في الدنيا من العزّ غاظهم ذلك. أي: وعد الله من أقام منهم على الإيمان والعمل الصالح ﴿مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم وثواباً ﴿عَظِيْمًا﴾ ونعيماً مقيماً.

سورة الحجرات

مدنية وهي ثمان عشرة آية.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الحجرات) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل يوم أو في كل ليلة كان من زوار محمد ﷺ))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۖ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٦٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٥.

﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ يجوز أن يكون من: قَدَّمَ بمعنى تقدّم، مثل: وجّه وبيّن بمعنى: توجّه وتبيّن، ويعضده قراءة من قرأ: لا تقدّموا، أي: لا تتقدّموا فحذف أحد التاءين، ويجوز أن يكون متعدياً، يقال: قدّمه وأقدمه، وحذف المفعول ليتناول كل ما تقدّم. والمعنى: لا تقطعوا أمراً دون أن يأذن الله ورسوله فيه، وعن ابن عباس: (لا تتكلّموا قبل أن يتكلّم رسول الله وإذا سئل عن مسألة فلا تسبقوه بالجواب حتى يجيب أولاً^(١)). وعن الحسن: (نزل في قوم ذبحوا الأضحية قبل صلاة العيد فأمرهم النبي ﷺ بالإعادة)^(٢).

وعلى الجملة فالمراد: كونوا تبعاً لرسول الله ﷺ وأخروا أقوالكم وأفعالكم عن قوله وفعله، ولا تعملوا شيئاً من ذات أنفسكم حتى تستأمروه.

﴿وَأَقْوُوا اللَّهَ﴾ فإنكم إن اتقيتموه لم تسبقوا رسوله بقول ولا فعل حتى يأمركم به.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم.

ثم أعاد سبحانه النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ يعني: إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه صوته.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: لا تجهروا له جهرأ مثل جهر بعضكم لبعض. وهذا يدلّ على أنّهم نهوا عن جهر موصوف بمائلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم، وهو أن يكون خالياً من مراعاة حشمة النبوة وجلالة مقدارها. وقيل: معناه: ولا تقولوا: يا محمّد يا أحمد، كما يخاطب بعضكم بعضاً، بل

(١) تفسير الطبري ج ٢٦: ٧٤.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٦: ٧٤.

خاطبوه بالتعظيم وقولوا: يا رسول الله^(١). وعن ابن عباس: (إنها نزلت في ثابت ابن قيس بن شماس^(٢)) وكان في أذنه وقر، وكان جهوري الصوت، فكان إذا تكلم رفع صوته وربما تأذى رسول الله ﷺ بصوته^(٣)، وعن أنس: (لما نزلت الآية فقد ثابت، فتفقد رسول الله ﷺ فأخبر بشأنه، فدعاه فسأله، فقال: يا رسول الله، لقد أنزلت هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال رسول الله ﷺ: لست هناك، إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة^(٤). ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ مفعول له، ومعناه: انتهوا عما نهيتهم عنه لحبوط أعمالكم، أي: لخشية حبوطها، فحذف المضاف ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أَنَّ أعمالكم حبطت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَوْصَاتَهُمْ﴾ أي: يخفونها ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إجلالاً له. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: اختبرها فأخلصها ﴿لِلنَّقْوَى﴾ من قولهم: امتحن فلان لأمر كذا وجرب فهو مضطلع به غير مقصر فيه، أو وضع الامتحان موضع المعرفة، لأن الشيء إنما يتحقق بالاختبار، فكأنه قال: عرف الله قلوبهم للتقوى، ويكون اللام متعلقة بمحذوف كما في قولك: أنت لهذا الأمر، أي: كائن له ومختص به، قال:

أَعْدَاءُ مَنْ لِيْلِيْعْمَلَاتٍ عَلَى الْوَجَى^(٥)

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٦: ٧٥.

(٢) ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الخزرجي، كان خطيب الانصار، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، قتل يوم اليمامة. ينظر: الاستيعاب ج ١: ١٩٢.

(٣) الكشف ج ٤: ٣٥٢.

(٤) صحيح البخاري ج ٣: ١٩١.

(٥) البيت لعتي بن مالك العدوي. ديوان الحماسة: ٢٤٧، وبقيته: وأضياف ليل بيتوا النزول.

وهي مع معمولها في موضع الحال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ من خلفها أو قدامها، و(من) لا ابتداء الغاية، وإن النداء إنشاء من ذلك المكان، والحجرة: البقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة. والمراد حجرات نساء رسول الله ﷺ. وروي: أنّ وفد بني تميم أتوا رسول الله ﷺ وقت الظهر وهو راقد فنادوه: يا محمد، اخرج إلينا، فاستيقظ فخرج، ونزلت^(١).

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ سجل عليهم بالسفه والجهل لما أقدموا عليه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ في محل رفع على الفاعلية، لأنّ المعنى: ولو ثبت صبرهم، والصبر: حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها، وقولهم: صبروا عن كذا حذف منه المفعول وهو النفس، وهو حبس فيه شدة على المحبوس، ولذلك قيل للحبس على اليمين أو القتل: صبر.

والفائدة في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أنّه لو خرج ولم يكن خروجه لأجلهم، للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أنّ خروجه إليهم ولأجلهم.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في (كان) إما ضمير مصدر الفعل المضمر بعد (لو)، وإما ضمير مصدر ﴿صَبَرُوا﴾ كقولهم: من كذب كان شرّآله.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَصَبِرُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا
يَحْذَرُونَ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَنِيدِينَ ﴿١﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ
رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ
الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِعْصِيَانَ

أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
 فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ
 اللَّهِ أَمْرٍ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

الفاسق هو الوليد بن عقبة^(١)؛ أخو عثمان لأمه، وهو الذي ولاه عثمان الكوفة، فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال: أزيدكم [فإني نسيط؟]! ^(٢). بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً^(٣) إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة^(٤) فاستقبلوه فظن أنهم هموا بقتله فرجع وقال: إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب النبي ﷺ وهم أن يغزوهم فنزلت^(٥).

وفي تنكير الفاسق والنبأ معنى الشيع، والمراد: أي فاسق جاءكم بأي نبأ كان ﴿فَتَيَبَّنُوا﴾ صدقه من كذبه، وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق. وقرئ: فتثبتوا وروي ذلك عن الباقر عليه السلام. والتثبت والتبين متقاربان وهما التوقف وطلب الثبات والبيان.

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، أسلم يوم الفتح ونشأ في كنف عثمان الذي ولّاه الكوفة، وقصة صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة، وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضاً، أقام بالركة ومات بها زمن معاوية. ينظر: الإصابة ج ٣: ٦٣٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) المصدق: الذي يأخذ صدقات الغنم. (الصحيح: مادة صدق).

(٤) الإحنة: الحقد. (الصحيح: مادة إحن).

(٥) أسباب النزول: ٢٧٧.

﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾ مفعول له أي: كراهة إصابتكم.

﴿قَوْمًا بِجَهَلَةٍ﴾ حال بمعنى: جاهلين بحقيقة الأمر، كقوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾^(١).

﴿فَنُصِصُوا﴾ أي: فتصيروا ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ من إصابتهم بالخطأ ﴿تَذِمِينَ﴾ والندم ضرب من الغم، وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ هذه الجملة المصدرة بـ(لو) حال من أحد الضميرين في ﴿فِيكُمْ﴾ المرفوع المستكن أو المجرور الظاهر. والمعنى: إن فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها، [أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها]^(٢)، وهي أنكم تحاولون منه أن يعمل في الحوادث ما تستصوبونه فعل التابع لغيره المطاوع له، ولو فعل ذلك ﴿لَعَلَّيْتُمْ﴾ أي: لوقعتم في الإثم والهلاك. وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله ﷺ تصديق قول الوليد والإيقاع ببني المصطلق، وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم، وأن بعضهم يزعمهم^(٣) التقوى عن الجسارة على ذلك، وهم الذين استثناهم بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ﴾ أي: إلى بعضكم، وهم ﴿الَّذِينَ امْتَنَحَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾. والمعنى في تحبيب الله وتكريهه: اللطف والإمداد بالتوفيق، وكل عاقل يعلم أن الرجل لا يكون ممدوحاً بفعل غيره، وإذا حملت الآية على ظاهرها أدى ذلك إلى أن الله جل وعز أثنى عليهم بفعل نفسه.

و﴿الْكُفْرَ﴾: تغطية نعم الله تعالى وعظمها بالجحود.

(١) الأحزاب: ٢٥.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) يزعمهم: يكفهم. (الصحاح: مادة وزع).

﴿وَالْفُسُوقُ﴾ الخروج عن قصد الإيمان ومحجته بركوب المعاصي، وقيل: هو الكذب^(١) وهو المروي عن الباقر عليه السلام^(٢).

﴿وَالْعَصِيَّانَ﴾ المعصية.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ﴾ المهتدون إلى محاسن الأمور، المستقيمون على الحق.

﴿فَضْلًا﴾ مفعول له، أو مصدر من غير فعله، والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام.

وعن ابن عباس قال: (وقف رسول الله ﷺ على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار، فراث الحمار فأمسك عبد الله بن أبي أنفه وقال: خلّ سبيل حمارك فقد آذانا نتنه، فقال عبد الله بن رواحة: والله لحمار رسول الله أطيّب ريحاً منك، [ومضى رسول الله ﷺ] ^(٣) وطال الخوض بينهما حتى استبأ وجاء قومهما وهم الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصي فرجع إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم، فنزلت، وقرأها عليهم فاصطلحوا^(٤)).

والبغي: الاستطالة والظلم، والفيء: الرجوع، وقد يسمّى به الظل والغنيمة؛ لأنّ الظل يرجع، والغنيمة ما يرجع إلى المسلمين من أموال الكفار.

﴿فَإِنْ فَاءَتْ بِالْعَدْلِ﴾ أي: رجعت وأنابت إلى طاعة الله ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بين الطائفتين بالعدل ﴿وَأَقْسَطُوا﴾ أي: اعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي:

(١) عن ابن زيد. تفسير الماوردي ج ٥: ٣٢٩.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٩٦.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) صحيح البخاري ج ٢: ١١١.

العادلين.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ بين كل رجلين تقاتلا وتخاصما، أي: كفوا الظالم عن المظلوم وأعينوا المظلوم. وفي الحديث: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه))^(١). وقيل: المراد بالأخوين: الأوس والخزرج^(٢). وقرئ: بين إخوتكم على الجمع.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فإنكم إن فعلتم ذلك وحلکم التقوى على التواصل والاتلاف، فتصل عند ذلك رحمة الله إليكم، وتشتمل رافته عليكم.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحْزَنَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا ضِرَآءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

القوم: الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء، وهو في الأصل جمع قائم،

(١) صحيح البخاري ج ٢: ٦٦، الكافي ج ٢: ١٦٧ باختلاف يسير.

(٢) عن سعيد بن جبیر. تفسير الماوردي ج ٥: ٣٣٠.

كصوم وزور في جمع صائم وزائر، قال زهير:

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ أَخَالُ أَذْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِضْنٍ أَمْ نِسَاءٌ^(١)

والمعنى ﴿لَا يَسْخَرُ﴾ بعض الرجال من بعض، ولا بعض النساء من بعض.

وقوله: ﴿عَوَّ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ كلام مستأنف، وقد ورد مورد جواب

المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه، والمعنى: إِنَّ المسخور منه ربها كان

عند الله خيراً من الساخر، فينبغي أن لا يستهزئ أحد بمن يراه رث الحال أو ذا

عاهة، فلعله أتقى عند الله وأخلص ضميراً ممن هو على ضد صفته، فيكون قد حَقَّر

من وقره الله.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض، ومثله: ﴿لَا تَقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) لأن المؤمنين كنفس واحدة، أي: خصوا أنفسهم بالانتهاء عن عيبيها

والطعن فيها، ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم. وفي الحديث:

((اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس))^(٣). واللمز: الطعن والعيب في المشهد،

[والهمز: في الغيب، وقيل: إِنَّ اللمز ما يكون باللسان وبالعين والإشارة]^(٤)،

والهمز لا يكون إلا باللسان.

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تداعوا بها، وهو تفاعل من النبز، وبنو فلان

يتنازبون ويتنازبون بمعنى، والتلقيب المنهي عنه هو ما يدخل على المدعو به كراهة

لكونه ذماً له وشيناً، فأما ما يحبه وما يزيته وينوّه به فلا بأس به. وفي الحديث: ((من

(١) شعر زهير بن أبي سلمى: ١٣٦.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) سنن البيهقي الكبرى ج ١٠: ٢١٠ بالمعنى.

(٤) ساقطة من ج.

حقّ المؤمن على أخيه أن يسمّيه بأحبّ أسمائه إليه^(١). وعن ابن عباس: (إنّ أم سلمة ربطت حقوقها بسبيبة - وهي ثوب أبيض - وسدلت طرفها خلفها فكانت تجرّه، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجرّ خلفها كأنه لسان كلب، فهذه كانت سخريتها)^(٢). وقيل: إنّها عيّرتها بالقصر وأشارت بيدها أنّها قصيرة^(٣). وقيل: إنّ صفية بنت حيي أتت رسول الله ﷺ تبكي وقالت: إنّ عائشة تعيّري وتقول: يا يهودية بنت يهودين، فقال لها رسول الله ﷺ: ((هلا قلت إنّ أبي هارون، وإنّ عمي موسى، وإنّ زوجي محمد فنزلت^(٤))).

﴿يَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ﴾ الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم، أي: صيته وذكره، وحقيقته: ما سما من ذكره وارتفع بين الناس، كأنه قال: بسّ الاسم المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسوق.

وفي قوله: ﴿بَعْدَ الْإِيمَنِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباح الجمع بين الإيمان والفسق، كما يقال: بسّ الشأن بعد الكبر الصبوة.

والثاني: أن يكون المعنى: بسّ الذكر أن يذكر الرجل بالفسق بعد إيمانه، وذلك أنّهم كانوا يقولون لمن أسلم من اليهود: يا يهودي يا فاسق، فنهوا عنه، وتكون الجملة على هذا التفسير متعلّقة بالنهي عن التنازع.

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣: ٤٢٩.

(٢) أسباب النزول: ٢٧٩.

(٣) أسباب النزول: ٢٧٩.

(٤) أسباب النزول: ٢٧٩.

والثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، كما تقول للمتحوّل عن التجارة إلى الفلاحة: بثّست الحرفة الفلاحة بعد التجارة.

﴿أَجْتَنَّبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ وهو أن يظن بأهل الخير سوءاً، يقال: جتنبه الشر إذا أبعد عنه، وحقيقته: جعله منه في جانب، فتعدّى إلى مفعولين، ومطاويعه اجتنب الشرّ، فتعدّى إلى مفعول واحد.

﴿إِنَّكَ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ أي: ذنب يستحقّ به العقاب.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ والتجسس - بالجيم والحاء - واحد، والجيم تفعل من الجس، كما أنّ التلمّس بمعنى التطلّب من اللمس، والحاء بمعنى التعرّف من الحس، ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان: الحواس، بالحاء والجيم. والمراد: النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعائبهم.

﴿وَلَا يَغْتَبِ بََعْضُكُم بَعْضًا﴾ يقال: غابه واغتابه كغاله واغتاله، والغيبة من الاغتيال كالغيلة من الاغتيال، وهي ذكر السوء في الغيبة. وسئل النبي ﷺ عن الغيبة فقال: ((أَنْ تَذَكَرَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ فَقَدَ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدَ بَهْتَهُ))^(١).

﴿أُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفزع وجه. وعن قتادة: (كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، كذلك فأكره لحم أخيك وهو حي)^(٢).

﴿وَمَيِّتًا﴾ نصب على الحال من ﴿لَحَمَ أَخِيهِ﴾ أو من الأخ. ولما قرّهم سبحانه بأنّ أحداً منهم لا يحبّ أكل جيفة أخيه عقّب ذلك بقوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾

(١) سنن الترمذي ج ٣: ٢٢٠، ينظر: معاني الأخبار: ١٧٨.

(٢) الكشف والبيان ج ٩: ٨٤.

أي: فتحققت بوجوب الإقرار عليكم كراحتكم له ونفور طباعكم منه، فافكروا ما هو نظيره من الغيبة. وروي: أنَّ أبا بكر وعمر بعثا سلمان إلى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى أسامة بن زيد. وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله. فقال: ما عندي شيء، فعاد إليهما فقالا: بخل أسامة، ولو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا إلى رسول الله ﷺ، فقال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما!، قالوا: يا رسول الله، ما تناولنا اليوم لحماً، قال: ظللتُم تأكلون لحم سلمان وأسامة، فزلت^(١).

﴿وَأَقْوُوا اللَّهَ﴾ بترك ما أمرتم باجتنابه، والندم على ما وجد منكم منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يقبل توبتكم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ من آدم وحواء، وقيل: خلقنا كل واحد منكم من أب وأم، فما منكم أحد إلا وهو يدي بمثل ما يدي به الآخر، فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب^(٢).

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شَعْب وهو الطبقة الأولى من طبقات النسب مثل مضر وربيعة.

﴿وَقَبَائِلَ﴾ وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر، ثم العِمارة دون القبيلة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة.

﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أي: لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضاً بنسبه وأبيه وقومه، لا لأن تتفاخروا بالأباء والأجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل.

ثم بين سبحانه الخصلة التي يكتسب الإنسان بها الكرم والشرف عند الله

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٨٢.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٦: ٨٨.

تعالى ويفضل غيره فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾ أي: أرفعكم منزلة عند الله وأكثركم ثواباً، أتقاكم لمعاصيه وأعملكم بطاعته.

الإيمان: هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس، والإسلام: الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

وضع قوله ﴿لَمْ تَوْتَمُوا﴾ موضع كذبتم بدلالة قوله في صفة المخلصين: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تعريضاً بأن هؤلاء هم الكاذبون.

﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ ولم يقل: ولكن أسلمتم ليكون خارجاً مخرج الزعم والدعوى، كما كان قولهم: ﴿ءَاْمَنَّا﴾ كذلك.

﴿لَا يَلِكُمْ﴾ أي: لا ينقصكم ولا يظلمكم ﴿مَنْ﴾ ثواب ﴿أَعْمَلِكُمْ شَيْئًا﴾ يقال: ألتة حقه يألته ألتاً، ولاته يلبته بمعناه، وقرئ ﴿لَا يَلِكُمْ﴾ ولا يألنكم على اللغتين. وعن ابن عباس: (إِنَّ نَفْرًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ قَدَمُوا الْمَدِينَةَ فِي سَنَةِ جَدْبَةٍ فَأَظْهَرُوا الشَّهَادَةَ، وَأَغْلَوْا أَسْعَارَ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ يَغْدُونَ وَيُرُوحُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُونَ: أَتَتَكَ الْعَرَبُ بِأَنْفُسِهَا عَلَى ظُهُورِ رَوَاحِلِهَا، وَجِئْنَاكَ بِالْأَثْقَالِ وَالذَّرَارِي، يَرِيدُونَ الصَّدَقَةَ وَيَمْتَنُونَ عَلَيْهِ، فَتَرَلْتُ) (١).

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾
قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمْتَنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا

تَعْمَلُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِيمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ ثم لم يشكوا بعد ثلج صدورهم بالإيمان بأن يعترضهم الشيطان أو بعض المضلين فيشككهم ويقذف في قلوبهم ما يثلم اليقين.
﴿وَجَاهِدُوا﴾ العدو المحارب أو الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء.
﴿أُولَٰئِكَ هُمُ﴾ الذين صدقوا في قولهم: آمنا، ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد، وهم الذين إيمانهم صدق وحق.

﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَدِينُكُمْ﴾ أي: أتخبرون الله بدينكم، والمعنى: إنه عالم بذلك، ومحيط بضمائرهم، ولا يحتاج إلى إخباركم به، لأنه ﴿يَعْلَمُ﴾ جميع المعلومات لذاته، فلا يحتاج إلى علم يعلم به ولا إلى من يعلمه. يقال: من عليه بيد أسداها إليه إذا اعتدّها عليه إنعاماً، أي: لا تعتدوا عليّ بما ليس جديراً بالاعتداد به من حديثكم الذي حقّ تسميته أن يقال له: إسلام لا إيمان ﴿بَلِ اللَّهُ﴾ يعتدّ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن أمّدكم بتوفيقه حين ﴿هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ على ما زعمتم وادعيتم: أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له، إن صحت زعمكم وصدقت دعواكم، إلا أنكم تزعمون ما الله عالم بخلافه.

وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على متأمله، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، تقديره: إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان فلله المنّة عليكم. وقرئ: ﴿يِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والياء، وفيه إشارة إلى كونهم غير صادقين في دعواهم، أي: لا يخفى عليه شيء من أسراركم فكيف لا يظهر على صدقكم وكذبكم؟!.

سورة ق

مكية إلا آية، وهي خمس وأربعون آية.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة ق) هون الله عليه سكرات الموت))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ في فرائضه ونوافله (سورة ق) وسع الله عليه في رزقه، وأعطاه الله كتابه يمينه وحاسبه حساباً يسيراً))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ
فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ② إِنْ أَدَّأ مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ
رَجْعٌ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ
حَفِيفٌ ④ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ
⑤ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا
لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ⑥ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ⑦ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
⑧ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ

(١) الكشف والبيان ج ٩ : ٩٢.

(٢) ثواب الأعمال : ١١٥.

الْحَصِيدِ ﴿١﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَدٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رَزَقًا لِلْعِبَادِ
وَإَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾

الكلام في ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ كالكلام في ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(١) لأنها في أسلوب واحد، و﴿الْمَجِيدِ﴾: ذو المجد والشرف على غيره من الكتب، الكريم على الله.

﴿بَلِّغُوا﴾ أي: تعجبوا مما ليس بعجب وهو ﴿أَن جَاءَهُمْ﴾ رجل ﴿مِنْهُمْ﴾ قد عرفوا أمانته وعدالته ينذرهم بالخوف من البعث والجزاء.

﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير ليدل على أنهم في قولهم: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ مقدمون على كفر عظيم.

و﴿هَذَا﴾ إشارة إلى الرجوع، و(إذا) منصوب بمضمر، والمعنى: أحين نموت ونصير تراباً نبعث ونرجع؟!.

﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ مستبعد مستنكر، كما تقول: هذا قول بعيد، أي: بعيد من الوهم والعادة.

﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ رد لاستبعادهم الرجوع، أي: علمنا ما تأكل ﴿الْأَرْضُ﴾ من لحومهم وتبليه من عظامهم، فلا يتعذر علينا رجوعهم أحياء، وعن السدي: ﴿مَا نَقُصُّ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: ما يموت ويدفن في الأرض منهم^(٢).

﴿وَعِدْنَا كِتَابَ حَفِيطٍ﴾ أي: محفوظ عن البلى والدروس، وهو كتاب الحفظة، أو كتاب حافظ لما أودع وكتب فيه.

(١) ص: ١.

(٢) معالم التنزيل ج ٤: ٩٣.

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفضح من تعجبهم، وهو التكذيب ﴿يَالْحَقِّ﴾ الذي هو النبوة المؤيدة بالمعجزات. ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾ أي: مختلط مضطرب، يقال: مرج الخاتم في إصبعه وخرج، فمرة يقولون: مجنون، وتارة: ساحر، وتارة: شاعر.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا﴾ حين كفروا بالبعث ﴿إِلَى﴾ آثار قدرة الله في بناء ﴿السَّمَاءِ﴾ مع عظمها وحسن انتظامها ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بغير علاقة وعماد ﴿وَمَا هَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي: شقوق وفقوق، كقوله: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(١). ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْتَهَا﴾ دحوناها وبسطناها ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِي﴾ أي: جبلاً ثوابت.

﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ من كل صنف تبتهج به لحسنه. ﴿تَبَصَّرَ﴾ ليبرر به ويذكر كل ﴿عَبْدٍ مُتَّبِعٍ﴾ راجع إلى ربه، مفكر في بدائع خلقه.

﴿مَاءٍ مُبْرَكًا﴾ أي: مطراً وغيثاً يكثر النفع به والبركة. ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين فيها أشجار تشتمل على الفواكه. ﴿وَوَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أي: وحبّ الزرع الذي من شأنه أن يحصد، وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما.

وأنبتنا به النخل ﴿بِاسْقَنْتِ﴾ طوالاً في السماء ﴿لَمَّا طُلُعَ نَضِيدُ﴾ [منضود]^(٢)، نضد بعضه على بعض، يريد: كثرة الطلع وتراكمه وكثرة ما فيه من الثمر.

(١) الملك: ٣.

(٢) ساقطة من ب.

﴿زَيْقًا لِلْعِبَادِ﴾ مفعول له، أي: أنبتناها لنرزقهم، أو مصدر ﴿أَنْبَتْنَا﴾ لأن الإنبات في معنى الرزق.

و﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ أي: كما أحيينا ﴿بِهِ بَلَدَةٌ مَيِّتًا﴾ لا تنبت شيئاً فنبت وعاشت كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم. والكاف في موضع الرفع على الابتداء.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعَبَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْقَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾

كل من هؤلاء المذكورين كذب ﴿الرُّسُلَ﴾ الذين بعثوا إليهم.

﴿فَحَقَّ﴾ أي: وجب وحل ﴿وَعِيدُ﴾ وهو كلمة العذاب، وفيه تسلية لنبيينا ﷺ ووعيد للكفار.

﴿أَفَعَبَيْنَا﴾ الهمزة للإنكار، يقال: عبي بالأمر: إذا لم يهتد له، والمعنى: إنّا لم نعجز عن الخلق ﴿الْأَوَّلِ﴾ كما علموا حتى نعجز عن الثاني.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يعني: إنهم لم ينكروا قدرتنا على الخلق الأول، بل هم في خلط وشبهة من البعث بعد الموت، قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم بأن سؤل إليهم أنّ إحياء الأموات أمر خارج عن العادة.

والوسوسة: الصوت الخفي، وسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان

ويهيجس في ضميره من حديث النفس، والباء مثلها في قولك: صوت بكذا، ويجوز أن يكون للتعدية، والضمير لـ (الإنسان) أي: ما يجعله موسوساً، و﴿مَا﴾ مصدرية؛ لأنهم يقولون: حدّث نفسه بكذا، كما يقولون: حدّثته به نفسه، قال لبيد:

وَكَذِبِ النَّفْسِ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزِرِّي بِالْأَمَلِ^(١)

﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيَّ﴾ يريد: قرب عمله منه وتعلّقه بأحواله حتى لا يخفى عليه شيء منها، فكأن ذاته قريبة منه.

و﴿جَلِ أَوْرِدِ﴾ مثل في فرط القرب، كما قالوا: هو مني معقد الأزار، والجل: الحبل: العرق، والوريدان: عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها يتصلان بالوتين يردان من الرأس إليه.

﴿إِذْ﴾ منصوب بـ ﴿أَقْرَبُ﴾ والمعنى: إنّه سبحانه يعلم خطرات النفس وهو أقرب إلى الإنسان من كل قريب حين ﴿يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: الملكان الحافظان يأخذان ما يتلفظ به، وهذا إيدان باستغنائه عزّ اسمه عن استحفاظ الملكين، إذ هو مطلع على أخفى الخفيات، وإنّما ذلك لحكمة تقتضيه، وهي ما في ذلك من زيادة اللطف في انتهاء العباد عن القبائح والرغبة في العبادات. والتلقي: التلقن، والقعيد: القاعد كالجليس [بمعنى المجالس]^(٢)، وتقديره: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقين، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه، كقول الشاعر:

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيّاً وَمِنْ جُودِ الطَّوِيِّ رَمَانِي^(٣)

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٤١.

(٢) ساقطة من ب، د.

(٣) شعر عمرو بن أحرر الباهلي: ١٨٧، وفيه: ومن أجل....

﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾ ملك يرقب عمله ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر معه. وعن النبي ﷺ: ((كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يساره، وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يستبَح أو يستغفر))^(١).

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: شدته الذاهبة بالعقل، والباء في ﴿بِالْحَقِّ﴾ للتعدية، أي: وأحضرت شدة الموت حقيقة الأمر من السعادة أو الشقاوة، وقيل: بالحق الذي خلق له الإنسان^(٢)، ويجوز أن يكون الباء مثلها في قوله: ﴿تَبَيَّنُ بِالذُّهْنِ﴾^(٣) أي: جاءت ملتبسة بالحق أي: بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغرض الصحيح، وقرئ: سكرة الحق بالموت، وروي ذلك عن أئمتنا عليهم السلام، أضيفت السكرة إلى الحق دلالة على أنها السكرة المكتوبة على الإنسان، وأنها حكمة. والباء للتعدية، لأنها سبب زهوق الروح لشدتها، أو لأن الموت يعقبها، فكأنها جاءت [به. ويجوز أن يكون المعنى: جاءت]^(٤) ومعها الموت، وقيل: سكرة الحق: سكرة الله أضيفت إليه تعظيماً وتفضيلاً لشأنها.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الموت، والخطاب للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ على طريقة الالتفات، أو إلى الحق، والخطاب للفاجر. ﴿يَحِيدُ﴾ أي: تهرب وتنفر.

(١) شعب الإيمان ج ٥: ٣٩٠، أمالي الشيخ الطوسي ج ١: ٢١٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ٤٥.

(٣) المؤمنون: ٢٠.

(٤) ساقطة من ج.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى مصدر ﴿فُتِحَ﴾ أي: وقت ذلك يوم الوعيد [محذوف

المضاف] ^(١).

وَحَآتْ كُلَّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ① لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكُشِفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ② وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ③ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ④ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَّزِيدٍ ⑤ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ⑥ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ⑦ قَالَ لَا تَخْصِمُوهُ لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ⑧ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ ⑨ لِلْعَبِيدِ ⑩ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ⑪ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ ⑫ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ⑬ مَّن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مَُّنِيبٍ ⑭ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ⑮ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ⑯

﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ من الملائكة يبحثها على السير إلى الحساب ﴿وَشَهِيدٌ﴾ منهم أيضاً يشهد عليها بما يعلم من حالها. و﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ في موضع الحال من ﴿كُلُّ﴾ لتعرفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة.

أي: يقال له: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم في الدنيا، وجعلت الغفلة كأنها غطاء لك وغشاوة لعينيك ﴿فَكُشِفْنَا عَنْكَ﴾ الغطاء وزالت عنك الغفلة فرجع بصرك الكليل عن الإبصار حديداً لتيقظه.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ وهو الشيطان الذي قَبِضَ له في قوله سبحانه: ﴿نَقَبِضُ لَهُ﴾

شَيْطَانًا نَّهُوْلَهُ قَرِيْنٌ ﴿١﴾ وقيل: هو الملك الشهيد عليه^(٢)، وهو المروي عنهم عليهم السلام ^(٣). ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عِيْدٌ﴾: إن كان المراد بالقرين الشيطان، فالمعنى: هذا شيء لديّ وفي ملكتي عتيد لجهنم أعتدته وهيأته لها ياغواثي وإضلائي، وإن كان المراد الملك، فالمعنى: هذا شيء حاضر عندي من عمله كتبته عليه إذ وكلتني به، يقوله لله سبحانه. و﴿مَا﴾ موصوفة و﴿عِيْدٌ﴾ صفة لها، وإن جعلتها موصولة ف﴿عِيْدٌ﴾ بدل، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ﴾ خطاب من الله للملكين: السائق والشهيد، ويجوز أن يكون خطاباً للواحد بأن ينزل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل، كأنه قيل: ألق ألق، أو لأنّ العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثرت على ألسنتهم أن يقولوا: يا صاحبي^(٤)، وخليلي^(٥)، وقفا^(٦)، حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين، كما ورد عن الحجاج أنّه كان يقول: يا حرسيّ اضربا عنقه^(٧). أو يكون الألف بدلاً من النون الخفيفة للتأكيد إجراء للوصل مجرى الوقف. وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((إذا كان يوم القيامة يقول الله لي ولعليّ: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا الجنة من أحبكما،

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٦: ١٠٣.

(٣) مجمع البيان ج ٩-١٠: ١٤٦.

(٤) كما قال دعلب: يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبي إذا دمي سفكا. شعر دعلب بن علي الخزامي: ٢٠٤.

(٥) كما قال إمروء القيس: خليليّ مراي على أم جندب نقض لبانات الفؤاد المعبّد. ديوانه: ٤١.

(٦) كما قال إمروء القيس: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول. ديوانه: ٨.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ٤٦.

وذلك قوله عز اسمه: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(١). والعنيد: المعاند، المجانب للحق، المعادي لأهله.

﴿مَنَّاغٍ لِلْمَنَازِقِ﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه، أو مناع لجنس الخيرات يصل إلى أهله، يحول بينه وبينهم، قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم^(٢).

﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متعد للحق.

﴿مُرِيْبٍ﴾ شاك في الله وفي دينه، وقيل: متهم بفعل ما يرتاب بفعله مثل المليم. ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ مبتدأ مضمّن معنى الشرط، وخبره: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ ويكون ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكريراً للتأكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي: ما جعلته طاغياً، وما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى واختار الضلال على الهدى، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^(٣).

﴿قَالَ﴾ أي: يقول الله عز اسمه لهم: ﴿لَا تَخْصِمُوهُ لَدَىَّ﴾ أي: لا يخاصم بعضكم بعضاً عندي في دار الجزاء فلا فائدة في اختصاصكمكم ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ على ألسنة رسلي، ثم قال: لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعدني لكم في تكذيب رسلي ومخالفة أمري بغيره.

﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ في عقابهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب القبائح،

(١) شواهد التنزيل ج ٢: ١٩٠.

(٢) عن الضحاك. تفسير الماوردي ج ٥: ٣٥٢.

(٣) إبراهيم: ٢٢.

والباء في ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ مزيدة، مثلها في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١)، أو متعديّة إن كان قدّم بمعنى تقدّم، والجملة التي هي: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ وقعت موقع الحال من ﴿لَا تَخْضَعُوا﴾، بمعنى: وقد صبح عندكم أي قدّمت إليكم بالوعد. ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ قرئ بالنون والياء، وانتصب ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿يُظَلَّلِرْ﴾ أو بـ ﴿نُفِخَ﴾، وسؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب، وفيه معنيان:

أحدهما: أنّها تمتلئ مع تباعد أطرافها حتى لا يزداد على امتلائها.

والثاني: أنّها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد، والمزيد: مصدر كالمجيد، أو اسم مفعول كالمبيع.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ نصب على الظرف أي: مكاناً غير بعيد، أو على الحال، وإنّا ذكر لأنّه على زنة المصدر، والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث، أو على حذف الموصوف أي: شيئاً غير بعيد، ومعناه التوكيد كما تقول: هو قريب غير بعيد.

﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾ جملة اعتراضية، ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدل من ﴿الْمُتَنَفِّينَ﴾ بتكرير الجار، و﴿هَذَا﴾ إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر ﴿أَزَلَقْتُ﴾. والأوَّاب: التوّاب الرجّاع إلى الله وطاعته، والحفيظ: الحافظ لحدوده.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ بدل بعد بدل تابع لـ (كل)، ويجوز أن يكون بدلاً من موصوف ﴿أَوَّابٍ﴾ و﴿حَفِيطٍ﴾، ولا يجوز أن يكون في حكم ﴿أَوَّابٍ﴾ و﴿حَفِيطٍ﴾ لأنّ ﴿مَنْ﴾ لا يوصف به، ولا يوصف بشيء من الموصولات إلا بـ (الذي)

وحده. ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره يقال لهم: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَكٍ﴾ لَأَنَّ ﴿مَنْ﴾ في معنى الجمع.

و﴿يَا لَيْتَ﴾ حال من المفعول أي: خشيه وهو غائب، أو صفة لمصدر خشي، أي: خشيه خشية ملتبسة بالغيب حتى خشي عقابه وهو غائب، أو من الفاعل أي: وهو في الخلوة حيث لا يراه أحد.

﴿وَمَا يَقَالُ مُنِيبٌ﴾ راجع إلى الله مقبل عليه، يقال لهم: ادخلوها سالمين من العذاب، أو مسلماً عليكم بسلام الله وملائكته عليكم.

﴿ذَلِكَ يَوْمٌ﴾ تقدير ﴿الْخُلُودِ﴾، كقوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١) أي: مقدرين الخلود.

﴿لَهُمْ مَا﴾ يريدون وما يشتهون من أنواع النعيم في الجنة ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ على ما يشاؤون مما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيتهم، أو مزيد على قدر استحقاقهم.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ
هَلْ مِنْ مَّخِصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾
فَأَصْرَعْنَا عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾
وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ

﴿١٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ
 ﴿١٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ
 يَخَافُ وَعِيدِ ﴿١٥﴾

﴿فَنَقَّبُوا﴾ أي: فتحوا المسالك ﴿فِي أَلْبَدٍ﴾، من النقب وهو الطريق،
 والمعنى: دوخوا البلاد ونقروا عن أمورها، قال الحارث بن حنظلة:

نَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ وَجَالُوا فِي الْأَرْضِ كُلَّ جَحَالٍ^(١)

والفاء للتسبب عن قوله: ﴿هُم أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: شدة بطشهم أقدرتهم
 على التنقيب وقوتهم عليه. ويجوز أن يكون المعنى: فنقب أهل مكة في بلاد تلك
 القرون فهل رأوا لهم محيصاً من الله أو من الموت حتى يأملوا مثله لنفوسهم؟.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ أي: تذكرة واعتباراً ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ واع، لأن
 من لا يعي قلبه فكأنه بلا قلب، وعن ابن عباس: (القلب هنا العقل)^(٢).

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ بأن يصغي ويستمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بفظته،
 لأن من لا يحضر ذهنه فهو كالغائب، أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحي
 من الله.

واللغوب: النصب والإعياء، أكذب الله تعالى اليهود بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا
 مِنْ لُغُوبٍ﴾ حيث قالوا: استراح الله يوم السبت.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ﴾ ما يقوله المشركون من إنكار البعث وتكذيبك، واحتمل

(١) نقله المصنف تبعاً لصاحب الكشاف، وفي الإتيان ج ١: ٣٦٩ أن البيت لعدي بن زيد، ولا يوجد
 في ديوانيهما المطبوعين.

(٢) معالم التنزيل ج ٤: ٩٥.

ذلك حتى يأتيك الله بالفرج.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ التسبيح: محمول على ظاهره وعلى الصلاة، فالصلاة ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر ﴿وَمِنْ أَيْلٍ﴾ العشاءين، وقيل: صلاة الليل^(١) ويدخل فيها المغرب والعشاء.

﴿وَأَذْبَرَ الشُّجُودَ﴾ التسبيح في أعقاب الصلوات، والسجود والركوع قد يعبر بهما عن الصلاة، وقيل: النوافل بعد المغرب ﴿وَإِذْبَارَ النُّجُومِ﴾^(٢) الركعتان قبل صلاة الفجر^(٣). وروي: ((إِنَّ مِنْ صَلَاتِهَا بَعْدَ الْمَغْرَبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَتَبَتْ صَلَاتُهُ فِي عِلَيْنِ))^(٤).

والأدبار: جمع دبر، وقرئ بكسر الهمزة، من أدبرت الصلاة: إذا انقضت وتمت، والمعنى: وقت انقضاء السجود، كما يقال: آتيتك خفوق النجم.

﴿وَأَسْمِعْ﴾ لما أخبرك به من حال يوم القيامة، وفيه تهويل وتعظيم لشأن المخبر به، وانتصب ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ [بما دلّ عليه ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ أي: يوم ينادي المنادي يخرجون من قبورهم، و﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾^(٥) الْمُنَادِ، والمنادي: إسرافيل، ينفخ في الصور وينادي: أيتها العظام البالية [والأوصال المقطعة]^(٦) واللحوم المتمزقة [والشعور

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٦: ١١٢.

(٢) الطور: ٤٩.

(٣) عن علي بن أبي حمزة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٦: ١١٢، ج ٢٧: ٢٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ج ٢: ١٠٣.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) ساقطة من ج، د.

المتفرقة^(١)، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ^(٢).

﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي أقرب الأرض من السماء.

و﴿الصَّيْحَةَ﴾ هي النفخة الثانية.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يتعلق بـ﴿الصَّيْحَةَ﴾ والمراد به البعث والحشر للجزاء.

﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور إلى أرض الموقف.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي﴾ الخلق ونميتهم بعد الحياة ﴿وَلِئَلَّنَا الْمَصِيرُ﴾ يوم القيامة.

وقرئ: ﴿تَسْقُفُ﴾ بإدغام التاء في الشين وبحذف التاء، أي: تتصدع ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ فيخرجون عنها ﴿سِرَاعًا﴾ بلا تأخير، وهو حال من الضمير المجرور في ﴿عَنْهُمْ﴾.

والحشر: الجمع بالسوق من كل جهة. ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ تقديم الظرف يدلّ على الاختصاص، يعني: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر بالذات الذي لا يشغله شأن عن شأن.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تهديد لهم وتسلية لنبينا ﷺ.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: متسلط تجبرهم على الإيمان إنما أنت داع ومنذر، كقوله: ﴿لَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضْطَرٍ﴾^(٣) يقال: جبره وأجبره على الأمر، وعلى بمنزله في قولك: هو عليهم: إذا كان واليهم ومالك أمرهم.

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) الدر المنثور ج ٦: ١١٠.

(٣) الغاشية: ٢٢.

﴿مَنْ يَخَافُ وَيَعِيدُ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾^(١) خصّ التذكير بهم لأنّه لا ينفع إلا فيهم.

سورة الذاريات

مكية وهي ستون آية.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الذاريات) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((ومن قرأها في يوم أو ليلة أصلح الله له معيشته، وآتاه برزق واسع، ونور له في قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ① فَلْهَمَلْنَا ② وَقَرَأَ ③ فَلْجَزَيْنَا ④ يُسْرًا ⑤
فَالْمَقْسَمَاتِ ⑥ أَمْرًا ⑦ إِنَّمَا نُوْعِدُونَ ⑧ لَصَادِقٌ ⑨ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُوا ⑩
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ⑪ إِنَّكَ لَنَاقِلٌ ⑫ قَوْلٍ مُّخْلِيفٍ ⑬ يُؤْفَكُ عَنْهُ ⑭ مَنْ أُفِكَ
① قُتِلَ الْفَرَصُونَ ② الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ③ يَسْتَلُونَ
أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ④ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ⑤ ذُوقُوا ⑥ فَنَنْتَكِرُهُ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ⑦

﴿الذَّارِيَاتِ﴾ الرياح، لأنها تذرّو التراب وغيره، كما قال: ﴿تَذَرُوهُ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ١٠٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٥.

الرِّبَاحُ ﴿١﴾. وقرئ بإدغام التاء في الذال.

﴿فَالْحَمِيلَتِ وَقَرَأَ﴾ هي السحاب تحمل المطر.

﴿فَالْجَزَيْتِ﴾ هي السفن ﴿يُسَّرُّ﴾ أي: جرياً ذا يسر وسهولة.

﴿فَالْمَقْسِمَتِ أَمراً﴾ هي الملائكة تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما،

أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك، وهذا التفسير مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام (٢) وعن

ابن عباس (٣)، وعن مجاهد: (تولى الملائكة تقسيم أمر العباد: جبرئيل للغلظة،

وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ، وقد حملت على

الكواكب السبعة) (٤).

أقسم سبحانه بهذه الأشياء لما تضمنته من الدلالة على وحدانيته وبديع

حكيمته وكمال قدرته. وعنهم عليه السلام: ((لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله، وله عز اسمه

أن يقسم بما يشاء من خلقه)) (٥).

وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، و(ما) موصولة أو مصدرية، والموعود:

البعث.

﴿لَصَادِقٌ﴾ أي: ذو صدق كـ ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٦).

و﴿الَّذِينَ﴾ الجزاء ﴿لَوْعَةٍ﴾ أي: حاصل كائن.

(١) الكهف: ٤٥.

(٢) تفسير القمي ج ٢: ٣٢٧، تفسير الطبري ج ٢٦: ١١٦.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٦: ١١٦.

(٤) الكشف ج ٤: ٣٩٤.

(٥) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ٣٠ من أبواب الأيمان.

(٦) الحاقة: ٢١.

﴿الْحَبِّكَ﴾ الطرائق مثل حبك الرمل والماء إذا ضربته الريح، وكذلك: حبك الشعر: آثاره تشنيه وتكسره، والدرع محبوكة لأنّ حلقها مطرق طرائق، وعن الحسن: (حبكها: نجومها)^(١)، وعن عليّ عليه السلام: ((حسنها وزينتها))^(٢). ويجوز أن تكون النجوم تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي، وهي جمع حباك، كمثال ومثل، وحيكة كطريقة.

﴿إِنَّمَا لِيَ قَوْلٍ تُخَلِّفُ﴾ هو قولهم في الرسول عليه السلام: شاعر وساحر ومجنون، وفي القرآن: إنه سحر وكهانة وأساطير الأولين، وعن قتادة: (منكم مصدق ومكذب، ومقر ومنكر)^(٣).

﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ﴾ الضمير للرسول أو للقرآن، أي: يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشدّ منه وأعظم، كقوله عليه السلام: ((لا يهلك على الله إلا هالك))^(٤). وقيل: يصرف عنه من هو مصروف عن الخير في سابق علم الله^(٥). ويجوز أن يكون الضمير لـ(ما توعدون) ومعناه: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك.

﴿قِيلَ الْخَرَصُونَ﴾ دعاء عليهم، وأصله: الدعاء بالقتل والهلاك، ثم أجري مجرى لعن وقبح، أي: لعن الكذابون المقدرون ما لا يصحّ، وهم أصحاب القول المختلف. واللام إشارة إليهم، كأنه قيل: قتل هؤلاء الخراصون.

(١) تفسير الطبري ج ٢٦: ١١٨.

(٢) تفسير الماوردي ج ٥: ٣٦٢.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٦: ١١٨.

(٤) الكافي ج ٢: ٣٩٥، صحيح مسلم ج ١: ٨٣.

(٥) عن الحسن. تفسير الماوردي ج ٥: ٣٦٣.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ أي: جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أمروا به.
﴿يَسْأَلُونَ﴾ فيقولون: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: متى يوم الجزاء؟ ومعناه: أيَّان
وقوع يوم الدين؟.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي: يحرقون ويعذبون، ومنه: الفتن، وهي الحرة
لأن حجارتها كأنها محرقة. و﴿يَوْمَ﴾ يجوز أن يكون مفتوحاً لإضافته إلى غير
متمكن، فيكون محله رفعاً على هو يوم هم... يفتنون، أو نصباً بفعل مضمر دلّ
عليه السؤال، أي: يقع في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون منصوباً في الأصل بالمضمر
الذي هو يقع.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ في محل الحال، أي: مقولاً لهم هذا القول.
﴿هَذَا﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِي﴾ خبره، أي: هذا العذاب هو الذي ﴿كُنتُمْ بِهِ
تَسْتَعِجِلُونَ﴾.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ بِهِمْ وَإِنَّهُمْ كَانُوا
قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا لَا سَحَابٍ
هُم بِسُفُوفِهِمْ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ
ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوَعَّدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ءَاخِذِينَ﴾ أي: قابلين ما أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ من النعيم والكرامة، راضين به.
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ في دار التكليف ﴿مُحْسِنِينَ﴾ قد أحسنوا أعمالهم. وتفسير
إحسانهم ما بعده.

و﴿مَا﴾ مزيدة أي: كانوا يهجعون في زمان قليل من الليل إن جعلت ﴿قَلِيلًا﴾ ظرفاً، ويجوز أن يكون صفة للمصدر أي: هجوعاً قليلاً. ويجوز أن يكون ﴿مَا﴾ مصدرية أو موصولة على كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، أو ما يهجعون فيه، فيكون فاعل ﴿قَلِيلًا﴾ وفيه ضروب من المبالغة بلفظ الهجوع وهو الفرار من النوم، قال:

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ^(١)

وقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ و﴿مِنْ أَلِيلٍ﴾ وزيادة ﴿مَا﴾ المؤكدة لذلك، أي: يحيون الليل متهجدين فإذا سحروا أخذوا في الاستغفار، كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم، وقوله: ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فيه: أنهم هم المختصون بالاستغفار لاستدامتهم له.

السائل: هو المستجدي، والمحروم: الذي يحسب غنياً فيحرمه الناس لتعففه. وعن النبي ﷺ: ((ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرّة والتمرتان، قالوا: فمن هو؟ قال: الذي لا يجد ولا يتصدق عليه))^(٢). وقيل: هو المحارف الذي لا ينمى له مال^(٣).

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ دلالات دالة على الصانع وكمال قدرته وبدائع حكمته بما فيها من السهل والجبل والبر والبحر، وأنواع النبات والأشجار بالثمار المختلف ألوانها وطعومها وروائحها، الموافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم، وما أنبت في أقطارها من أنواع الحيوان المختلفة الصور والأشكال، وغير ذلك.

﴿لِّلْمُتَوَقِّينَ﴾ المتوحدّين الناظرين المتأملين ببصائرهم.

(١) البيت لأبي قيس بن الأسلت. جمهرة أشعار العرب: ٢٣٤.

(٢) سنن النسائي ج ٥: ٨٥.

(٣) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج ٢٦: ١٢٤.

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ في مبتدئ أحوالها وتنقلها من حال إلى حال، وما ركب في ظواهرها وبواطنها من عجائب الفطن وبدائع الحكم ما تحار فيه العقول، وحسبك بالقلوب وما ذكر فيها من لطائف المعاني، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وبالصور والطبائع والألوان واختلافها في كل إنسان، وبالأسماع والأبصار وسائر الجوارح، وما ركب فيها من فنون الحكمة:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(١)

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ وهو المطر لأنه سبب الأقوات ﴿وَمَا تَوَعَّدُونَ﴾ الجنة، أو أراد ما ترزقونه في الدنيا وما توعدهونه في العقبى، كله مقدر مكتوب في السماء. ﴿يُنْزِلُ مَا أَنتُمْ نَاطِقُونَ﴾ وقرئ ﴿يُنْزِلُ﴾ بالرفع صفة لـ ﴿لَحَقُّ﴾ أي: حق مثل نطقكم، وبالنصب على أنه: لحق حقاً مثل نطقكم، ويجوز أن يكون فتحاً لإضافته إلى غير متمكن. و(ما) مزيدة بنص الخليل^(٢) وهذا مثل قولهم: إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع، ومثل ما أنك ها هنا، والضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ لما ذكر من الآيات والرزق، أو للنبي ﷺ، أو لـ ﴿مَا تَوَعَّدُونَ﴾ والمعنى: إنه في صدقه وتحققه كالذي تعرفه ضرورة.

هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ صَنِيفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ بْنِ^(١٦) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ^(١٧) فَرَأَى إِلَيْهِمْ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ^(١٨) فَفَرَّقَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ^(١٩) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَئِمٍ عَلَيْهِ^(٢٠) فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ^(٢١) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ

(١) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية: ٧٠.

(٢) الكتاب ج ٣: ١٤٠.

الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّا
أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٢٣﴾ مُّسَوَّمَةً
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٢٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا
وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
الْعَذَابَ الْآلِيمَ ﴿٢٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ
﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ، وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ بَجْنٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ، فَنَبَذْنَاهُ
فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم نبيّنا ﷺ وإنما
عرفه بالوحي. والضيف واحد وجمع، كالصوم والفطر، لأنّه في الأصل مصدر
ضافه، سباهم ضعفاً لأنهم كانوا في صور الضيف، حيث أضافهم إبراهيم عليه
وكانوا اثني عشر ملكاً، وقيل: ثمانية^(١)، وقيل: ثلاثة^(٢). وإكرامهم: أن إبراهيم
خدمهم بنفسه وعجل لهم القرى^(٣)، أو لأنهم عند الله مكرمون.
﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ نصب بـ ﴿الْمُكْرِمِينَ﴾ إذا فسر بإكرام إبراهيم لهم، وإلا فيما في
ضيف من معنى الفعل.

﴿سَلَامًا﴾ مصدر سدّ مسدّ الفعل، وأصله: نسلم عليكم سلاماً.
و﴿سَلَّمَ﴾ على معنى: عليكم سلام، عدل به إلى الرفع ليدلّ على ثبات
السلام، كأنه أراد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذاً بأدب الله. وقرئ سلام كما

(١) عن محمد بن كعب. الكشف والبيان ج ٩: ١١٦.

(٢) عن عطاء وجماعة. الكشف والبيان ج ٩: ١١٦.

(٣) قرئ الضيف قرئ: أحسنت إليه. (الصحاح: مادة قرا).

في سورة هود^(١).

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: قال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه، ومن أدب المضيف [أن يخفي أمره، وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف]^(٢) حذراً من أن يكفه، وعن قتادة: (كان عامة مال نبي الله إبراهيم البقر فجاء بعجل)^(٣).

والهمزة في ﴿أَلَا تَأْكُلُوتَ﴾ للإنكار، أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه.

﴿فَأَوْحَسَ﴾ فأضمر. وعن ابن عباس: (وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب)^(٤).

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ يكون عالماً نبياً وهو إسحاق، وعن مجاهد: (هو إسماعيل)^(٥).

﴿فِي صَرَقٍ﴾ في صيحة، من: صرّ الجندب، وصرّ القلم والباب، وهو في محلّ الحال، أي: جاءت صارة، وعن الحسن: (أقبلت إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم، لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء)^(٦)، وقيل: فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب^(٧).

(١) الآية: ٦٩.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٦: ١٢٨.

(٤) الكشف ج ٤: ٤٠٢.

(٥) تفسير الطبري ج ٢٦: ١٢٨.

(٦) الكشف ج ٤: ٤٠٢.

(٧) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٢٦: ١٢٩.

﴿وَقَالَتْ مَجُوزٌ﴾ أي: أنا عجزوز ﴿عَفِيمٌ﴾ فكيف ألد؟!.

﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به.

﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أي: إنما نخبرك عن أمر الله، والله قادر على ما تستبعدين.

ولما علم إبراهيم أنهم رسل الله ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: فما شأنكم وما طلبكم؟.

[﴿الْمُسْرِفِينَ﴾] ^(١) سبأهم مسرفين كما سبأهم عادين لإسرافهم في الفواحش وعدوانهم فيها.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: في قرى قوم لوط، ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة، وفيه دليل على أنّ الإيثار والإسلام في الحقيقة واحد، وأنها صفتا مدح، والإيمان هو التصديق بما أوجب الله التصديق به، والإسلام هو الاستسلام لما أوجبه الله وألزمه.

والبيت: لوط وابنتاه، وصفهم الله بالإيمان والإسلام جميعاً، وقيل: كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر ^(٢).

﴿وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أي: علامة يعتبر بها الخائفون دون الذين قست قلوبهم.

﴿وَفِي مُوسَى﴾ معطوف على ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ ^(٣).

﴿فَتَوَلَّى رِبِّيَّهُ﴾ أي: فأعرض فرعون بها كان يتقوى به من جنوده ﴿وَقَالَ﴾ هو ﴿سِحْرٌ﴾.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) عن سعيد بن جبیر. الدر المنثور ج: ٦: ١١٥.

(٣) الذاريات: ٢٠.

﴿نَمْعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيره قوله: ﴿نَمْعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾^(١).
 ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد مضي الأيام الثلاثة، وقرئ: الصعقة وهي المرة
 من: صعقتهم الصاعقة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليها جهاراً.
 ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ كقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾^(٢) أي: لم
 ينهضوا من تلك الصرعة ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب.
 ﴿وَقَوْمٌ نُوْجٍ﴾ على معنى: وأهلكنا قوم نوح، لأن ما قبله يدلّ عليه ﴿مَنْ قَبْلُ﴾
 عاد وثمود.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي: رفعنا بناءها ﴿بِأَيْدٍ﴾ بقوة، والأيد والآد: القوة.
 ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون، من الوسع وهو الطاقة، وعن الحسن: (الموسعون
 الرزق على الخلق بالمطر)^(٣).

﴿فَرَشْنَاهَا﴾ أي: بسطناها ﴿فَنِعَمَ الْمَسْهُدُونَ﴾ نحن إذ فعلنا ذلك لمنافع
 الخلق لا لجر نفع أو دفع ضرر.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحيوان ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وعن الحسن:
 (السماء والأرض، والليل والنهار، والبر والبحر، والشمس والقمر، وعدد أشياء
 وقال: كل اثنين منها زوج، والله جل جلاله فرد لا مثل له)^(٤).

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق
 الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه.

(١) هود: ٦٥.

(٢) هود: ٦٧.

(٣) تفسير الماوردي ج ٥: ٣٧٣.

(٤) الكشف ج ٤: ٤٠٤.

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: طاعة الله وثوابه من معصيته وعقابه بتوحيده وإخلاص العبادة له.

وكرر قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْ نَّدِيرٍ مِّثْلٍ﴾ عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك، ليعلم أنَّ العلم والعمل مقترنان، وبالجمع بينهما يفوز الإنسان.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ذلك، وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وقولهم: هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، فقوله: ﴿مَا أَتَى﴾ تفسير لما أجمل.

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ الضمير للقول، والمعنى: أتواصى الأولون والآخرين بهذا القول حتى قالوه جميعاً متفقين عليه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان حملهم عليه.

﴿فَنُوحِلْنَاهُمْ﴾ فأعرض عن دعوتهم فلم يجيبوا، فلا لوم في إعراضك عنهم بعدما بلغت الرسالة وبذلت وسعك في الدعوة والإبلاغ.

﴿وَذَكِّرْ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يعرفون الله ويؤخِّدونه. وعن عليٍّ عليه السلام: ((أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ: ﴿فَنُوحِلْنَاهُمْ﴾ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا نَزَلَ: ﴿وَذَكِّرْ﴾ طَابَتْ نَفُوسُنَا))^(١).

المعنى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا﴾ لأجل العبادة، ولم أَرِدْ من جميعهم إلا إِيَّاهَا، والغرض في خلقهم تعريضهم للثواب، وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات. ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ أي: لا أستعين بهم في تحصيل أرزاقهم ومعاشهم، بل أفضّل عليهم برزقهم وبما يصلحهم، وما أريد أن يطعموا أحداً من خلقي، وإنما أسند إلى نفسه لأن الخلق كلهم عياله، ومن أطعم عيال أحد

فكانها أطمعه.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ لعباده وللخلائق كلهم، فلا يحتاج إلى معين.

﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ الذي لا يتطرق إليه العجز والضعف.

﴿الْمَتِينُ﴾ الشديد القوة، البليغ الاقتدار على كل شيء، يقال: متن متانة فهو

متين.

والذنوب: الدلو العظيم، وهذا تمثيل، وأصله في السقاة يقتسمون الماء

فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب، قال:

لَنَا ذُنُوبٌ وَلَكُمْ ذُنُوبٌ فَإِنْ أَبِيئْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيلُ^(١)

والمعنى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بتكذيب النبي ﷺ [نصيياً من عذاب الله] ﴿مِثْلَ﴾

نصيب ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ ونظرائهم من القرون المهلكة^(٢) ﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ بإنزال

العذاب فاتهم لا يفوتوني.

﴿مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو يوم القيامة.

(١) كتاب العين ج ٨: ١٩٠ دون نسبة وكذا في باقي المصادر المتوفرة.

(٢) ساقطة من د.

سورة الطور

مكية، تسع وأربعون آية كوفي، ثمان بصري، ﴿دَعَا﴾ كوفي.
وفي حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة الطور) كان حقاً على الله عز وجل أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعمه في جنته))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة الطور) جمع له خير الدنيا والآخرة))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ① وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ② فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ لَوَافِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨
وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ⑩ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑪ الَّذِينَ هُمْ
فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ⑬
هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ⑭ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ ⑮ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا
تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑯

(١) الكشف والبيان ج ٩: ١٢٣.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٦.

أقسم سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى بالأرض المقدسة.

﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٌ﴾ مكتوب ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ والرق: الصحيفة، قيل: هو التوراة^(١)، وقيل: هو صحائف الأعمال^(٢)، وقيل: هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ^(٣). ونكر لآته كتاب مخصوص من بين جنس الكتب، كقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٤).

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعممه الملائكة بالعبادة. وعن علي عليه السلام: ((يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبداً))^(٥). وروي: أن اسمه الضراح^(٦). وقيل: هو الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار^(٧).

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السماء ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء، وقيل: هو الموقد المحمي^(٨)، من قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٩). ﴿لَوْفٍ﴾ لنازل.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ ظرف لـ ﴿وَاقِعٌ﴾، ومعنى ﴿تَمُورُ﴾: تضطرب وتحجىء

(١) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٤: ١٠٠.

(٢) عن الفراء. معاني القرآن للفراء ج ٣: ٩١.

(٣) تفسير الماوردي ج ٥: ٣٧٧.

(٤) الشمس: ٧.

(٥) تفسير الطبري ج ٢٧: ١٠، التبيان ج ٩: ٤٠٢.

(٦) تفسير الطبري ج ٢٧: ١٠.

(٧) عن الحسن. تفسير الماوردي ج ٥: ٣٧٨.

(٨) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ١٢.

(٩) التكوين: ٦.

وتذهب وتستدبر.

﴿وَتَسِيرُ الْيَجَالُ﴾ وتزول عن أماكنها حتى تستوي الأرض.

﴿قَوِيلٌ﴾ في ذلك اليوم لمن كذب الله ورسوله.

والخوض: الاندفاع في الباطل. ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ أي: يدفعون دفعاً بعنف

وجفوة، وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم، وزخاً^(١) في أفقيتهم، يقال لهم: ﴿هَذِهِ النَّارُ﴾.

﴿أَفْسَحْ هَذَا﴾ معناه: إنكم كنتم تقولون للوحي: هذا سحر، أفسح

هذا؟ والمراد: أهذا المصداق أيضاً سحر؟ وإنما دخلت الفاء لهذا المعنى، ﴿أَمْ أَنْتَ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا؟! أي: أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عمياً عن الخبر؟!.

والصلي: لزوم النار، يقال: صلي يصلي صلياً، أي: ألزموها ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾

الصبر وعدمه.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٧﴾ فَتَكْبِهِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رِيحٌ وَوَقْنَهُمْ
رِيحُهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾
مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ
عَمَلِهِمْ شَيْئًا أَمْرِي يَوْمَ كَسَبَ رَهِيئٌ ﴿١١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْمُ
وَلَحَرٍ وَمَا يَشْتَهُونَ ﴿١٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿١٣﴾

(١) الزخ: الدفع في وهدة. (الصحيح: مادة زخخ).

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٨﴾
 فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٩﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ
 قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٣٠﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
 رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣١﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ
 ﴿٣٢﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿٣٣﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
 أَهْلَهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٤﴾

﴿فِي جَنَّتٍ﴾ في آية جنات وأيّ ﴿تَعْمِيرٍ﴾، أو في جنات مخصوصة خلقت لهم خاصة ونعيم اختص بهم.

وقرئ: ﴿فَنَكَّهَيْنَ﴾ وفكهين، وهو منصوب على الحال، أي: متلذذين ﴿بِمَا
 ءَالَنَهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

﴿وَوَقَّنَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ يجوز أن يكون الواو للحال وقد مضى،
 ويجوز أن تعطفه على ﴿ءَالَنَهُمْ﴾ إذا جعلت (ما) مصدرية، فيكون المعنى: فأكهين
 بإيتائهم ربهم ووقايتهم العذاب.

يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أكلاً وشراباً ﴿هَنِيئاً﴾، أو طعاماً وشراباً هنيئاً لا
 تنغيص فيه.

﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ أي: قرناهم ﴿بِخُجُورٍ﴾ نقيات البياض في حسن وكمال ﴿عَيْنٍ﴾
 واسعة العيون في صفاء وبهاء.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [عطف على ﴿بِخُجُورٍ عَيْنٍ﴾] ^(١) أي: وبالذين آمنوا، أي:

بالرفقاء والجلساء منهم، فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين، وتارة بمؤانسة الإخوان.

وقرى: ﴿وَاتَّبَعْنَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وذرياتهم، وأتبعناهم ذرياتهم وقرى: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وذرياتهم. وعن النبي ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَقَرَأَهُمُ الْآيَةَ))^(١). فالمعنى: إِنَّ الله سبحانه يجمع لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين المتقابلين، وباجتماع أولادهم ونسلهم معهم، ثم قال: ﴿يَا يَمُكِّنُ﴾ أي: بسبب إيمان رفيع المحل، وهو إيمان الآباء، ألحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم، لیتَم سرورهم وتقرّ بهم عيونهم.

﴿وَمَا آَلَنَهُمْ﴾ وما نقصناهم ﴿مَنْ عَلَيْهِمْ﴾ من ثواب عملهم ﴿وَمِنْ شَيْءٍ﴾، وقيل: معناه: ما نقصناهم من ثوابهم شيئاً نعطيهِ الأبناء بل ألحقناهم بهم على سبيل التفضل^(٢). وقرى: ما ألتناهم بكسر اللام، من: ألت يألت، ويكون لغة في: ألت يألت.

كُلُّ ﴿أَمْرٍ يَمَّا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ أي: مرهون، والمعنى: كل نفس رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به، كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحاً فكّها وخلصها وإلا أوبقها.

﴿وَأَمَدَدْنَهُمْ﴾ أي: وزدناهم حالاً بعد حال بما يشتهونه من ﴿فَنَكْهَةٍ وَلَحْمٍ﴾. ﴿يَنْتَرِعُونَ فِيهَا﴾ يتعاطون ويتعاورون [هم وجلساؤهم من أقربائهم

(١) مسند أحمد ج ١: ١٣٥، الكافي ج ٣: ٢٤٩ بالمعنى.

(٢) عن ابن زيد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ١٧.

وإخوانهم^(١) ﴿كُأْسًا﴾ خمرًا ﴿لَّا لَعْوُ﴾ في شربها ﴿وَلَا تَأْنِيَهُ﴾ أي: لا يتكلمون في أثناء شربها بالكلام الذي لا طائل فيه، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله، أي: ينسب إلى الإثم من الكذب والفواحش، وإنها يتكلمون بالحكمة والكلام الحسن لأنهم حكماء علماء. وقرئ: ﴿لَّا لَعْوُ وَلَا تَأْنِيَهُ﴾ بالرفع.

﴿عَلَمَانٌ لَهُمُ﴾ مملوكون لهم مخصوصون بهم ﴿كَأَنَّهُمْ لَوْ لَوْ مَكُونُ﴾ في الصدق لأنه أصفى وأحسن، أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين النفيس. وسئل النبي ﷺ: هذا الخادم فكيف المخدم؟ فقال صلوات الله عليه وآله: ((والذي نفسي بيده إن فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))^(٢).
﴿يَسْأَلُونَ﴾ أي: يتحادثون فيسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وعما استوجب به ذلك.

﴿مُسْتَفْقِينَ﴾ أي: أرقاء القلوب من خشية الله.
﴿عَذَابَ السَّمُورِ﴾ عذاب النار ولفحها، والسموم: الريح الحارة التي تدخل المسام، فسميت بها نار جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ لقاء الله والمصير إليه أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي: ندعو الله ونوحده ونعبده ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسن ﴿الرَّحِيمُ﴾ الكثير الرحمة. وقرئ: أنه بالفتح بمعنى: لأنه.

﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد أي: فاثبت على تذكير الناس ووعظهم، ولا ترك دعوتهم وإن أساؤوا القول فيك فإنه قول باطل.

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٧: ١٨.

وما ﴿أَنْتَ﴾ بحمد الله وإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾.

وريب المنون: حوادث الدهر، وقيل: المنون: الموت^(١)، فعول من منه إذا قطعه، كما سموه شعوب، قالوا: ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء.

﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِينَ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي.

﴿أَحْلَمُهُمْ﴾ بهذا التناقض في القول وهو قولهم: كاهن وشاعر مع قولهم: مجنون. وكانت قريش يدعون أهل النهى والأحلام.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد، حلهم طغيانهم وعنادهم على تكذيبك مع ظهور الحق لهم.

أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصْبُطُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعِينُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

﴿١٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾
 وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٨﴾
 وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿١٩﴾

﴿نَقُولُ﴾ أي: افتعله واختلقه من تلقاء نفسه، والضمير للقرآن ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولعنادهم وكفرهم يقولون ذلك مع علمهم بأنه ليس بمتقول.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مثل القرآن في نظمه وفصاحته ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾، وإذا لم يقدروا على الإتيان بمثله. وما محمد إلا واحد منهم. فليعلموا أنه لم يتقوله، بل أ ﴿خُلِقُوا﴾ أي: أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير مقدر ﴿أَمْ هُمْ﴾ الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ وهم شاكون فيما يقولون، وقيل: أخلقوا باطلاً من أجل غير شيء من جزاء وحساب^(١).

بل أ ﴿عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ﴾ الرزق فيرزقوا النبوة من شاءوا؟! أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة وصلاح؟! أم هم المسيطرون الأرباب المسلطون على الناس حتى يدبروا أمر الربوبية؟! وقرئ: ﴿الْمُصَيِّرُونَ﴾ بالصاد.

﴿سَاءَ﴾ أي: مرقى ومصعد منصوب إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ إلى كلام الملائكة، فوثقوا بها هم عليه وردوا ما سواه.

﴿سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم.

[أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ] وهذا تسفيه لأحلامهم، حيث أضافوا إلى الله تعالى ما أنفوا منه، وهذا غاية في جهلهم إذ جوزوا عليه الولد ثم ادعوا أنه اختار

الأدون على الأعلى^(١).

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿فَهُمْ مِّنْ جَهَةٍ﴾ ﴿مَقَرَّمٍ﴾ فدهمهم ﴿مُتَقَلِّوْنَ﴾ أثقلهم ذلك المغيرم الذي سألتهم فزهدهم في اتباعك.
﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكُفُّوْنَ﴾ ما فيه حتى قالوا: لا نبعث ولا نعدب.

﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [وهو كيدهم]^(٢) في دار الندوة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ﴾ الذين يعود عليهم وبال كيدهم، وذلك أنهم قتلوا يوم بدر، و﴿الْمَكِيدُونَ﴾: المغلوبون في الكيد، من: كایدته فكدته.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا يَقُولُوا﴾ أي: قطعة ﴿مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ لقالوا هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ بعضه فوق بعض.

يصعقون أي: يموتون، وقرئ ﴿يُضَعَّفُونَ﴾ من: صعفته فصعق وأصعفته لغة، وذلك عند النفخة الأولى.

﴿وَإِنَّ﴾ هؤلاء الظلمة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يوم القيامة وهو القتل يوم بدر، والقحط سبع سنين، أو عذاب القبر.

﴿لَكُمْ رِزْقٌ﴾ بإمهاهم وما يلحقك فيه من الكلفة والمشقة ﴿وَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مثل، أي بحيث نراك ونكلوك، وجمع العين لأن الضمير ضمير الجمع، وقال في موضع آخر: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(٣).

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) طه: ٣٩.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ من أي مكان قمت فيه، وقيل: من منامك^(١)،

وقيل: واذكر الله حين تقوم إلى الصلاة المفروضة إلى أن تدخل في الصلاة^(٢).

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني: صلاة الليل إذا قام من النوم ﴿وَادْبَرْ النُّجُومِ﴾

يعني: ركعتي الفجر قبل الفريضة، وقيل: هي الفريضة^(٣)، أي: حين تدبر النجوم

وتغيب بضوء الصبح. وقرئ: وأدبار بفتح الهمزة، مثل: أعقاب النجوم.

(١) عن أبي الأحوص. تفسير الطبري ج ٢٧: ٢٢.

(٢) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ٢٧: ٢٣.

(٣) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ٢٧: ٢٤.

سورة النجم

مكية، وعن الحسن مدنية، اثنتان وستون آية كوفي، وآية غيرهم، ﴿مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ كوفي.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة النجم) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجده))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من كان يدمن قراءة ﴿وَالنَّجْمِ﴾ في كل يوم أو ليلة عاش محموداً بين الناس محبباً))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③
 إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥
 وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨
 فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا رَأَىٰ ⑫
 وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ⑭ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮
 إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ⑰ وَمَا طَغَىٰ ⑱ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑲

(١) الكشف والبيان ج ٩: ١٣٤.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٦.

﴿النَّجْمِ﴾: الثريا، اسم غالب لها، [قال:

فَوَرَدَنَّ وَالْعِثُوقُ مَقْعَدَ رَبِّي الضَّرَبَاءِ فَوْقَ النَّجْمِ لَا يَتَلَلُ^(١)

أو جنس النجوم.

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾^(٢) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة، أو النجم الذي يرحم به إذا

انقض، أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجياً في نيف وعشرين سنة إذا هوى إذا نزل.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: النبي ﷺ، والخطاب لقريش. وهو جواب

القسم، أي: هو هاد مهتد راشد مرشد، وليس كما زعمتم في نسبتكم إياه إلى الضلال والغبي.

وما آتاكم به من الدين والقرآن ليس بمنطق صادر عن رأيه وهواه، ما ﴿هُوَ

إِلَّا وَحْيٌ﴾ من عند الله ﴿يُوحِي﴾ إليه.

﴿عَلَّمَهُ﴾ ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أي: شديد قواه، وهو جبرئيل عليه السلام، والإضافة

لفظية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو حصافة في عقله ورأيه، ومثانة في دينه، وصحة في جسمه.

﴿فَاسْتَوَى﴾ فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل

بها كلما هبط بالوحي، وكان يأتيه في صورة الآدميين، فأحب رسول الله ﷺ أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ يعني: أفق الشمس فملاً الأفق، وقيل: ما رآه أحد

(١) شرح أشعار الهذليين ج ١: ١٩.

(٢) ساقطة من ب.

من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد ﷺ رآه مرتين: مرة في الأرض ومرة في السماء^(١).

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ ﴿فَدَلَّنِي﴾ فتعلق عليه في الهواء، وهو مثل في القرب.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدار قوسين، والقاب والقيب والقاد والقيد والقاس والقيس: المقدار، وأصله: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات، كما قال الشاعر:

وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ خَزِيمَةٍ أَضْبَعَا^(٢)

أي: ذا مقدار مسافة إصبع أو أدنى من ذلك.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ الضمير لله، وإن لم يجر ذكر اسمه سبحانه لأنه لا يلتبس ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ تفخيم للوحي الذي أوحى إليه، و﴿مَا﴾ مصدرية، ويجوز أن تكون موصولة، وقيل: فأوحى جبرائيل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى الله إليه^(٣)، وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبرائيل عليه السلام، أي: ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه، يعني: إنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أنه [حق، وقرئ: ما كذب، أي: صدقه ولم يشك أنه]^(٤)

(١) عن سعيد بن المسيب. الكشف والبيان ج ٩: ١٣٧.

(٢) البيت للكحلبة العربي. خزانة الأدب ج ١: ٣٨٨، وصدده: فادرك ابقاء العرادة ظلها.

(٣) عن ابن زيد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٢٨.

(٤) ساقطة من ب.

جبرائيل عليه السلام بصورته.

﴿أَفْتَحُورُهُ﴾ من المراء وهو الجدال والملاحاة، واشتقاقه من مري الناقاة، كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه، وقرئ: أفتهارونه من: ماريته فمريته، أي: أفتغلبونه في المراء؟ ولذلك عدّي به ﴿عَلَى﴾، كما تقول: غلبته على كذا. وقيل: أفتهارونه: أفتجحدونه؟^(١).

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ يعني: رأى جبرئيل عليه السلام ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾ يعني: مرة أخرى، من النزول، أي: نازلاً عليه من السماء نزلة أخرى في صورة نفسه.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ وهي شجرة نبق عن يمين العرش فوق السماء السابعة، ثمرها كقلال هجر^(٢)، وورقها كأذان الفيول، يسير الركب في ظلها سبعين عاماً. والمنتهى: موضع الانتهاء ولم يجاوزها أحد، وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم، لا يعلم أحد إلا الله ما وراءها، وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء، وقيل: هي شجرة طوبى كانت في منتهى الجنة^(٣).

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ وهي جنة الخلد يصير إليها المتقون، وقيل: يأوي إليها أرواح الشهداء^(٤)، وعن علي عليه السلام وأبي الدرداء: جنة المأوى بالهاء، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام، ومعناه: ستره بظلاله ودخل فيه.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ﴾ من النور والبهاء ﴿مَا يَغْشَى﴾ مما لا يكتنه الوصف،

(١) عن إبراهيم. تفسير الطبري ج ٢٧: ٢٩.

(٢) القلال: جمع قلة، وهي إناء العرب كالجرة الكبيرة شبيهة بالخباب. (الصحاح: مادة قلل)

(٣) عن مقاتل. معالم التنزيل ج ٤: ١٠٦.

(٤) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٣٣.

وقيل: (يغشاها الجم الغفير من الملائكة [يعبدون الله عندها] ^(١)) ^(٢). وعن النبي ﷺ: ((رأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل)) ^(٣). ومعناه: إنه رأى جبرئيل على صورته ليلة المعراج في الحال التي غشي السدرة فيها ما غشيه من الخلائق الدالة على جلال الله وعظمته.

﴿مَا زَاغَ﴾ بصر رسول الله ﷺ ﴿وَمَا طَغَى﴾ أي: أثبت ما رآه إثباتاً صحيحاً من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزَه، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها، وما جاوز الحد الذي حد له.

﴿لَقَدْ رَأَى﴾ أي: والله لقد رأى ﴿مَنْ ءَايَتِ رَبِّهِ﴾ التي هي كبرها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأري عجائب الملكوت. و﴿مِنْ﴾ للتبعية لأنها كانت بعض آيات الله.

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعِزَّى ۖ ﴿١٩﴾ وَمَنْزَةَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَى ۖ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ
الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ۖ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ۖ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ
سَمِئْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ۖ ﴿٢٣﴾ أَمْ
لِلْإِنْسَانِ مَا تَعْنَى ۖ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ۖ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي
السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي سَفْعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَرْضَى ۖ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً
الْأُنثَى ۖ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج ٦: ١٢٦.

(٣) الكشف والبيان ج ٩: ١٤٣.

يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾

ثم خاطب سبحانه المشركين فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أيها الزاعمون أن ﴿اللَّتَّ
وَالْعَزَّى وَمَنَاةَ﴾ آلهة؟ وهي مؤنثات، فاللات كانت لثقيف بالطائف، وقيل: كانت
بنخلة تعبدها قريش^(١)، والعزَّى كانت لغطفان، ومناة كانت لهذيل وخزاعة.
وقيل: هن أصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها.

و﴿الْأُخْرَى﴾ صفة لـ ﴿مَنَاةَ﴾، وهي ذم، أي: المتأخرة الوضعية المقدار،
ويمكن أن تكون الأولية والتقدم عندهم لللات والعزَّى.

وكانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، ف قيل لهم: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ
وَلَهُ الْأُنثَى﴾، ويمكن أن يراد: أن الأصنام الثلاثة إناث وقد جعلتموهن شركاء لله،
وقد استنكفتم من أن يولد لكم الإناث وينسبن إليكم، فكيف ستمت الإناث آلهة
وأنتم قوم لو خيرتم لاخترتم الذكور؟!.

﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمْتَ ضِرَإً﴾ جائزة غير معتدلة، من: ضازه يضيئه إذا ضامه،
والأصل: ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض وعين لتسلم الباء، وقرئ بالهمزة من:
ضأزه.

﴿هِيَ﴾ ضمير الأصنام، والمعنى: ما ﴿هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ ليس تحتها في الحقيقة
مسميات، لأنكم تسمون آلهة ما هو أبعد شيء منها، أو ضمير اللات والعزَّى
ومناة، أي: ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم، وزعمتم أن اللات من

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٢٧: ٣٥.

الله، والعزى من العزيز، ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتمسكون به، يقال: سمّيته زيداً أو سمّيته بزيد.

﴿إِنْ يَبْتَغُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ والتوهم أنّ ما هم عليه حقّ، وما تنواه أنفسهم، ويتركون ما جاءهم من ﴿الْهُدَى﴾ والأدلة على أنّ ما هم عليه باطل.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ [هي أم المنقطعة والهمزة للإنكار، أي ليس للإنسان ما تمنى] ^(١) من نعيم الدنيا والآخرة، بل يفعله تعالى بحسب المصلحة. ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ يعطي منها من يشاء ويمنع من يشاء.

يعني: إنّ الملائكة مع كثرتهم وقربهم ومنزلتهم من الله ﴿لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ﴾ عن أحد ﴿شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم في الشفاعة إليه ﴿لَمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ لهم أن يشفعوا فيه من أهل الإيمان والتوحيد، فكيف تشفع الأصنام إليه لعبادهم؟! ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا يَشَاءُ﴾ بقولهم: إنّ الملائكة بنات الله.

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ أي: بما يقولون ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾.

﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ لأنّ حقيقة الشيء إنّما تدرك بالعلم واليقن لا بالظن والتوهم.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ﴾ دعوة ﴿مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ومنافعتها ولذاتها.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: ذلك منتهى علمهم، وهو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بالضال والمهتدي فيجازيها على حسب ما يستحقّانه.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا
 عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ
 الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
 أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا
 أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى
 قَلِيلًا وَكَذَّبَ ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرِيءٌ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي
 صُحُفٍ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَاتَّبَرِهيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرُ وَأَنْزَرُ ﴿٣٨﴾ وَزَدَ
 أُخْرَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٠﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ
 يُرَى ﴿٤١﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤٢﴾

تعلق قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بما قبله، لأنَّ المعنى: أَنَّهُ سبحانه إِنَّمَا خلق ﴿مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لهذا الغرض، وهو أَن يجازي المسيئين والمحسنين
 بالإساءة والإحسان، أو يتعلق بقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِمَنِ اهْتَدَى﴾ لأنَّ نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بأعمالهما.

ومعنى ﴿الْحُسْنَى﴾: المثوبة الحسنَى، وهي الجنة. ويجوز أَن يريد بسبب ما
 عملوا من السوء وبسبب الأعمال الحسنَى.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ أي: عظام الذنوب ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ [جمع
 الفاحشة]^(١)، وقرئ: كبير الإثم، أي: النوع الكبير منه، ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وهو ما قلَّ منه،
 ومنه اللمم: المس من الجنون، وألم الرجل بالمكان: إِذَا قَلَّ فِيهِ لَبْثُهُ، وألم بالطعام:
 إِذَا قَلَّ مِنْهُ أَكْلُهُ، وهو استثناء منقطع أو صفة، كَأَنَّهُ قال: كباثر الإثم غير اللمم،

وقيل: هو النظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا^(١)، وعن السدي: (الخطرة من الذنب)^(٢)، وعن الكلبي: (كل ذنب لم يذكر الله عليه حدًّا ولا عقاباً)^(٣).

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ تسع مغفرته الذنوب ولا يضيق عنها حين ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ أي: أنشأ أبائكم آدم ﴿مِنْ﴾ أديم ﴿الْأَرْضِ﴾ وفي وقت كونكم ﴿أَجْنَةً﴾ في الأرحام، فهو يعلم ميل طباعكم إلى اللطم ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فلا تنسبوا إلى الزكاة والطهارة من المعاصي، ولا تشنوا عليها فقد علم الله الزكي منكم والتقيا أولاً وآخرًا، وقيل: كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وزكاتنا وصيامنا وعباداتنا... فنزلت^(٤). وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء.

وروي: أن عثمان كان يعطي ماله، فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة: يوشك أن لا يبقى لك شيء، فقال له عثمان: إن لي ذنباً وخطايا وإني أطلب بما أصنع رضا الله، فقال عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء، فنزلت^(٥).

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عن الخير ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ وقطع عطيته وأمسك، وأصله من: أكدى الحافر إذا بلغ الكدية، وهي صلابة كالصخرة إذا بلغ الحافر إليها يئس من الماء فأمسك عن الحفر.

﴿أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ أي: ما غاب عنه من أمر العذاب ﴿فَهُوَ بَرِيءٌ﴾ أي:

(١) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٣٩.

(٢) معالم التنزيل ج ٤: ١٠٩.

(٣) معالم التنزيل ج ٤: ١٠٩.

(٤) عن مقاتل وغيره. معالم التنزيل ج ٤: ١٠٩.

(٥) أسباب النزول: ٢٨٣.

يعلم أنّ ما قاله له أخوه من احتمال أوزاره حقّ؟.

ألم يخبر ﴿بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى﴾ من أسفار التوراة وفي صحف ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي: تمّ ووفر ما أمر به، وإنّا أطلق ليتناول كل توفية من تبليغ الرسالة، والصبر على ذبح الولد وعلى نار نمرود... وغير ذلك من قيامه بالأوامر، وعن الحسن: (ما أمره الله بشيء [إلا وفي به])^(١).

﴿أَلَا نَزَرُ﴾ هي المخففة من الثقيلة، والمعنى: أنّه لا نزر، والضمير للشأن، ومحلّ (أن) وما في حيزها الجر بدلاً من ﴿مَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى﴾، أو الرفع^(٢) على: هو أن لا نزر، كأن قائلاً قال: وما في صحف موسى وإبراهيم؟ فقال: أن لا نزر وازرة وزر أخرى، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا سَعْيُهُ﴾، و﴿مَا﴾ مصدرية.

وأما ما جاء في الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه والصلاة، فإنّ ذلك وإن كان سعي غيره فكأنه سعي نفسه، لكونه قائماً مقامه وتابعاً له، فهو بحكم الشريعة كالوكيل النائب عنه.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلُ﴾ أي: ثمّ يجزي العبد سعيه، يقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله، والمعنى: أنّه يرى سعيه يوم القيامة ثمّ يجزيه أوفى الجزاء.

وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿١٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى ﴿١٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ
أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿١٥﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿١٦﴾ مِنْ نَفْثَةٍ إِذَا
تُنْفَخُ ﴿١٧﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿١٩﴾ وَأَنَّهُ
هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ ﴿٢٠﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى
﴿٢٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِبْنِهِمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى ﴿٢٣﴾ وَالْمُؤَنَّفَكَ

(١) معالم التنزيل ج ٤: ١٠٩.

(٢) ساقطة من ب.

أَهْوَى ٥٣ ﴿ فَشَسَّهَا مَا عَشَى ٥٤ ﴾ فَإِيَّاءَ آلَاءِ رَبِّكَ نَتَمَارَى ٥٥ ﴿ هَذَا
نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ ٥٦ ﴾ أَرَفَتِ الْآزِفَةَ ٥٧ ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ
كَاشِفَةٌ ٥٨ ﴾ أَفَرَأَيْتَ هَذَا الْخَلْقَ يَعْجُبُونَ ٥٩ ﴿ وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ٦٠ ﴿
وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ٦١ ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ٦٢ ﴿

الفتح في ﴿أَنْ﴾ وما بعده على معنى: أَنْ هذا كله في صحف موسى وإبراهيم.
و﴿الْمُنْهَى﴾ مصدر بمعنى الانتهاء، أي: ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه
كقوله: ﴿وَالِإِلَهِ الْمَصِيرُ﴾^(١).

ومعنى ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾: خلق قوتي الضحك والبكاء، [أو فعل سبب
الضحك والبكاء]^(٢) من السرور والحزن، وقيل: أضحك الأشجار بالأنوار
وأبكى السحاب بالأمطار.

﴿إِذَا مَتَى﴾ إذا تدقق في الرحم، يقال: مني وأمنى، وقيل: معناه: تخلق^(٣).
قال:

حَتَّى يُبَيِّنَ مَا يُمْنِي لَكَ الْمَآئِي^(٤)

أي: يقدّر لك المقدّر.

وقرئ: ﴿النَّشْأَةُ﴾ والنشأة بالمد، يريد: أنها واجبة عليه في الحكمة ليجازي
على الإحسان والإساءة.

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) عن الأخفش. تفسير الماوردي ج ٥: ٤٠٥.

(٤) البيت لأبي قلابة الهذلي. شرح اشعار الهذليين ج ٢: ٧١٣، وصدّره: ولا تقولن لشيء سوف أفعله.

﴿وَأَقْنَى﴾ أي: أعطى القنية وهي المال المؤثّل المدخر، وقيل: ﴿أَقْنَى﴾: مَوْل، ﴿وَأَقْنَى﴾: أرضى بما أعطى^(١).

﴿رَبُّ الشَّعْرَى﴾ أي: خالقها وكانت خزاعة تعبدّها، سنّ لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم، وكان أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، وكانت قريش يسمونه ﷺ: ابن أبي كبشة، لمخالفته إياهم في الدين، كما خالف أبو كبشة غيره في عبادة الشعري.

وعاد الأولى: قوم هود، وعاد الأخرى: إرم، وقيل: الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح^(٢). وقرئ: عادلولي، بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضممتها إلى لام التعريف. وقرئ: وثموداً ﴿وَتَمُوداً﴾.

وأهلكنا ﴿قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ [عاد وثمود]^(٣) ﴿لَإِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك، وما أثر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة.

﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ﴾ أي: والقرى التي انتفكت بأهلها أي: انقلبت، وهم قوم لوط.

﴿أَفْوَى﴾ أي: رفعها إلى السماء على جناح جبرئيل ثم أهواها إلى الأرض أي: أسقطها، ﴿فَنَشْنَهَا﴾ أي: فألبسها من العذاب [﴿مَا عَنَى﴾ وهو تهويل لما صب عليها من العذاب]^(٤) وأمطر عليها من الحجارة المسومة.

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٤٥.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٢٧: ٤٦.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) ساقطة من د.

﴿فَإِنِّي إِلَآءَ رَبِّكَ نَسَآئِي﴾ تتشكك أيتها الإنسان؟ وقد عدد سبحانه نعماً ونقماً وسأها كلها آلاء، لما في نقمه من العبر للمعتبرين.

﴿هَٰذَا﴾ القرآن إنذار من جنس الإنذارات ﴿الْأُولَى﴾، أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين، وإنما قال: ﴿الْأُولَى﴾ على تأويل الجماعة.

﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ قربت الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾^(١).

﴿لَيْسَ لَهَا﴾ نفس ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أي: مبيّنة متى تقوم، كقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٢)، أو ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله، غير أنه لا يكشفها. وقيل: كاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والحائنة^(٣)، أي: ليس لها من دون الله كشف، والمراد: لا يكشف عنها غيره.

﴿إِنِّ هَٰذَا الْقَدِيثُ﴾ وهو القرآن ﴿تَعَجُّبُونَ﴾ إنكاراً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ انزعجاً لما فيه من الوعيد. وعن الصادق عليه السلام: ((أنّ المراد بالحديث ما تقدّم من الأخبار))^(٤).

﴿وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ﴾ لاهون لاعبون، وقال بعضهم لجاريته: اسمدي لنا أي: غني^(٥).

﴿فَاعْبُدُوا لِلَّهِ﴾ واعبدوه مخلصين ولا تعبدوا الآلهة.

(١) القمر: ١.

(٢) الأعراف: ١٨٧.

(٣) عن الفراء. معاني القرآن للفراء ج ٣: ١٠٣.

(٤) تفسير القمي ج ٢: ٣٤٠.

(٥) (الصباح: مادة سمد).

سورة القمر

مكية، وهي خمس وخمسون آية.

وفي حديث أبي: ((من قرأها في كل غيب بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها أخرج الله من قبره على ناقة من نوق الجنة))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ
مُسْتَقَرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ
④ حَكَمُهُ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ⑤ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ
يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى سَئٍ نُكْرٍ ⑥ خُسْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ
الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ⑦ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ
هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ⑧ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
وَازْدَجَرٌ ⑨ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ⑩ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ١٦٠.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٦.

السَّمَاءِ بِمَا مِنْهُمْ (١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ
 قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِّرَ (١٣) تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً
 لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ (١٥) فَكَيْفَ
 كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ (١٦)

انشقاق القمر من معجزات نبيِّنا ﷺ الباهرة، رواه كثير من الصحابة منهم:
 حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وأنس، وابن عباس، وابن عمر وغيرهم.
 قال حذيفة: (إِنَّ السَّاعَةَ قَدْ اقْتَرَبَتْ، وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدْ انشَقَّ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكُمْ ﷺ) (١). قال
 ابن مسعود: (والذي نفسي بيده رأيت حراء بين فلقتي القمر) (٢). وعن ابن عباس:
 (انشق القمر فلقتين ورسول الله ﷺ ينادي: ((يا فلان ويا فلان اشهدوا))) (٣).

﴿وَأَنْتَبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ﴾ عن الانقياد لصحتها ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعَرَّبٌ﴾
 [مطرد، وقيل: مستمر] (٤) قوي محكم، من قولهم: استمر مريرة، وقيل: مستمر:
 ما زاهب يزول ولا يبقى؛ تمنية لنفوسهم وتعليلاً (٥).

﴿وَأَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ﴾ وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره.
 ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها،
 وإن أمر محمد ﷺ سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل، وسيظهر لهم
 عاقبته. وقرئ: مستقر بالجر عطفاً على ﴿السَّاعَةُ﴾ أي: اقتربت الساعة واقترب

(١) معاني القرآن وإعراجه ج ٥: ٨٤.

(٢) تفسير السمرقندي ج ٣: ٣٤٩.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١: ٢٨١، ينظر: أمالي الشيخ الطوسي ج ١: ٣٥١.

(٤) ساقطة من ط.

(٥) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٥٢.

كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الْقُرْآنِ الْمَوْدِعِ أَنْبَاءُ الْآخِرَةِ وَأَنْبَاءُ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ﴾ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿أي: ازدجار، أو موضع ازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل.

﴿حِكْمَةً بَلِغَةً﴾ بدل من ﴿مَا﴾، أو على هو حكمة.

﴿فَمَا تَعْنِي الْتُذُرُ﴾ نفي وإنكار، معناه: وأي غناء تغني النذر، ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾

لعلكم بأن الإنذار لا يغني فيهم.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ انتصب بـ ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وقرئ بإسقاط الياء من الداع

اكتفاء بالكسرة عنها.

وقرئ ﴿تُكْرِ﴾ بالتخفيف، والداعي هو إسرافيل.

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾، وقرئ: خاشعاً على: يخشعن أبصارهم، وتخشع

أبصارهم، وهو حال من ﴿يَخْرُجُونَ﴾، و﴿خُشَعًا﴾ على لغة من قال: أكلوني

البراغيث وهم طيء، أو فيه ضميرهم و﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ بدل من ذلك الضمير تقول:

مررت برجال حسن أو جههم [وحسان أو جههم]^(١). وخشوع الأبصار كناية عن

الذلة، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز يظهران في عيونها.

﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ شبههم بالجراد لكثرتهم

ومتوجهم، يقال للجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ أي: مسرعين إلى إجابة الداعي، مادي أعناقهم إليه.

﴿كَذَبَتْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمٌ نُوْجٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً تكذيباً على عقيب

تكذيب ﴿وَقَالُوا﴾ هو ﴿يَجْنُونَ وَازْدُجِرَ﴾ وانتهر بالشتم والضرب والوعيد بالرجم

في قولهم: ﴿تَكُونَنَّ مِنَ الْمُجُومِينَ﴾^(١).

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ بَأْتِي ﴿مَعْلُوبٌ﴾ غلبي قومي فلم يسمعوا مني، ويئست من إجابتهم لي ﴿فَأَنْصِرْ﴾ فانتقم منهم بعذاب تنزله عليهم.

﴿فَفَنَحْنَا﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف ﴿يَمْلَأُ مُنْهَرًا﴾ منصب في كثرة وتتابع، لم ينقطع أربعين يوماً.

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ﴾ شققناها بالماء ﴿عِيُونًا﴾ أي: جعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر.

﴿فَالْقَى الْمَاءَ﴾ أي: مياه السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ﴾ على حال قدرها الله كيف شاء، وقيل: على حال جاءت مقدرة مستوية، وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء.

﴿عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسْرٍ﴾ يعني: السفينة، وهي صفة نابت مناب الموصوف، ونحوه قول الشاعر:

... وَلَكِنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ^(٢)

أراد: ولكن قميصي درع. والدرس: جمع دسار وهو المسار، فعال من دسر: إذا دفعه.

﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منا.

﴿جَزَاءً﴾ مفعول له، أي: فعلنا ذلك ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ وهو نوح عليه السلام، جعله مكفوراً لأن الرسول نعمة من الله ورحمة، فكان نوح نعمة مكفورة.

(١) الشعراء: ١١٦.

(٢) ديوان المتنبي: ٢٠، وصدرة: مفرشي صهوة الحصان ولكن ...

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا﴾ الضمير للسفينة أو للفعلة ﴿ءَايَةً﴾ يعتبر بها. [والمذكر: المعبر]^(١). والنذر جمع نذير وهو الإنذار.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ
كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ
﴿١٩﴾ تَزِيغُ النَّاسِ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ مُنْفَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ
﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ
﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّا وَجِدَا نَبِيعُهُ إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾
أَمْلَقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مَنْ
الْكُذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّافَةَ فَنَنَّهُ لَهُمْ فَارْتَقَبْنَهُمْ وَأَصْطَبِرْ
﴿٢٧﴾ وَبَيْنَهُمْ أَنْ الْمَاءَ قَسَمَهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌّ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَنَعَاطَى فَقَعَرٌ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُمْظِرِ ﴿٣١﴾

﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهّلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه حتى
يقرأه ظاهراً ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: طالب لحفظه ليعان عليه؟ أو هيأناه للذكر من:
يسرناقه للسفر إذا رحلها، [ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه]^(٢)، قال الشاعر:

وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللِّجَامِ مُسَرًّا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ^(٣)

وروي: أنه ليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن^(٤).

(١) ساقطة من د.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) البيت للأعرج المعني. شعر الخوارج: ٩٣، وفيه: بما كنت أصنع.

(٤) عن سعيد بن جبير. الكشف والبيان ج ٩: ١٦٥.

وقيل: معناه: سهلناه للدكار والاعتاظ بأن شحناء بالمواظ الشافية والزواج الكافية ﴿فَهَلْ مِنْ﴾ متعظ؟.

﴿وَنُذِرْ﴾ أي: وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أو إنذاري في تعذيبهم لمن بعدهم.

﴿رِيحًا صَرَّارًا﴾ شديدة الهبوب، أو شديدة البرد، من الصر وهو البرد ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسٍ﴾ شؤم ﴿مُتَسَمِّرٍ﴾ دائم الشؤم قد استمر عليهم حتى أهلكهم، أو استمر على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة، وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور؛ وروي ذلك عن الباقر عليه السلام ^(١).

﴿نَزَعَ النَّاسَ﴾ تقلعهم عن أماكنهم.

﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ يعني: إنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتاً وهم جث طوال عظام كأنهم أصول نخل منقعر عن أماكنه ومغارسه، وقيل: شبهوا بذلك لأنّ الريح قطعت رؤوسهم فبقوا أجساداً بلا رؤوس ^(٢). وذكر صفة ﴿نَخْلٍ﴾ على اللفظ، ولو أنّت حملاً على المعنى لجاز، كما قال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ^(٣).

﴿أَشْرَكَ مَنَا﴾ نصب بفعل يفسره ﴿تَتَّبِعُهُ﴾، أنكروا أن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وقالوا: ﴿مَنَا﴾ لتكون الماثلة أقوى، وقالوا: ﴿وَحِدًا﴾ إنكاراً لأنّ تتبع الأمة رجلاً واحداً ليس بأشرفهم.

﴿إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ﴾ كأنه قال لهم: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق

(١) مجمع البيان ٩-١٠: ١٩٠ عن العياشي، وروي مرفوعاً. الخصال: ٣٥٨.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٧: ٥٩.

(٣) الحاقة: ٧.

﴿وَسُعِرَ﴾ أي: ونيران، جمع سعير، فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنّا إذا كما تقول، وقيل: الضلال: الخطأ والبعد عن الصواب، والسعر: الجنون^(١).

﴿أَلَمْ لَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحقّ منه بالاختيار للنبوّة؟!.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ بطل متكبّر، يريد أن يتعظّم علينا بادعاء النبوّة.
﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابٌ﴾ عند نزول العذاب بهم، أو يوم القيامة ﴿مَنْ أَلْكَذَّابُ أَالشِّرِّ﴾ أصالح أم من كذّبه!.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةِ﴾ أي: باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوها ﴿فَنَنَ لَهُمْ﴾ وامتحاناً وابتلاء.

﴿فَأَرْبَبَهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿وَأَصْطَلَبَ﴾ على ما يصيبك من أذاهم، ولا تعجل حتى يأتيك أمري.

﴿وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾ مقسوم بينهم، لها شرب يوم [ولهم شرب يوم]^(٢)، وقال: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليبا للعقلاء.

﴿كُلُّ شَرِبٍ مُحَضَّرٌ﴾ محضور يحضره أهله لا يحضره الآخر معه، وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها^(٣).

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف أحيمر ثمود.

﴿فَنَعَاظُنِي﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مبال به، فأحدث العقر

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ٨٩.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٧: ٦٠.

بالناقة، أو فتعاطى السيف فعقرها.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي صيحة جبرائيل عليه السلام.

والهشيم: الشجر اليابس المتهشم المتكسر.

و﴿الْحَنْظِرِ﴾ الذي يعمل الحظيرة، وما يحظر به ييس وتوطؤه البهائم

فيتهشم.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطًا بِالْأُنْذُرِ

﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالُ لُوطٍ لَمَّيْنَهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ

عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا

بِالْأُنْذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِ

وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِ

وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ عَالُ

فِرْعَوْنَ النُّذُرِ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

﴿حَاصِبًا﴾ ريحاً تحصبهم أي: ترميهم بالحصباء.

﴿لَمَّيْنَهُمْ بِسَحَرٍ﴾ هو السدس الأخير من الليل، وصرف لأنه نكرة، وتقول:

لقيته سحراً تريد: في سحر يومك.

﴿نِعْمَةٌ﴾ أي: إنعاماً وهو مفعول له ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ نعمة الله

بإيمانه وطاعته.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ أي:

فشكوا بالإندارات.

﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أي: طلبوا منه أن يسلم إليهم ضيفه ﴿فَطَمَسْنَا

أَعْيَنَهُمْ ﴿ فمحوناها حتى صارت ممسوحة كسائر الوجه لا يرى لها شق، صفقهم جبرئيل بجناحه صفقة تركتهم يترددون، لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط، فقلت لهم على السنة الملائكة: ﴿ذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ﴾ أي: أتاهم صباحاً ﴿بَكْرَةً﴾ وبكرة أي: أول النهار، هي كقوله: ﴿مُشْرِقِينَ﴾^(١) و﴿مُضِحِينَ﴾^(٢).

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ ثابت قد استقر عليهم. والفائدة في تكرير قوله: ﴿ذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ... الآية ﴿ أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأمم ادكاراً وتعاضلاً إذا سمعوا الحث على ذلك، وأن تقرر لهم العصا مراراً حتى لا تغلبهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عند ذكر كل نعمة عدت في سورة الرحمن، وقوله: ﴿وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في الرسائل، وهكذا حكم تكرير الأنباء والقصص في أنفسها، لتكون كل منها حاضرة للقلوب غير منسية.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء لأنها عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون، أو هو جمع نذير وهو الإنذار.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ وهي الآيات التسع التي جاءهم بها موسى.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب ﴿مُقَدِّرٍ﴾ على ما يشاء.

أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿١١﴾ سُبِّحْهُمْ أَجْمَعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿١٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ

(١) الحجر: ٧٣.

(٢) الحجر: ٨٣.

﴿١٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴿٢١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٢٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍّ ﴿٢٣﴾ إِنَّ اللَّائِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٢٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٢٥﴾

﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ﴾ وأقوى ﴿مِنْ أَوْلِيَّكُمْ﴾ الكفار المعدودين: قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون؟ أي: أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرًا وعنادًا؟ والمراد: أن هؤلاء مثل أولئك بل شرّ منهم. ﴿أَمْ﴾ أنزلت ﴿لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾ في الكتب المتقدمة: أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنًا من عذاب الله فأمّتم بتلك البراءة؟!.

﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُنْصِرٌ﴾ ممتنع لا نرام ولا نضام. ويروى: أن أبا جهل ضرب فرسه يوم بدر وقال: نحن نتصر اليوم من محمد وأصحابه، فنزلت^(١).

﴿سَيَبْرَهُمُ الْجَمْعُ﴾ يريد: كفار مكة ﴿وَيَوَلُّونَ الذُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، كما قال:

كُلُّوا فِي بَعْضٍ بَطْنِكُمْ تَعْقُوا^(٢)

أي: ينهزمون فيولونكم أدبارهم، وكانت هذه الهزيمة يوم بدر. ﴿بَلِ السَّاعَةُ﴾ أي: يوم القيامة ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾ للعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى﴾ أشدّ وأقطع، ﴿وَأَمْرٌ﴾ من الهزيمة والقتل والأسر ببدر.

(١) عن مقاتل. الكشف والبيان ج ٩: ١٧٠.

(٢) من أبيات الكتاب ج ١: ٢١٠ التي لا يعرف قائلها، وبقيته: فإن زمانكم زمن خيصر.

﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ أي: هلاك ونيران، أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة.

﴿ذُوقُوا﴾ على إرادة القول ﴿مَسَّ سَقَرٌ﴾ هو مثل قولهم: وجد مس الحمى، وذاق طعم الضرب، لأنّ النار إذا أصابتهم بحرّها وشدّتها فكأنّها مسّتهم مسّاً بذلك كما يمس الحيوان بما يؤذي ويؤلم، و﴿سَقَرٌ﴾: علم لجهنم، من سقرته النار وصقرته إذا لوحته.

﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ﴾ منصوب بمضمر يفسره هذا الظاهر.
والقدر: التقدير أي: خلقنا كل شيء مقدراً محكماً مرتباً على حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ﴾ أي: كلمة واحدة سريعة التكوين ﴿كَلِمَةٍ بَالِغَةٍ﴾ والمراد قوله: كن. والمراد: إنّنا إذا أردنا تكوين شيء لم يلبث كونه.
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ في دواوين الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من أعمالهم مسطور عليهم مكتوب، أو كل ما هو كائن من الآجال والأزاق وغيرهما مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿وَنَهَرٍ﴾ أي: أنهار، اكتفى باسم الجنس، وقيل: هو السعة والضياء من النهار^(١).

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ في مكان مرضي، وقيل: في مجلس حق لا لغو فيه^(١).

﴿عِنْدَ مَلِكٍ ﴾ أي: مقربين عند ملك ﴿مُقَنْدِرٍ ﴾، لا شيء إلا وهو تحت

ملكه وقدرته.

سورة الرحمن

مكية، وقيل: مدنية وهي ثمان وسبعون آية كوفي، ست بصري، عدّ الكوفي ﴿الرَّحْمَنُ﴾ و﴿الْمُجْرُمُونَ﴾.

وفي حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة الرحمن) رحم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((أحب أن يقرأ الرجل (سورة الرحمن) يوم الجمعة، وكلما قرأ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال: لا بشيء من آلائك يا رب أكذب))^(٢). وعن موسى بن جعفر عن آبائه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ
يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦ أَلَّا تَطْغَوْا
فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ١٧٦.

(٢) ثواب الأعمال: ٦١١ باختلاف.

(٣) الكشف والبيان ج ٩: ١٧٦.

﴿١﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَنَكُهُمُ وَالنَّخْلَ ذَاتُ
الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَيَأْتِيهِ الْآءُ
رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

﴿الرَّحْمَنُ﴾: الذي وسعت رحمته كل شيء.

لما أراد سبحانه أن يعدد نعمه وآلاءه في هذه السورة قدّم هذا الاسم، ليعلم أن جميع نعمائه وأفعاله الحسنى صدرت من الرحمة التي شملت خلقه.

وهو مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضائرها بعده أخبار مترادفة، وإخلاؤها من حرف العطف لمجيئها على نمط التعديد، وعدّ أول شيء نعمة الدين التي هي أجلّ النعم، وقدّم منها ما هو في أعلى مراتبها، وهو تعليمه القرآن وتنزيله لأنّه أعظم وحي الله منزلة، وهو مصداق الكتب الإلهية.

وأخر ﴿حَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ عن ذكره ليعلم أنّه إنّما خلقه ليعلم وحيه، فما خلق الإنسان من أجله كان مقدّماً عليه.

ثم ذكر ما يميز به الإنسان من سائر الحيوان من ﴿أَلْبَيَانَ﴾ وهو النطق العرب عما في الضمير، وقيل: إنّ ﴿الْإِنْسَانَ﴾ آدم عليه السلام، و﴿أَلْبَيَانَ﴾ اللغات كلها وأسماء كل شيء^(١). وقيل: ﴿الْإِنْسَانَ﴾ محمد ﷺ، و﴿أَلْبَيَانَ﴾ ما كان وما يكون^(٢). وعن الصادق عليه السلام: ((البيان: الاسم الأعظم الذي علم به كل شيء))^(٣).
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٦٧.

(٢) عن ابن كيسان. معالم التنزيل ج ٤: ١١٦.

(٣) مجمع البيان ج ٩-١٠: ١٩٧.

بروجها ومنازلها، وفي ذلك منافع عظيمة للناس منها علم السنين والحساب.

﴿وَالنَّجْمُ﴾: النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول،

﴿وَالشَّجَرُ﴾: الذي له ساق، وسجودهما: انقيادهما لله تعالى فيما خلقا له، أو ما فيهما من الدلالة على حدودهما، وأنّ لهما صناعاً محدثاً. واتصلت هاتان الجملتان بـ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ اتصالاً معنوياً، وهو ما علم أنّ الحسبان حسبانته، والسجود له لا لغيره، فكأنّه قال: بحسبانته ويسجدان له.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة مسموكة، حيث جعلها منشأ أحكامه، ومتنزل أوامره ونواهيها، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على رسله.

﴿وَوَضَعَ أَلْمِيزَانَ﴾ وهو كل ما يوزن به الأشياء، ويعرف مقاديرها، ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف، وقيل: المراد به العدل^(١).

﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ لتلا تطفوا، وهي (أن) المفسرة.

﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: قوموا وزنكم بالعدل، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا أَلْمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوه، وهذا أمر بالتسوية، ونهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة، وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان. وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتأكيذاً.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحوة على الماء.

﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق، وهو كل ما على ظهرها من دابة، وعن الحسن: (للإنس والجن)^(٢)، فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها.

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٧: ٦٩.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٧: ٧٠.

﴿فِيهَا فَتَكِهَةٌ﴾ ضروب مما يتفكه به.

﴿ذَاتُ الْأَكْهَامِ﴾ وهي كل ما يكتم أي: يغطي من ليف النخل وسعفه وكفراه^(١)، ويتنفع بجميعه كما ينتفع بالكموم من ثمره وجماره وجذوعه. وقيل: الأكهام: أوعية الثمر، والواحد كم بكسر الكاف. و﴿الْعَصَفِ﴾: ورق الزرع، وقيل: التين^(٢).

﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الرزق، وهو اللب، أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه، وما هو الجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل، وما يتغذى به وهو الحب. وقرئ: والريحان بالكسر ومعناه: والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام والريحان الذي هو مطعم الناس، وبالضم على: وذو الريحان، فحذف المضاف [وأقيم المضاف]^(٣) إليه مقامه، وقيل: معناه: وفيها الريحان الذي يشم^(٤)، وقرئ: والحب ذا العصف والريحان بالنصب، أي: وخلق الحب والريحان، أو وأخص الحب والريحان.

﴿فَيَأْتِي الْآءَ رَيْكَمَا﴾ أيها الثقلان ﴿تَكْذِبَانِ﴾، ويدل على أن الخطاب لهما قوله: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾^(٥).

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۖ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ۖ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِي الْآءَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ

(١) الكفري: وعاء طلع النخل. (الصحيح: مادة كفر)

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٧١.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٧٢.

(٥) الرحمن: ٣١.

الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِصَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَنْتَقِلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

الصلصال: الطين اليابس لتصلصله، والفخار: الطين المطبوخ بالنار وهو
الخزف. وفي موضع آخر: ﴿مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ﴾^(١) و﴿مِنْ طِينٍ لَا زِبِ﴾^(٢). والمعنى:
إنه خلقه من تراب جعله طيناً، ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصلاً.

و﴿الْجَكَانَ﴾ أبو الجن، وقيل: هو إبليس^(٣). والمارج: الصافي من لهب النار
لا دخان فيه، وقيل: هو المختلط بسواد النار^(٤)، و﴿مِنْ﴾ للبيان، فكأنه قال: من
صاف من نار أو مختلط من نار.

والمشرقان والمغربان: مشرقا الشتاء والصيف، أو مشرقا الشمس والقمر
ومغرباهما.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسل البحر العذب والبحر المالح متجاورين متلاقين لا
فصل بينهما في مرأى العين.

(١) الحجر: ٢٦.

(٢) الصافات: ١١.

(٣) عن الضحاك. معالم التنزيل ج ٤: ١١٧.

(٤) معاني القرآن وإعراجه ج ٥: ٩٩.

﴿يَنْهَمَا بَرَزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله لا يتجاوزان حدّيهما، ولا ينبغي أحدهما على الآخر بالمجازة.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ كبار الدر وصغاره، وقيل: ﴿الْمَرْجَانُ﴾ خرز أحمر كالقضب^(١) وهو البسذ، وقرئ: يخرج من أخرج، وقال: ﴿مِنْهُمَا﴾ وإِنَّمَا يخرجان من الملح لأنهما لما التقيا صارا كالشيء الواحد، فكأنه قال: يخرج من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه، كما تقول: خرجت من البلد وإِنَّمَا خرجت من بعضه، وقيل: إِنَّمَا يخرجان من ملتقى الملح والعذب.

والجوارى: السفن، وقرئ: ﴿الْمُشَنَاتُ﴾ بفتح الشين وكسرها، وهي المرفوعات الشرع، [وبالكسر: الرافعات الشرع، أو^(٢) اللواتي ينشئن الأمواج بجريهن. والأعلام: جمع علم وهو الجبل الطويل.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض ﴿فَإِنْ﴾ أي: هالك، يفنون ويخرجون من الوجود إلى العدم.

﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات.

﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صفة للوجه الذي يحلّ عن التشبيه بخلقه [وعن أفعالهم]^(٣)، أو من عنده الجلال والإكرام لأوليائه وأصفياه، وهذه الصفة من عظيم صفات الله عزّ اسمه. وفي الحديث: ((أَلْظَوْا بِيَاذَا الْجَلالَ وَالْإِكْرَامَ))^(٤).
والنعمة في الفناء أَنَّ عقبيه مجيء وقت الجزاء.

(١) عن ابن مسعود. معجم الطبراني الكبير ج ٩: ٢١٨.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) سنن الترمذي ج ٥: ٢٢١.

﴿يَسْأَلُهُ﴾ أهل ﴿السَّمَوَاتِ﴾ ما يتعلق بدينهم وأهل ﴿وَالْأَرْضِ﴾ ما يتعلق بدينهم ودنياهم، فكل من فيهما مفتقرون إليه لا يستغنون عنه.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: كل وقت وحين يحدث أموراً ويجدد أحوالاً، كما روي عن النبي ﷺ أنه تلاها، فقبل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: ((من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين))^(١).

سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْنَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٦﴾ إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٥﴾

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يهدده: سأفرك لك أي: سأجبرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه [حتى لا يكون لي شغل سواه، ويجوز أن يكون المراد: ستنتهي الدنيا وينتهي عند^(٢) ذلك شؤون الخلق فلا يبقى إلا شأن واحد

(١) صحيح ابن حبان ج ٢: ٤٦٤، أمالي الشيخ الطوسي ج ٢: ١٣٥.

(٢) ساقطة من ج.

وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً على طريق التمثيل، وقرئ: سيفرغ - بالياء - أي: الله عز وجل، وسُمي الإنسان والجن الثقليْن لأنَّهما ثقلا على الأرض، وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل. ومنه قول النبي ﷺ: ((إني تارك فيكم الثقليْن: كتاب الله، وعترتي))^(١) سَمَّاهما ثقليْن لعظم شأنهما وعلو مكانهما.

﴿يَمْعَثِرَ الْيَمِينَ وَالْإِثْمِينَ﴾ كالترجمة لقوله: ﴿آيَةُ الثَّقَلَيْنِ﴾، ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَهْرَبُوا مِنْ قِضَائِي وَتَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِي وَسَمَائِي فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: لَا تَقْدَرُونَ عَلَى النُّفُوذِ مِنْ نَوَاحِيهَا.

﴿لَا يَسْلُطِينَ﴾ أي: بقهر وقوة وغلبة، وآتى لكم ذلك، ونحوه: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٢).

﴿شَوَاطِئُ﴾ بالضم، وقرئ بالكسر، وهو اللهب الخالص، والنحاس: الدخان، وقيل: الصفر المذاب يصب على رؤوسهم^(٣). وعن ابن عباس: (إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواط إلى المحشر)^(٤). وقرئ ﴿وَحُحَّاسٌ﴾ بالرفع عطفاً على ﴿شَوَاطِئُ﴾، وبالجر عطفاً على ﴿نَارٍ﴾.

﴿فَلَا تَنْصَرِيانِ﴾ فلا تمتنعان.

﴿أُنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ تصدَّعت وانفكَّ بعضها من بعض ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ حمراء ﴿كَالِدِهَانٍ﴾ كدهن الزيت، كما قال: ﴿كَالْمُهْلِ﴾^(٥) وهو دردي الزيت، وهو

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢: ١٦٢، خصائص امير المؤمنين: ٩٣، وانظر كتاب حديث الثقليْن.

(٢) العنكبوت: ٢٢.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٨٢.

(٤) الكشف ج ٤: ٤٤٩.

(٥) الدخان: ٤٥.

اسم ما يدهن به كالأدام، أو جمع دهن، وقيل: الدهان: الأديم الأحمر^(١).

﴿إِنْسٌ﴾ أي: بعض من الإنس ﴿وَلَا جَنَّاتٌ﴾ أي: ولا بعض من الجن، فوضع الذي هو أبو الجن موضع الجن، كما يقال: هاشم ويراد ولده.

وعاد الضمير موحداً في قوله: ﴿عَن ذُنُوبِهِ﴾ لكونه في معنى البعض، والمعنى: لا يسألون لأنّ المجرمين يعرفون بسيماهم من سواد الوجوه، وزرق العيون وقيل: لا يسألون عن ذلك ليعلم من جهتهم، بل يسألون سؤال توبيخ^(٢)، وعن قتادة: (قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)^(٣).

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ عن الضحاك: (يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره)^(٤)، وقيل: يسحبون تارة بأخذ النواصي وتارة بالأقدام.

﴿حَمِيمٍ﴾ ماء حار قد انتهى حرّه ونضجه، أي: يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم، ليس لهم من العذاب أبداً فرج.

وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿١٩﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٢١﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٢٣﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٢٥﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِن إِسْتَبْرَقٍ وَحَىٰ إِلَٰلِ الْجَنَّةِ دَانٍ ﴿٢٧﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٦: ١٤٤.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٦: ١٤٥.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٧: ٨٣.

(٤) الدر المنثور ج ٦: ١٤٥.

الْطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا
 تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ آيَاتُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا
 تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَإِنِّي
 ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ
 رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ فَضَاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فُكْكُهُمْ وَنُحْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴿٧٠﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
 مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ
 يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٥﴾
 مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رُفْرِفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا
 تُكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة،
 ونحوه: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾^(١)، أو يريد بمقام ربّه: أَنَّ الله قائم عليه أي:
 حافظ مهيم، من قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٢) فهو يراقب
 ذلك ولا يجسر على معصيته، أو يكون مقاماً مقحماً، كما تقول: أخاف جانب فلان،
 وفعلت ذلك لمكانك أي: لأجلك.

﴿جَنَّتَانِ﴾: جنة يثاب بها، وجنة زائدة يتفضل عليه بها كقوله تعالى: ﴿الْحُسْنَى

(١) إبراهيم: ١٤.

(٢) الرعد: ٣٣.

وَزِيَادَةٌ﴿^(١)﴾، أو جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي، لأن التكليف يدور على الأمرين، أو يكون على خطاب الثقلين فكأنه قال: لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف من الإنس، وجنة للخائف من الجن.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ وهي الأغصان، خصّها بالذكر لأنها تثمر ومنها تمتد الظلال، وقيل: الأفنان: ألوان النعم مما تشتهيهِ الأنفس^(٢).

﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث شاءوا في الأعلى والأسفل.

﴿زَوَاجٍ﴾ صنفان: صنف معروف وصنف غريب، أو متساكلان كالرطب واليابس، لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب.

﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ نصب على المدح للخائفين، أو حال منهم، لأنّ من خاف في معنى الجمع أي: قاعدين كالملوك ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ديباج ثخين، وإذا كانت البطائن من استبرق فما ظنك بالظواهر؟! وقيل: إنّ ظواهرها من سندس، وقيل: من نور^(٣).

﴿وَحِجَى الْجَنَّةِ دَانٍ﴾ أي: ثمرهما المجتنى قريب يناله القائم والقاعد والنائم.

﴿زَيْنٍ﴾ أي: في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى، أو في الجنتين لاشتغالهما على قصور ومجالس ﴿قَصَصَتْ أَلْطَرَفِ﴾ نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿لَتَرَنَّ﴾ يطمث الإنسيات منهن أحد من الإنس، ولا الجنيات أحد من الجن، أي: لم يفتضهن ولم يطأهن أحد

(١) يونس: ٢٦.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢٧: ٨٥.

(٣) عن سعيد بن جبیر. الدر المنثور ج ٦: ١٤٧.

فهن أبقار. وفيه دليل على أنّ الجن تطمئ كما تطمئ الإنس، وقرئ: لم يطمئنهن بضم الميم. ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ يعني: أتهن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضاً.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ في الثواب.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين ﴿جَنَّاتٍ﴾ لمن دونهم من أصحاب اليمين.

﴿مُدْهَاتَانِ﴾ قد ادهامتا من شدة الخضرة، وكل نبت أخضر، فتهام خضرته أن يضرب إلى السواد.

﴿فَضَّاحَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، والنضح أكثر من النضح، لأنّ النضح مثل الرش.

وإنما عطف النخل والرمان على الفاكهة وإن كانا منها بياناً لفضلهما، فكأنهما لمزيتهما في الفضل جنسان آخران، كقوله: ﴿جَبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١)، أو لأنّ النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه.

﴿خَيْرَاتٌ﴾ أي: خيرات، فخفف لأنّ (خير) الذي هو بمعنى (أخير) لا يأتي منه خيرون ولا خيرات، والمعنى: فاضلات الأخلاق حسان الخلق.

﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مخدّرات، قصرن في خدورهن، امرأة قصيرة ومقصورة أي: مخدّرة ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ في الحجال. وفي الحديث: ((الخيمة درة واحدة طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراه الآخرون))^(٢).

(١) البقرة: ٩٨.

(٢) الكشف والبيان ج ٩: ١٩٦.

والضمير في ﴿قَبْلَهُمْ﴾ لأصحاب الجنتين لدلالة ذكر الجنتين عليهم.

والرurf: ضرب من البسط، وقيل: الرurf رياض الجنة^(١) والواحدة:

رurfة، وقيل: الوسائد^(٢)، وقيل: كل ثوب عريض رurf.

﴿وَعَبَقَرِي حَسَانٍ﴾ منسوب إلى عبقر، والعرب تزعم أنه بلد الجن فتنسب

إليه كل شيء عجيب، وعن ابن عباس وقتادة: (يريد الزرابي)^(٣)، وعن مجاهد: (الدياج)^(٤).

وقرئ في الشواذ: رفارف خضر وعباقرى كمدائني، وروي ذلك عن

النبي ﷺ. وإن شذ في القياس ترك صرف عباقرى فلا يستنكر مع استمراره في الاستعمال. وقرئ: ذو الجلال بالواو صفة لـ ﴿أَنْتُمْ﴾.

(١) عن سعيد بن جبیر. تفسير الطبري ج ٢٧: ٩٤.

(٢) عن عاصم الجحدري. الدر المنثور ج ٦: ١٥٢.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٧: ٩٥.

(٤) تفسير الطبري ج ٢٧: ٩٥.

سورة الواقعة

مكية سبع وتسعون آية بصري، ست كوفي. عدّ البصري: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾، وعدّ الكوفي: ﴿مَوْضُونَةٍ﴾ ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ ﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة الواقعة) كتب ليس من الغافلين))^(١)، وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ: ((من قرأ (سورة الواقعة) كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً))^(٢)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة الواقعة) قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر))^(٣)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل ليلة جمعة أحبه الله وحبّه إلى الناس، ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً، ولا فقراً، ولا آفة من آفات الدنيا، وكان من رفقاء أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه السورة لأمر المؤمنين عليه السلام خاصة، لا يشركه فيها أحد... تمام الخبر))^(٤).

(١) مجمع البيان ج ٩ - ١٠: ٢١٢.

(٢) شعب الإيمان ج ٢: ٤٩٢.

(٣) ثواب الأعمال: ١١٧.

(٤) ثواب الأعمال: ١١٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾
 إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً
 مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمْعَةِ مَا أَصْحَابُ الشِّمْعَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّقُونَ
 السَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ
 الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ
 عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

﴿إِذَا﴾ ظرف من معنى ﴿لَيْسَ﴾ لأنَّ التقدير: لا يكون ﴿لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ﴾،
 أو هو ظرف لمحدوف، والتقدير: إذا وقعت خفضت قوماً ورفعت آخرين، ويدلّ
 عليه قوله: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾. وقال ابن جني^(١): ﴿إِذَا﴾ الأولى مرفوعة الموضع
 بالابتداء، و﴿إِذَا﴾ الثانية خبر عن الأولى، وقد فارقنا الظرفية، والمعنى: وقت
 وقوع الواقعة وقت رج الأرض^(٢). والمراد: إذا كانت الكائنة وحدثت الحادثة
 وهي القيامة، وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة. ﴿لَيْسَ لَوْقَعِهَا﴾ نفس ﴿كَاذِبَةٌ﴾
 تكذب على الله، وتكذب في تكذيب الغيب، لأنَّ كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة
 مصدقة، وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات، واللام مثلها في قوله تعالى:
 ﴿قَدْ مَتَّ لِحَيَاتِي﴾^(٣). وقيل: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كالعافية بمعنى التكذيب من قولهم: حمل

(١) أبو الفتح عثمان بن جني النحوي، من أحقق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والصرف، ولد سنة ٣٣٠هـ، وتوفي سنة ٣٩٢هـ. ينظر: بغية الوعاة ج ٢: ١٣٢.

(٢) المحاسب ج ٢: ٣٠٧.

(٣) الفجر: ٢٤.

فلان على قرنه فما كذب، أي: فما جبن^(١)، وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له، قال زهير:

لَيْثٌ بَعَثَرَ يَصْطَاذُ الرَّجَالِ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا^(٢)

أي: إذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد.

﴿خَافِضَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هي خافضة ﴿رَافِعَةٌ﴾.

﴿إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: حرّكت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كل شيء

فوقها من جبل وبناء.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ وفتتت حتى تعود كالسويق، أو سيقت وسيرت،

من: بس الغنم إذا ساقها.

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْبَأً﴾ متفرقا. وانتصبت ﴿إِذَا رَحَّتِ﴾ بـ ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾، أو

على البدل من ﴿إِذَا وَقَعَتْ﴾.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافاً ﴿ثَلَاثَةً﴾.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ الذين يعطون صحائفهم بأيامهم، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾

الذين يعطونها بشمالهم، أو معناهما: أصحاب المنزل السنية وأصحاب المنزل الدنية،

من قولهم: فلان من فلان باليمين أو بالشمال: إذا وصفوه بالرفعة عنده أو الضعة،

وذلك لتيمنهم باليومان وتشاؤمهم بالشمال، ولذلك اشتقوا من اليمين: اليمنى،

ومن الشؤم: الشؤمى للشمال، وتغالوا بالسانح، وتطيروا بالبارح^(٣). وقيل: يؤخذ

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٠٧.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ٧٦، وفيه: ما كذب الليث...، وصدده ساقط في ب.

(٣) السانح: ما وآك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرها، والبارح ما ولاك مياسره. (الصحاح: مادة

سنح، برح).

بأهل الجنة ذات اليمين، وبأهل النار ذات الشمال^(١).

﴿مَا أَصْحَبُ الْمُيمَنَ﴾ و﴿مَا أَصْحَبُ الْمُشْغَمَ﴾ تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة، كما يقال: هم، ما هم؟ والمعنى: أي شيء هم؟.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أي: والسابقون من عرفت حالهم وبلغك صفتهم، كقول الشاعر:

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي^(٢)

أي: شعري ما عرفته وسمعت بفصاحته.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ مبتدأ وخبر، أي: الذين قربت درجاتهم ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ أي: أعلى المراتب.

والثلة: الأمة الكثيرة من الناس، وهي من الثل وهو الكثير، كما أن الأمة من الأم وهو الشج، كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم، والمعنى: إن السابقين كثير ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وهم الأمم من لدن آدم إلى محمد ﷺ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وهم أمة محمد ﷺ، وقيل: ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ من متقدمي هذه الأمة، و﴿مِنَ الْآخِرِينَ﴾: من متأخريها.

وهذا في السابقين، وقال في أصحاب اليمين: ﴿وَوَلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾^(٣). وعن الحسن: (سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا، وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة)^(٤). و﴿ثَلَاثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هم ثلة.

(١) عن السدي. تفسير الماوردي ج ٥: ٤٤٨.

(٢) الرجز لأبي النجم. الأغاني ج ٢٢: ٣٣٩، وبقية: لله دري ما يجن صدري.

(٣) الواقعة: ٤٠.

(٤) البيان ج ٩: ٤٩٨.

﴿عَلَى سُورٍ مَوْضُوعَةٍ﴾ أي: منسوجة مرمولة بالذهب، كما توضن حلق الدروع [فيدخل بعضها في بعض]^(١)، وقيل: متواصلة أدنى بعضها من بعض^(٢).

﴿مُتَكَيِّنٌ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَى﴾ أي: استقروا عليها متكئين ﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾ لا ينظر بعضهم في أفقاء بعض. وصفهم سبحانه بتهذيب الأخلاق وحسن المعاشرة.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوبَ وَأَبَارِقَ وَكُلَّ مَن مَّعِينِ ﴿١٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَنَكِهَهُ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَنَكِهَهُ كَثِيرٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَجْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ وصفاء وغللمان للخدمة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ [مبقون]^(٣) أبداً على شكل الولدان، وحد الوصافة لا يتحولون عنه، وقيل: مقرطون والخلدة:

(١) ساقطة من ب.

(٢) الكشف والبيان ج ٩: ٢٠٣.

(٣) ساقطة من ب.

القرط^(١)، وقيل: هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها^(٢)، روي ذلك عن علي عليه السلام^(٣). وسئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين، فقال: ((هم خدام أهل الجنة))^(٤).

الأكواب: قذاح واسعة الرؤوس بلا عرى ولا خراطيم، والأباريق: التي لها خراطيم.

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، وحقيقته: لا يصدر صداعهم عنها ولا ينزفون عنها.

﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يأخذون خيره وأفضله، و﴿يَسْتَهْتُونَ﴾ يتمنون. وقرئ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع على: وفيها حور عين، كبيت الكتاب:

بَادَتْ وَغَيْرَ آيَهِنَّ مَعَ الْبَلَى
إِلَّا رَوَاكِدُ جَهَنَّمَ هَبَاءٌ
وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءٌ فَذَالِهِ
فَبَدَا وَغَيْرَ سَارَهُ الْمَغْزَاءُ^(٥)

لأن المعني بها: رواكد ومشجج.

أو العطف على ﴿وَلَدْنُ﴾، وبالجر عطف على ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ كأنه قال: هم في جنات وفاكهة ولحم وحور، وقرأ أبي وابن مسعود: وحوراً عيناً بالنصب على: ويؤتون حوراً.

﴿جَزَاءً﴾ مفعول له أي: يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم.

(١) عن الفراء. معاني القرآن ج ٣: ١٢٣.

(٢) عن الحسن. الكشف والبيان ج ٩: ٢٠٤.

(٣) الكشف والبيان ج ٩: ٢٠٤.

(٤) مسند الطيالسي: ٢٨٢.

(٥) ديوان شعر ذي الرمة: ٦٦١، وفيه: ومشجج... وغيب، الكتاب ج ١: ١٧٣.

﴿سَلَمًا سَلَمًا﴾ بدل من ﴿قِيْلًا﴾ بمعنى: لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً، أو مفعول به لـ ﴿قِيْلًا﴾ بمعنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا: سلاماً سلاماً، والمراد: أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاماً بعد سلام.

والسدر: شجر النبق، والمخضود: الذي لا شوك فيه كأنها خضد شوكة، وعن مجاهد: (هو الموقر الذي يثني أغصانه كثرة حملة)^(١)، من: خضد الغصن إذا ثناه رطباً.

والطلح: شجر الموز، وقيل: هو شجر أم غيلان، وله نوار كثير طيب الرائحة^(٢). وعن السدي: (هو شجر يشبه طلع الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل)^(٣). والمنضود: الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، فليست له ساق بارزة.

﴿وَزَلَّ مَتَدُورٌ﴾ ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿وَمَا وَ مَسْكُوبٌ﴾ يسكب لهم أين شاءوا وكيف شاءوا لا يتعبون فيه، وقيل: دائم الجرية لا ينقطع^(٤)، وقيل: مصبوب يجري على وجه الأرض في غير أخذود^(٥). ﴿لَا مَقْطُوعَةٌ﴾ أي: هي دائمة لا تنقطع في بعض الأزمان كفواكه الدنيا ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾ بوجه من وجوه المنع من بعد تناول أو شوك، أو حظر عليها كما

(١) تفسير الطبري ج ٢٧: ١٠٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١١٢.

(٣) الكشف ج ٤: ٤٦١.

(٤) معاني القرآن للقرطبي ج ٣: ١٢٥.

(٥) عن سفيان. تفسير الطبري ج ٢٧: ١٠٦.

يحظر على بساتين الدنيا.

﴿وَفُرْشٍ﴾ جمع فراش ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ نضدت حتى ارتفعت، أو مرفوعة على الأسرة، وقيل: هي النساء، لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك^(١)، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾. وعلى التفسير الأول أضمر هن لأن ذكر الفرش - وهي المضاجع - دلّ عليهن.

﴿أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ ابتدأنا خلقهن ابتداءً جديداً من غير ولادة، فإما أن يراد: اللاتي ابتدئ إنشاءهن، أو اللاتي أعيد إنشاءهن. وعن النبي ﷺ أنه قال لأم سلمة: ((هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً، جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً فلما سمعت عائشة ذلك قالت: واوجعاه! فقال رسول الله ﷺ: ليس هناك وجع))^(٢).

﴿عُرْبًا﴾ جمع عروب، وهي المتحبة إلى زوجها، وقرئ: عرباً بالتخفيف. ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السن، وأزواجهن كذلك. وفي الحديث: ((يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعداً مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين))^(٣).

واللام في ﴿لَا ضَحَبَ أَلِيمِينَ﴾ من صلة (أنشأنا) و(جعلنا).

وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ (١١) فِي سَمُورٍ وَحِمِيرٍ (١٢) وَظِلٍّ
مِنْ يَحْمُورٍ (١٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (١٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ
(١٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنثِ الْعَظِيمِ (١٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَبْعُوثُونَ (١٧) أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٨) قُلْ

(١) عن الحسن وغيره. الكشف والبيان ج ٩: ٢٠٩.

(٢) الكشف والبيان ج ٩: ٢١٠.

(٣) مسند أحمد ج ٢: ٢٩٥.

إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١١﴾ لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ
 إِنَّا أَنبَأْنَا الْأَشْقَاءَ الْمَكِيدِينَ ﴿٥١﴾ لَّا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْتَوْنَا
 مِنهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرَبَ الْحَمِيمِ ﴿٥٥﴾
 هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا
 تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنشَأْتُمْ خَلَاقَهُهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ
 الْأَمَوتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ تَبْدِلَ أَثْمَالَكُمْ وَنُدْبِعَكُمْ فِي
 مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
 أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنشَأْتُمْ زُرْعَهُهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ
 نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ
 نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنْ
 الْمُزْنِ ۖ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ۖ أَمْ نَحْنُ
 الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ
 بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ في ريح حارة تدخل مسامهم ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ في ماء مغلي حار
 انتهت حرارته وتناهت.

﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمُونَ ﴾ دخان أسود بهيم، ﴿ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ نفي لصفتي الظل
 عنه، يعني: أنه ظل حار ضار لا كسائر الظلال.

و﴿ الْحَنِثِ ﴾: الذنب، ومنه قولهم: بلغ الغلام الحنث أي: الحلم ووقت
 المؤاخذه بالمأثم.

﴿ أَوْءَابَاؤُنَا ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف، وقرئ: أو آباؤنا.

﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم، والإضافة بمعنى: (من) كخاتم فضة؛ والميقات: ما وقت به الشيء أي: حد، ومنه: مواقيت الإحرام.

﴿مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُفَرٍ﴾: ﴿مِنْ﴾ الأولى لا ابتداء الغاية، والثانية للتبيين، وأنت ضمير الشجر على المعنى، وذكره على اللفظ، في قوله: ﴿مِنْهَا﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾.

﴿شَرِبَ الْهَيْمُ﴾ قرئ بفتح الشين وضمها، وهما مصدران. والهيـم: الإبل التي بها الهيام، وهو داء تشرب منه فلا تروى، جمع أهيم وهيماء. وقيل: الهيم: الرمال^(١) فيكون جمع الهيام بفتح الهاء، جمع على فعل كسحاب وسحب، ثم فعل به ما فعل بجمع أبيض. والمعنى: إنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم، فإذا ملؤوا منها البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم.

والنزل: الرزق الذي يعدّ للنازل تكرمة له، وفيه تهكم، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق بالبعث، لأنّ من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة.

[﴿مَا تُمْنُونَ﴾]^(٣) يريد: ما تمنونه، أي: تقذفونه في الأرحام من النطف.

﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ تقدرونه وتصورونه.

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَهُ الْأَمَوتَ﴾ تقديرأ على تفاوت، كما اقتضته الحكمة فاختلفت

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٦: ١٦٠.

(٢) التوبة: ٣٤.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

أعماركم. وقرئ: قدرنا بالتخفيف.

يقال: سبقته على الشيء إذا غلبته عليه وأعجزته عنه. فمعنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْنَلَكُمْ﴾: إنا قادرون على ذلك لا تغلبوني عليه. و﴿أَمْنَلَكُمْ﴾ جمع مثل، أي: على أن نبذل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق، وعلى أن ﴿وَنُنِشَّكُمْ فِي﴾ خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها، يعني: إنا نقدر على الأمرين جميعاً: على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعادتكم؟! ويجوز أن يكون أمثال جمع مثل، أي: على أن نبذل ونغيّر صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها.

وقرئ: ﴿النَّشَاءَ﴾ والنشأة.

ما تحرثونه من الطعام أي: تبدرون حبه وتعملون في أرضه، ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تبتونه وتجعلونه نباتاً يرف وينمى إلى أن يبلغ غايته؟ وفي الحديث: ((لا يقولن أحدكم: زرعت وليقل: حرثت))^(١).

والخطام: ما تحطم وصار هشياً ﴿فَطَلَّتْ﴾ أي: فظللتم ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجبون مما أصابكم، وعن الحسن: (تندمون على تعبك في إنافاقكم عليه، أو على ما اقترفت من المعاصي التي بسببها أصابكم ذلك)^(٢)، وتقولون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: ملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون هلاك رزقنا، من الغرام وهو الهلاك.

﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مُحْرَمُونَ﴾ محارفون لا مجدودون^(٣) لا حظ لنا ولا بخت، ولو كنا مجدودين لما أصابنا هذا.

(١) شعب الإيهان ج ٤: ٣١٢.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٧: ١١٤.

(٣) المجدود: المحظوظ. (الصحاح: مادة جدد)

و﴿الْمُرْنِ﴾ السحاب، والأجاج: المالح الزعاق الذي لا يقدر على شربه، وحذف اللام من جواب (لو) هنا اختصاراً، وهي ثابتة في المعنى.

تورونها: أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد، والعرب تقدح بعودين، تحك أحدهما على الآخر، ويسمون الأعلى: الزند، والأسفل: الزنده.

﴿أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ التي منها الزناد وأنبتوها.

﴿تَذَكُّرَةً﴾ تذكيراً لنار جهنم حيث علّقنا بها أسباب المعایش كلها، وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به، أو جعلناها أنموذجاً من جهنم.

﴿وَمَتَّعًا﴾ ومنفعة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين ينزلون القواء، وهو القفر، أو الذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام.

﴿فَسَيَحِبُّ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [أي: فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك، و] ^(١) ﴿الْعَظِيمِ﴾: صفة للمضاف أو المضاف إليه، وهو أن تقول: سبحان الله؛ تنزيهاً عما يقول الظالمون الجاحدون نعمه، أو تعجباً من أمرهم [في غمط الآية] ^(٢)، أو شكراً على هذه النعم التي عددها سبحانه وتبّه عليها.

فَلَا أَفْسِدُ بِمَوْفِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ
﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقَرُءٌ نَّكَرٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ
مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ
الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّنْظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ

(١) ساقطة من ب.

(٢) ساقطة من ج، د.

وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ
وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّةٌ لَكَ مِنْ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلُّ
مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ لَاقِينَ ﴿٩٥﴾
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

المعنى: فأقسم، ولا مزيدة مؤكدة، وقرأ الحسن: فلا أقسم، ومعناه: فلا أنا
أقسم ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بمساقطها ومغارها، أو بمنازلها ومسائرها.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض بين القسم والمقسم
عليه، وقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراض في اعتراض، اعترض به بين الموصوف
وصفته. وقيل: (مواقع النجوم): أوقات وقوع نجوم القرآن أي: أوقات نزولها^(١)،
وقرئ: بموقع على الأفراد لأنه اسم جنس يؤدي مؤدى الجمع.

﴿إِنَّهُ لَقَرَّءَانٌ كَرِيمٌ﴾ عند الله أكرمه وأعزه، أو كريم عام المنافع كثير الخير
ينال الثواب العظيم بتلاوته والعمل بها فيه، أو خطير معجز مرضي في جنسه من
الكتب.

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ مصون من غير المقرئين من الملائكة، لا يطلع عليه
من سواهم، وهم المطهرون من جميع الأدناس، إن جعلت الجملة صفة لـ ﴿كِتَابٍ
مَكْنُونٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ. وإن جعلته صفة لـ ﴿قُرْآنٍ﴾ فالمعنى: ﴿لَا يَمَسُّهُ
إِلَّا﴾ من هو على الطهارة من الناس، يعني: مس المكتوب منه.

﴿تَنْزِيلٌ﴾ صفة أخرى للقرآن، أي: منزل ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوماً من بين سائر كتب الله، فكأنه في نفسه تنزيل، ولذلك جرى مجرى بعض أسماؤه حين قالوا: نطق التنزيل بكذا، وجاء في التنزيل كذا، أو هو تنزيل، على حذف المبتدأ.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ﴾ أي: متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي: يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ على حذف المضاف، أي: وتجعلون شكر رزقكم التكذيب؟! والمعنى: أوضعتم التكذيب موضع الشكر؟! وعن علي عليه السلام أنه قرأ: وتجعلون شكركم، وروي ذلك عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام. أي: وتجعلون شكركم لنعمه أنكم تكذبون، أو تجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم؟ وقرئ: تَكْذِبُونَ وهو قولهم في القرآن: سحر وشعر واقتراء، وفي المطر: هو من الأنواء، ولأن كل مكذب بالحق كاذب.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ترتيبه: فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين، و(لولا) الثانية مكررة للتوكيد، والضمير في ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ للنفس وهي الروح، وفي ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ للمحتضر.

وقوله: ﴿غَيْرَ مَدِينٍ﴾ من: دان السلطان الرعية إذا ساسهم، أي: غير مربوبين مملوكين.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يا أهل الميت بعلمنا وقدرتنا، أو بملائكتنا الذين يقبضون روحه، والمعنى: إنكم في جحودكم آيات الله سبحانه قد بلغت كل مبلغ، إن أنزل عليكم كتاباً معجزاً قلتم: سحر واقتراء، وإن أرسل إليكم رسولاً صادقاً قلتم: ساحر شاعر كذاب، وإن رزقكم مطراً يحْيِيكم به قلتم: صدق نوء كذا، فما

لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الخلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في كفركم بالله وتعطيكم؟!.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ المتوفى ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ السابقين ﴿فَرُوحٌ﴾ فله استراحة ﴿وَرِيحَانٌ﴾ ورزق، وقرئ: فُروح بالضم، وهو مروي عن الباقر عليه السلام، أي: فرحة لأن الرحمة كالحياة للمرحوم، وقيل: هو البقاء^(١)، أي: فهذان له معاً، وهو الخلود مع الرزق.

﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أي: يسلمون عليك، كقوله: ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾^(٢).

﴿فَنَزَّلُ مِنَ حَمِيمٍ﴾ مثل قوله: ﴿هَذَا نُزُّهُمُ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٣).

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي أنزل في هذه السورة ﴿هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: هو الحق الثابت من اليقين.

(١) مجاز القرآن ج ٢: ٢٥٣.

(٢) الواقعة: ٢٦.

(٣) الواقعة: ٥٦.

سورة الحديد

مدينة، وهي تسع وعشرون آية، عَدَّ الكوفي: ﴿مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ والبصري: ﴿الْإِنْجِيلَ﴾.

وفي حديث أَبِي بن كعب: ((ومن قرأ (سورة الحديد) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم، وإن مات كان في جوار رسول الله ﷺ))^(٢). وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة الحديد والمجادلة) في صلاة فريضة أدامها لم يعذبه الله حتى يموت أبداً، ولا يرى في نفسه ولا في أهله سوءاً أبداً))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٢٢٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٩.

(٣) ثواب الأعمال: ١١٧.

يُلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾

﴿سَبَّحَ﴾ تعذّى بنفسه وباللام، وأصله التعذّي بنفسه كما مر في قوله تعالى:
﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾^(١) لَأَن معنى سَبَّحْتَهُ: بَقَدْتَهُ عَنِ السُّوءِ، منقول من: سَبَّحَ إِذَا ذَهَبَ
وَبَعُدَ، واللام مثلها في قولهم: نصحتَه ونصحت له، أو بمعنى: أحدث التَّسْبِيحَ
لأجل الله ولوجهه خالصاً ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مما يصحّ منه أن يسبح.

و﴿يُنْجِي﴾ يجوز أن يكون مرفوع المحلّ على هو يحيي، ومنصوباً على الحال
من المجرور في ﴿لَهُ﴾، والجار يعمل فيه، وأن يكون جملة برأسها لا محلّ لها كقوله:
﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ﴾.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ القديم السابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من الأوقات
أو تقدير الأوقات.

﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي يبقى بعد فناء كل شيء.

﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ من إحساس خلقه لا يدرك
بالحواس، وقيل: معناهما: العالم بما ظهر والعالم بما بطن^(٢).

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بالعلم ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ لا يخفى عليه شيء من أحوالكم.

(١) الفتح: ٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٢٢.

ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
 هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْتَغِي لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ
 الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا
 وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿وَأَنْفِقُوا﴾ من الأموال التي ﴿جَعَلَكُمْ﴾ الله خلفاء في التصرف فيها ومتعكم
 بها، فليست هي بأموالكم على الحقيقة، وإنما أنتم بمنزلة الوكلاء من جهة الله فيها،
 فليهن عليكم الإنفاق منها، كما يهون على الإنسان الإنفاق من مال الغير إذا أذن له
 فيه، أو ﴿جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ﴾ من كان قبلكم بتوريثه إياكم، فاعتبروا بحالهم حيث
 انتقل منهم إليكم، وسيستقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به واستوفوا حقكم
 منه قبل أن يصير لغيركم.

﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حال من معنى الفعل في ﴿مَا لَكُمْ﴾ كما تقول: ما لك قائماً؟
 بمعنى: ما تصنع قائماً؟ أي: وما لكم كافرين بالله؟ والواو في ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾
 [واو الحال أيضاً، فهما حالان متداخلتان، والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان
 والرسول يدعوكم]^(١) إليه وينبهكم عليه، ويتلو عليكم القرآن المعجز؟.

وقبل ذلك ﴿قَدْ أَخَذَ﴾ الله ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ بالإيمان حيث ركب فيكم العقول،
 ونصب لكم الأدلة، ومكنكم من النظر فيها، فإذا لم يبق لكم علة بعد أدلة العقول

وتنبه الرسول فما لكم لا تؤمنون ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لموجب ما، فإن هذا الموجب لا مزيد عليه، وقرئ: أخذ ميثاقكم على البناء للمفعول.

﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ [الضمير لله أو للرسول، أي: ليخرجكم] ^(١) الله بآياته وأدلتها، أو الرسول بدعوته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿مَالَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ في أن لا تنفقوا ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيها، لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره. والمعنى: وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله، والجهاد مع رسول الله، والله يميتكم ووارث أموالكم؟. ثم بين التفاوت بين المنفقين فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ﴾ قبل فتح مكة، قبل عز الإسلام وقوة أهله ومن أنفق من بعد الفتح فحذف للعلم به.

﴿أُولَئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾، ﴿وَكُلًّا﴾ وكل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ المثوبة ﴿الْحُسْنَى﴾ وهي الجنة مع تفاوت الدرجات، وقرئ بالرفع على: وكُلُّ وَعَدَهُ اللَّهُ الْحُسْنَى، وقيل: المراد: فتح الحديبية ^(٢).

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾
يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى ثَوْرُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَاَمِينِهِمْ بُشْرُكُمْ
الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظِرُونَا نَقْتَسِمَ مِنْ
ثَوْرِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ثَوْرًا فَقَضِيَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ
فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ
قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَرِيضُونَ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانَةُ

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن الشعبي. تفسير الطبري ج ٢٧: ١٢٧.

حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّزْكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ
وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قرئ: فيضعفه و﴿فِيضْعَفُهُ﴾ وقرنا منصوبين ومرفوعين، أي: يعطيه أجره
على إنفاقه مضاعفاً مضاعفاً من فضله ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ جزاء خالص لا يشوبه ما
ينغصمه.

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ لأنهم أوتوا صحائف أعمالهم من هاتين
الجهتين، فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية لسعادتهم وفلاحهم، فإذا ذهب
بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون، سعى ذلك النور بسعيهم، ويقول لهم
الذين يتلقونهم من الملائكة: ﴿بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ﴾. وعن ابن مسعود: (يؤتون
نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً من نوره على
إبهامه يطفأ مرة ويقدح أخرى)^(١).

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾.

﴿أَنْظُرُونَا﴾ انظرونا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة، أو انظروا إلينا لأنهم إذا
نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به، وقرئ:
أَنْظُرُونَا من النظرة وهي الإمهال، جعل اتنادهم^(٢) في المضي إلى أن يلحقوا بهم
إنظاراً لهم.

﴿نَقَّيْسٍ مِنْ نُّورِكُمْ﴾ نصب منه ونستضيء به.

(١) الدر المنثور ج ٦: ١٧٢.

(٢) التؤدة: الثاني. (لسان العرب: مادة أود)

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ تهكم بهم وطردهم، أي: ارجعوا إلى حيث أعطينا هذا النور فاطلبوه هناك، فمن ثم يقتبس، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور منها [بتحصيل سببه وهو الإيمان]^(١) فإننا كسبنا النور هناك، وقيل: إنَّ ﴿وَرَاءَكُمْ﴾ اسم لـ ﴿ارْجِعُوا﴾، وليس بظرف للرجوع، كما تقول: وراءك بمعنى: ارجع، والتقدير: ارجعوا ارجعوا.

﴿فَضْرِبَ﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾ أي: حائط حائل بين شق الجنة وشق النار، لذلك السور ﴿بَابٌ﴾ لأهل الجنة يدخلون منه ﴿بِاطْنُهُ﴾ باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: الجنة ﴿وَوَظْهُهُ﴾ ما ظهر لأهل النار ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾ من عنده ومن جهته ﴿الْعَذَابُ﴾ وهو النار.

﴿يَتَادُونَهُمْ أَلَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظاهر، قال المؤمنون: ﴿بَلَى﴾ كنتم معنا تصلون وتصومون ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ فختنتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾ وشككتكم ﴿وَعَزَّيْتُمْ﴾ الأمانات التي تمنيتموها ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الشيطان، وقيل: الدنيا^(٢).

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ قرئ بالياء والتاء.

﴿وَدَيْهٍ﴾ ما يفتدى به.

﴿مَأْوَانَكُمْ النَّارُ﴾ أي: مقركم الذي تأوون إليه ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أولى بكم،

قال لبيد:

(١) ساقطة من ب، د.

(٢) عن الضحاك. تفسير الماوردي ج ٥: ٤٧٦.

فَعَدَّتْ كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مَوْلِي الْمَخَافَةَ خَلَفَهَا وَأَمَامَهَا^(١)

والمعنى: إنها تلي عليكم وتملك أمركم، فهي أولى بكم من كل شيء.

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُوتُ^(١٦) أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^(١٧) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهِمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ^(١٨) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ^(١٩) أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ يَبْتَغُونَ وَتَكَافُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ^(٢٠) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(٢١)

أنى الأمر يأتي: إذا جاء أنه أي: وقته، وعن ابن مسعود: (ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين)^(١). وعن ابن عباس: (إن الله

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧٣.

(٢) الكشف والبيان ج ٩: ٢٤٠.

استبطاً قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية^(١). وعن محمد بن كعب: (كانت الصحابة بمكة مجدين فلما هاجروا أصابوا الريف^(٢) والنعمة، فغيروا عما كانوا عليه، فقست قلوبهم فنزلت^(٣)).

والمعنى: ألم يحن للمؤمنين أن تلين قلوبهم وترقّ إذا ذكر الله وتلي القرآن عندهم؟ أو لما يذكرهم الله به من مواعظه وما نزله من القرآن؟. وقرئ: ﴿نَزَلَ﴾ ونزل بالتخفيف والتشديد.

﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ عطف على ﴿تَخَشَعُوا﴾، وقرئ: ولا تكونوا بالتاء على الالتفات، ويجوز أن يكون نبأً عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبّخوا، وذلك أنّ بني إسرائيل كان الحقّ يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقّت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة، واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره. و﴿الْأَمَدُ﴾ الأجل. ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأنّه يحييها كما يحيي الغيث الأرض، أو يحييها الله ويلينها بعد القسوة بالألطف والتوفيقات.

﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ﴾ قرئ بتشديد الصاد بمعنى المتصدقين، وبتخفيفها بمعنى الذين يصدقون الله ورسوله، وعطف قوله: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ على معنى الفعل في ﴿الْمُصْذِقِينَ﴾ لأنّ اللام بمعنى (الذين)، واسم الفاعل بمعنى: اصدقوا أو صدّقوا. كأنه قيل: إنّ الذين اصدقوا وأقرضوا، وقرئ: ﴿يُضْعَفُ﴾ ويضعف.

(١) الدر المنثور ج ٦: ١٧٥.

(٢) الريف: الأرض التي فيها زرع وخصب. (الصحاح: مادة ريف).

(٣) الكشف والبيان ج ٩: ٢٤١.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء، وهم الذين سبقوا إلى التصديق، ورسخت أقدامهم فيه، والذين استشهدوا في سبيل الله.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: لهم مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم. وعن الصادق عليه السلام: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ شَهِيدٌ، وَقُرْأَ هَذِهِ الْآيَةُ))^(١). ويجوز أن يكون ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبره.

ثم زهد سبحانه المؤمنين في الدنيا فقال: ليست ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إلا محقرات من الأمور، وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، ثم شبه حالها وسرعة انقضائها وقلة جدواها بنبات أنبت الغيث و﴿أَعْيَبَ الْكُفَّارَ﴾ وهم الزراع أو الكافرون نعم الله، ﴿ثُمَّ يَسِيحُ﴾ ويصفر ويصير ﴿حُطَلَاءَ﴾.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أمور عظام وهي العذاب الشديد، ومغفرة الله ورضوانه. ﴿سَاقِيُونَ﴾ أي: بادروا مبادرة السابقين لأقرانهم في المضمار ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ منجية من العذاب الشديد، وإلى ﴿حَكَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ سَبْعِ السَّمَاوَاتِ وَسَبْعِ الْأَرْضِينَ. وَذَكَرَ الْعَرْضُ دُونَ الطُّوْلِ لِأَنَّ كُلَّ مَا لَهُ عَرْضٌ وَطُولٌ فَإِنَّ عَرْضَهُ أَقَلُّ مِنْ طَوْلِهِ، فَإِذَا كَانَ الْعَرْضُ مِثْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَطَوْلُهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وَعَنِ الْحَسَنِ: (إِنَّ اللَّهَ يَفْنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ يَعِيدُهَا عَلَى مَا وَصَفَهُ، فَلِذَلِكَ صَحَّ وَصْفُهَا بِأَنَّ عَرْضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ))^(٢).

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: هيئت وادخرت للمؤمنين المصدقين.

(١) المحاسن ج ١: ١٦٤.

(٢) التبيان ج ٩: ٥٣٢.

﴿ذَلِكَ﴾ الموعود من المغفرة والجنة.

﴿فَضَّلُ اللَّهُ﴾ عطاؤه، ولأنَّ الأسباب الموصلة إلى الثواب من التكليف والتعريض والتمكين والألطف كلها تفضل.

﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهم المؤمنون.

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا
عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ
وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ
اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنهُمْ
مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ
رُسُلَنَا وَفَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا
كُتِبَ عَلَيْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا
فَتَأْتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾

المصيبة في الأرض مثل القحط ونقص الثمار، وفي الأنفس مثل الأمراض
والشكل بالأولاد، والكتاب: اللوح المحفوظ.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهَا﴾ الضمير للأنفس أو المصيبة [أو الأرض]^(١).

﴿إِنَّ﴾ تقدير ﴿ذَلِكَ﴾ وإثباته في كتاب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هين.

ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة فيه بقوله: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ الله عز اسمه منها. والمعنى: إنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل حزنكم على الفائت وفرحكم على الآتي، وكذا إذا علمتم أن شيئاً منها لا يبقى لم تهتموا لأجله واهتمتم لأمر الآخرة التي تدوم ولا تبعد.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأن من فرح بشيء من زخارف الدنيا وعظم قدره عنده اختال وافتخر به وتكبر على الناس. وقرئ: بما آتاكم وأتاكم من الإيتاء والإيتان.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، كأنه قال: لا يحب الذين يبخلون ويحملون الناس على البخل يرغبونهم فيه، وذلك كله نتيجة فرحهم بزينه الدنيا.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن أوامر الله ونواهيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنه وعن طاعته ﴿الْحَمِيدُ﴾ في جميع أفعاله، وقرئ: فإن الله الغني.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلائل والمعجزات.

﴿وَالْكِتَابِ﴾ الوحي وما يحتاج الخلق إليه من الحلال والحرام.

﴿وَالْمِيزَانِ﴾ العدل، وقيل: هو الميزان ذو الكفتين^(٢) وروي: أن

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٢٧: ١٣٧.

جبرائيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: مر قومك يزونا به^(١).

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أي: خلقناه وأنشأناه كقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^(٢)، وذلك أَنَّ أوامره تنزل من السماء إلى الأرض. وعن النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ أَرْبَعَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ: أَنْزَلَ الْحَدِيدَ، وَالنَّارَ، وَالْمَاءَ، وَالْمَلْحَ))^(٣).

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ في معائشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها.

﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ باستعمال السيوف وسائر الأسلحة في مجاهدة أعداء الدين.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ غائباً عنهم، عن ابن عباس: (أينصرونه أم لا ينصرونه)^(٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ بقدرته ﴿عَزِيزٌ﴾ يهلك من أراد إهلاكه، فهو غني عن خلقه، وإنما كلفهم الجهاد ليصلوا بامتثال أمره إلى الثواب.

خصَّ سبحانه نوحاً وإبراهيم بالذكر لأنهما أبوا الأنبياء.

﴿أَلِكِ كِتَابَ﴾ الوحي، وعن ابن عباس: (الخط بالقلم)^(٥).

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فمن الذرية، أو من المرسل إليهم، ودلَّ عليه ذكر الإرسال والمرسلين، أي: فمنهم ﴿مُهْتَدٍ﴾ ومنهم فاسق، والغلبة للفساق.

(١) الكشف ج ٤: ٤٨٠.

(٢) الزمر: ٦.

(٣) فردوس الأخبار ج ١: ٢١١.

(٤) الكشف ج ٤: ٤٨١.

(٥) الكشف ج ٤: ٤٨١.

وقرى: رآفة على فعالة، والمعنى: وفقناها للتعاطف والتراحم بينهم. والرهابية: ترهبهم في الجبال والصوامع، وانفرادهم عن الجماعة للعبادة، ومعناها: الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف، فعلان من رهب، أي خاف، كخشيان من خشى، وانتصابها بفعل مضمّر يفسره الظاهر، والتقدير: ابتدعوا رهبانية ﴿أَبَدَعُوها إِلَّا أَتَبَعَاءَ رِضْوَنِ اللَّهِ فَمَارَعَوْها حَقَّ رِعَائِها﴾ أي: وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها.

﴿مَا كُنَّبَتْها عَلَيْهِمْ﴾ لم نفرضها نحن عليهم ﴿إِلَّا أَتَبَعَاءَ رِضْوَنِ اللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكنهم ابتدعوها ﴿إِلَّا أَتَبَعَاءَ رِضْوَنِ اللَّهِ فَمَارَعَوْها حَقَّ رِعَائِها﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكته.

﴿فَأَتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ﴾ بعيسى، وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ لم يحافظوا على نذرهم، وقيل: معناه: فما رعوها حق رعايتها إذ لم يؤمنوا بنبيتنا ﷺ حين بعث^(١)، فأتيناهم الذين آمنوا به منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون أي: كافرون.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى
شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بموسى وعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا﴾ بمحمد ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله ﴿كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بمحمد وبمن تقدّمه من

الأنبياء ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿ما أسلفتموه من المعاصي.

﴿لَيْسَ يَعْلَمُ﴾: لا مزيدة أي: لأن يعلم أو ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمد.

﴿أَلَا يَقْدِرُونَ﴾: أن مخففة من الثقيلة، وأصله: أنه لا يقدرُونَ، والضمير للشأن ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفيلين والنور والمغفرة، لأنهم لم يؤمنوا بالنبى فلم ينفعهم إيمانهم بمن تقدمه من الأنبياء، وقيل: إن (لا) ليست بزائدة، والمعنى: لئلا يعلم اليهود أن النبى والمؤمنين لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله، أي: يعلمون أنهم يقدرُونَ عليه ولم يعلموا خلافه، والضمير في ﴿يَقْدِرُونَ﴾ للنبى والمؤمنين.

سورة المجادلة

مدنية اثنتان وعشرون آية.

في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة المجادلة) كتب من حزب الله يوم القيامة..

الخبر))^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
 يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَن
 نَسَايَهُمْ مِمَّا هَرَبَ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ
 لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾
 وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مَن نَسَايَهُمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ
 قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾
 فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا فَمَن
 لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينَ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَأْتِ اللَّهَ بِدَلِيلٍ
 وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾

نزلت في خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة، رآها ساجدة، فلما انصرفت من صلاتها راودها فأبت، فغضب وكان به خفة ولم، فظاهر منها، فأنت رسول الله ﷺ وقالت: إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب في، فلما خلا سني ونثرت بطني - أي: كثر ولدي - جعلني عليه كأمه، فقال عليه وآله السلام: ما أراك إلا حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله ما ذكر طلاقاً، وإنه أبو ولدي، وجعلت تقول: أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي، فنزلت^(١).

﴿قَوْلَ أَلَيْسَ لِي مُجْدِلٌ﴾ أي: تراجعك الكلام ﴿فِي﴾ أمر ﴿زَوْجِهَا﴾ وشأنه، تظهر شكواها وما بها من المكروه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَاوِرَكُمْ﴾ تخاطبكما.

وقرئ: ﴿يُظَاهِرُونَ﴾ ويظهرون وأصلهما: يتظاهرون ويتظهرون، وقرئ: يظاهرون من المظاهرة والظهار.

﴿مِنْكُمْ﴾ فيه توبيخ للعرب، إذ كان الظهار من أيمانهم، والمعنى: إن من يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، ملحق في كلامه هذا امرأته بأمه وجاعلها مثلها، وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين.

﴿إِنْ أَمَّهُتُهُمْ﴾ أي: ما أمهاتهم على الحقيقة ﴿إِلَّا أَلَيْسَ وَلَدْنَهُمْ﴾ وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن، فالمرضعات دخلن بالرضاع في حكم الأمهات، وكذلك أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، لأن الله تعالى حرم

نكاحهن على الأمة، فدخلن بذلك في حكم الأمهات. وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة، لأنهن لسن بأمهات على الحقيقة، [ولا بداخلات في حكم الأمهات، فكان قول المظاهر ﴿مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾ تنكره الحقيقة^(١) وتنكره الأحكام الشرعية.

﴿وَزُورًا﴾ وكذباً باطلاً منحرفاً عن الحق.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ لما سلف منه إذا تيب منه.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنّ المراد: والذين كانوا يقولون هذا القول المنكر فتركوه بالإسلام ثم يعودون لمثله، فكفارة من عاد أن يجر رقة - أي: يعتقها - ثم يماس امرأته التي ظاهر منها، ولا يحلّ له مامستها إلا بعد تقديم الكفارة.

وثانيها: أنّ المعنى: ثم يتداركون ما قالوا، لأنّ المتدارك للأمر عائد إليه، ومنه المثل: (عاد غيث على ما أفسد)^(٢) أي: تداركه بالإصلاح. ومعناه: إنّ تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار.

وثالثها: أن يكون المراد بما قالوا: ما حرّموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلاً للقول منزلة القول فيه، نحو ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَنَرِيْهُ مَا يَقُوْلُ﴾^(٣)، ومعناه: ثم يريدون العود للتماس، وهو الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة.

﴿ذَلِكُوْهُ﴾ الحكم ﴿تَوْعَطُوْنَ بِهِ﴾ لأنّ الحكم بالكفارة دليل على ركوب الإثم والجناية، فينبغي أن يتعظوا بهذا الحكم حتى لا يعودوا إلى الظهار.

(١) ساقطة من ج.

(٢) مجمع الأمثال ج ٢: ٣٤٣.

(٣) مريم: ٨٠.

﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ﴾ الرقة فعليه صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ فإن صام بعض الشهرين ثم وجد الرقة لا يلزمه الرجوع إليها، وإن رجع كان أفضل. ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصوم لعدة أو كبر فعليه ﴿إِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ لكل مسكين نصف صاع، فإن لم يقدر فمَدَّ.

﴿ذَلِكَ﴾ البيان والتعليم للأحكام ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في العمل بشرائعه.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ التي لا يجوز تعديها ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ﴾ المتعدين حدود الله ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾.

﴿يُحَادُّونَ﴾ يعادون ويشاقون.

﴿كُتِبَ﴾ أي: أذلوا وأخزوا كما أخزي الذين من قبلهم من أعداء الرسل.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا
كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ
بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ
يَحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فَئِسَ الْمَصِيدُ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا بِيَاذِنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَسْوَكَ اللَّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

﴿يَوْمَ﴾ نصب بـ ﴿مُهِنٌ﴾ أو بـ (لهم)، [أو بإضمار (أذكر) تعظيماً لليوم^(١)، أي: يبعثهم الله كلهم، لا يترك منهم أحداً غير مبعوث، أو مجتمعين في حالة واحدة كما يقال: حي جميع.

﴿يُنْزِلُهُمْ بِمَاعَمِلُوا﴾ تويخاً لهم وتحجيلاً على رؤوس الأشهاد.
﴿أَخْصَنَهُ اللَّهُ﴾ عليهم وأثبته في كتاب أعمالهم ﴿وَسُوهُ﴾.
﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام معناه: التقرير.

﴿مَا يَكُونُ﴾ قرئ بالتاء والياء، وهي كان التامة، و(من) مزيدة، والنجوى: التناجي، وهو مضاف إلى ﴿ثَلَاثَةً﴾ أي: من نجوى ثلاثة نفر، أو موصوف بـ ﴿ثَلَاثَةً﴾ أي: من أهل نجوى ثلاثة، فحذف أهل، وذكر عز اسمهم الثلاثة والخمسة، وقال: ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾ فدلّ على الاثنين والأربعة، وقال: ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ فدلّ على ما يلي هذا العدد ويقاربه. وقرئ: ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ بالنصب ليدلّ على أنّ (لا) لنفي الجنس. ويجوز أن يكون ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ مرفوعاً معطوفاً على محلّ (لا) مع (أدنى) كما يقال: لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الأوّل ورفع الثاني، ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء، أو عطفاً على محلّ ﴿مِنْ نَجْوَى﴾.

ومعنى كونه ﴿مَعَهُمْ﴾: أنّهم يتناجون وهو يعلم نجواهم لا يخفى عليه شيء، فكانه يشاهدهم.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ النَّجْوَى﴾ اليهود والمنافقون، كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فكان ذلك يحزن المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك، فعادوا لمثل فعلهم، وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين، وتواصل بمعصية النبي ﷺ ومخالفته. وقرئ: ويتنجون، فلا تنتجوا من الانتجاع، افتعال من النجوى.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يقولون في تحيتك: السام عليك والسام: الموت، وتحية الله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾^(١).

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: لو كان نبياً فهلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، فقال الله سبحانه: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يوم القيامة ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ والمآل.

﴿يَتَأَيُّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بألستهم إن كان الخطاب للمنافقين، وإن كان للمؤمنين، فالمراد: ﴿إِذَا تَنَجَّيْتُمْ﴾ فلا تشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر ﴿وَتَتَجَرَّأُ بِالْبَرِّ وَالْكَفَوَى﴾. وفي الحديث: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه))^(٢). وروى: دون الثالث^(٣).

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله: ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ والمعنى: إن الشيطان يزيتها لهم فكأثما منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم.

﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان أو الحزن ﴿يَصَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بمشيئة

(١) النمل: ٥٩.

(٢) مسند أحمد ج ١: ٤٢٥.

(٣) مسند الطيالسي: ٣٤.

الله، وهو أن يقضي الموت على أقاربهم كما كانوا يوهمون المؤمنين [في تخوفهم] ^(١) إذا تناجوا. وقرئ: ليحزن من أحزنه.

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
 يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَتَأَيَّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَفَعِدُوا بَيْنَ يَدَيِّ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ
 أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِّ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
 فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
 تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ
 وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
 شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
 أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ توسعوا فيه، وليفسح بعضكم عن بعض، من قلوبهم: افسح عني أي: تنح، ولا تتضاموا. وهو مجلس النبي ﷺ كانوا يتضامون فيه حرصاً على القرب منه ليستمعوا كلامه، وقرئ: في المجالس على الجمع. وقيل: هو المجلس من مجالس القتال ^(٢)، وهي مراكز الغزاة، كقوله: ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ ^(٣).

(١) في ج، د: ذلك.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٢٨: ١٣.

(٣) آل عمران: ١٢١.

وكان الرجل يأتي الصف فيقول: تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة.

وقوله: ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مطلق في كل ما يطلب الفسحة فيه من الرزق والمكان والقبر وغير ذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ ائْتَرُوا﴾ انهضوا من مجلس النبي ﷺ أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال البر ﴿فَأَنْتَرُوا﴾. قرئ بضم الشين وكسر ها.

﴿يَرْفَعَ اللَّهُ﴾ المؤمنين بامثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة ﴿دَرَجَاتٍ﴾، وكان عبد الله بن مسعود إذا قرأها قال: (يا أيها الناس افهموا هذه الآية، ولترغبكم في العلم)^(١). وعن النبي ﷺ: ((بين العالم والعابد مائة درجة، بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة))^(٢)، وعنه ﷺ: ((فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))^(٣)، وعنه ﷺ: ((يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء))^(٤). فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ. وعن الزهري: (العلم ذكر فلا يحبّه إلا الذكورة من الرجال)^(٥).

وروي: أَنَّ الناس أكثروا مناجاة النبي ﷺ حتى أملوه [وأبرموه فأريد أن يكفوا عن ذلك]^(٦) فأمروا بالصدقة قبل المناجاة، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته،

(١) معالم التنزيل ج ٤: ١٣٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج ١: ٣٢.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٧، مسند الشاميين ج ٢: ٢٢٥.

(٤) سنن ابن ماجه ج ٢: ١٤٤٣ ح ٤٣١٣، قرب الإسناد: ٤٤.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ج ١: ٧٠.

(٦) ساقطة من ج، د.

فلم ينجاه إلا علي عليه السلام قدّم ديناراً فتصدق به، ثم نزلت آية الرخصة^(١). وعن علي عليه السلام: ((إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم))^(٢). قال الكلبي: (تصدّق في عشر كلمات سألهن رسول الله ﷺ)^(٣). وعن ابن عمر: (كان لعلي عليه السلام ثلاث لو كانت لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة عليها السلام، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى)^(٤).

﴿ذَلِكَ﴾ التقديم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في دينكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لأنّ الصدقة تطهير. وعن ابن عباس: (هي منسوخة بالآية التي بعدها)^(٥).

﴿أَشْفَقْتُمْ﴾ أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذي يعدكم الشيطان به الفقر والعيلة، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به وشقّ عليكم ﴿وَنَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بتقصيركم وتفريطكم فيه ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ فلا تفرّطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء في الموضعين.

كانوا يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾^(٦) ويناصحونهم.

(١) أسباب النزول: ٢٩٤.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٢: ٤٨٢، تفسير القمي ج ٢: ٣٥٧.

(٣) الكشف ج ٤: ٤٩٤.

(٤) الكشف والبيان ج ٩: ٢٦٢.

(٥) الدر المنثور ج ٦: ١٨٦، وينظر: الناسخ والمنسوخ: ١٧٩.

(٦) المائدة: ٦٠.

﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ يا مسلمون ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ ولا من اليهود كقوله: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(١).

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي: يقولون: والله إنا مسلمون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن المحلوف عليه كذب.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ التي حلفوا بها ﴿جُنَّةً﴾ أي: ستره يدفعون بها عن نفوسهم الظنة إذا ظهرت منهم.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ^ط وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

أي: ﴿فَيَحْلِفُونَ﴾ بالله تعالى في الآخرة بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ﴾ اليوم ﴿لَكَ^ط وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من النفع. وعن الحسن: (في القيامة مواطن: فمواطن يعرفون فيه قبح الكذب ضرورة فيتركونه، ومواطن يكونون فيه

كالمدهوشين فيتكلمون بكلام الصبيان: الكذب وغير الكذب^(١).

﴿أَسْخَوْدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ استولى عليهم، من: حاذ الحمار العانة: إذا جمعها وساقها غالباً عليها، وهو أحد ما جاء على الأصل، ومثله: استصوب واستنوق، أي: ملكهم الشيطان حتى جعلهم رعيته وحزبه ﴿فَأَنسَهُمُ﴾ أن يذكروا ﴿اللَّهُ﴾ أصلاً لا بقلوبهم ولا بالستهم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أي: جنده.

﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في جملة من هو أذل خلق الله.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجج والسيف

أو بأحدهما.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ هو من باب التخييل، خيّل أنّ من الممتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون من خالف الله ورسوله، والغرض به أنّه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقّه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ وزاده تأكيداً بقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وقابل قوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ بقوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ فلا شيء أدخل في الإخلاص من موالة أولياء الله ومعاداة أعداء الله، بل هو الإخلاص بعينه.

ومعنى ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: أثبتة فيها بما وفقهم فيه، وشرح

صدورهم له.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ بلطف من عنده حييت به قلوبهم، وقيل: بروح

من الإيمان لأنّ القلوب تحيا به^(٢).

(١) التبيان ج ٩: ٥٥٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٤٢.

سورة الحشر

مدنية وهي أربع وعشرون آية.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة الحشر) لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا السموات ولا الأرض إلا صلوا عليه واستغفروا له))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ إذا أمسى (الرحمن والحشر) وكل الله بداره ملكاً شاهراً سيفه حتى يصبح))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ① هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنظَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَتَأَفَّلُوا الْآبْصَارَ ② وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
 الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ③ ذَلِكَ

(١) ثواب الأعمال: ١١٧ باختصار، الكشف والبيان ج ٩: ٢٦٦ عن ابن عباس.

(٢) مجمع البيان ج ٩-١٠: ٢٥٦.

يَأْتَهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
 ﴿١﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا
 فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ
 فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ
 رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

نزلت في إجلاء بني النضير من اليهود، فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات
 إلا آل حبي بن أخطب وآل أبي الحقيق فإنهم لحقوا بخير، وذلك أنهم صالحوا
 النبي ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له، ثم نقضوا العهد، وخرج كعب بن الأشرف
 في أربعين راكباً إلى مكة وحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة، فأمر ﷺ محمد بن مسلمة
 الأنصاري^(١) فقتل كعباً ذات ليلة غيلة - وكان أخاه من الرضاعة - ثم صبحهم
 بالكتائب وحاصروهم حتى أعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن دماءهم،
 وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، وجعل لكل ثلاثة منهم بغيراً وسقاً^(٢).

واللام في ﴿الْأَوَّلَ الْخُسْرِ﴾ يتعلق بـ ﴿أَخْرَجَ﴾ وهي اللام في قولك: جئت لوقت
 كذا. والمعنى: أخرج الذين كفروا عند أول الحشر، ومعنى أول الحشر: إن هذا أول
 حشرهم إلى الشام [وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط، وهم أول من أخرج من
 أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام، أو هذا أول حشرهم، وآخر]^(٣) حشرهم
 حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام.

(١) محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري الحارثي، شهد بدرأ والمشاهد كلها، مات بالمدينة سنة ٤٣ هـ،
 وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب ج ٣: ٣٣٤.

(٢) الكشف والبيان ج ٩: ٢٦٦.

(٣) ساقطة من ج.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لشدة بأسهم، ووثاقة حصونهم، وكثرة عددهم وعدتهم.

﴿وَوَظَنُوا﴾ أَنَّ حصونهم تمنعهم من بأس الله.

﴿فَأَنَّهُمْ﴾ أمر الله ﴿مَنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم، وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف، وذلك مما أضعف قلوبهم وسلبها الأمن والطمأنينة.

﴿وَقَذَفَ﴾ فيها ﴿الرَّعَبَ﴾ وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي: يملؤه.

وقرى: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ و﴿يُخَرَّبُونَ﴾ من الإفعال والتفعيل، أي: يهدمون بيوتهم من داخل ويخربون ما يستحسنونه منها حتى لا تكون للمسلمين، ويخربها المسلمون من خارج، ولما عرضوا المسلمين للتخريب وكانوا السبب فيه، فكأنتهم أمروهم بذلك وكلفوهم إياه.

﴿فَأَعْتَبُوا﴾ يا أهل البصائر بما دبر الله سبحانه من أمر إخراجهم، وتسليط المؤمنين عليهم من غير قتال.

﴿وَلَوْلَا﴾ أَنَّهُ ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آلْجَلَاءَ﴾ واقتضته حكمته ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ سواء أجلوا أو قتلوا.

واللينة: النخلة، ويأؤها واو لأنها من اللون، وقيل: هي النخلة الكريمة^(١)، من اللين.

و﴿مَنْ لَيْسَ﴾ بيان لـ ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾، ومحل ﴿مَا﴾ نصب بـ ﴿قَطَعْتُمْ﴾ كأنه

قال: أي شيء قطعتم؟ وأنت الضمير الراجع إلى (ما) في قوله: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ لأنه في معنى اللينة، ﴿فَيَاذِنِ اللَّهُ﴾ [فقطعها بإذن الله] ^(١) وأمره.

﴿وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ وليذل اليهود وليغيظهم في قطعها، وذلك أن رسول الله ﷺ أمر أن يقطع نخلهم ويحرق، فقالوا: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فكان في أنفس المسلمين من ذلك شيء فنزلت ^(٢). يعني: إن الله سبحانه أذن في قطعها ليزيدكم غيظاً إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف شاؤوا وأحبوا. وعن ابن مسعود: (قطعوا منها ما كان موضعاً للقتال) ^(٣).

﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾ أي: جعله فيئاً له خاصة، والإيلاف: من الوجيف وهو السير السريع، والمعنى: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ على تحصيله وتغنيمه خيلاً ولا ركاباً وإنما مشيتم إليه على أرجلكم ولم تحصلوا أموالهم بالقتال والغلبة. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ﴾ رسوله عليهم، وخوله أموالهم كما كان يسלט ﴿رُسُلَهُ﴾ عَلَى أعدائهم، فالأمر فيه إليه يضعه حيث يشاء. والركاب: الإبل التي تحمل القوم، واحداً: راحلة.

مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ
مِنْكُمْ وَمَا إِلَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا

(١) ساقطة من ب.

(٢) أسباب النزول: ٢٩٨.

(٣) الكشف ج ٤: ٥٠١.

مِنْ دِكْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
 مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ
 يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ
 جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
 سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
 رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ من أموال كفار أهل القرى.

﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمركم فيه بما أحب ﴿وَالرَّسُولِ﴾ بتملك الله إياه ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ أهل
 بيت رسول الله ﷺ وقرابته وهم بنو هاشم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾
 منهم، وعن علي بن الحسين عليه السلام: ((هي قراباتنا ومساكيننا وأبناء سبيلنا))^(١).

﴿كَأَن لَّا يَكُونَ دَوْلَةً﴾ قرئ بالنصب والرفع، فالنصب على معنى: كيلا يكون
 الفيء جدًّا بين الأغنياء يتكاثرون به، أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم يستأثر به
 الرؤساء وأهل الدولة والغلبة، وأنشد في ذلك:

لَكَ الْمِزْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالتَّشْيِيطَةُ وَالْفُضُولُ^(٢)

وقيل: الدولة اسم ما يتداول^(٣) كالغرفة اسم ما يغترف، أي: كي لا يكون

(١) مجمع البيان ج ٩-١٠: ٢٦١، الكافي ج ١: ٥٣٩ عن علي عليه السلام.

(٢) البيت لعبد الله بن عمنة الضبي. الأصمعيات: ٣٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٤٦.

الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه، ومنه الحديث: ((اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً))^(١)، أي: غلبة، من غلب منهم سلبه. والرفع على كان التامة، أي: كي لا يقع دولة جاهلية، أو كي لا يكون شيء يتداوله الأغنياء بينهم.

﴿وَمَا أَنتَكُمُ الرَّسُولُ﴾ من قسمة غنيمة أو فيء ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ﴾ عن أخذه منها ﴿فَأَنَّهُمْ﴾ عنه ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أن تخالفوه ﴿مَا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف رسوله.

والأولى أن يكون عاماً في كل ما أمر به رسول الله ﷺ ونهى عنه، ولهذا قسم ﷺ أموال خيبر ومنّ عليهم في رقابهم، وأجل بني النضير وبني قينقاع وأعطاهم شيئاً من المال، وقتل رجال بني قريظة وسبى ذراريهم ونساءهم، وقسم أموالهم على المهاجرين خاصة، ومنّ على أهل مكة فأطلقهم. وعن الصادق ﷺ: ((ما أعطى الله نبياً من الأنبياء إلا وقد أعطى محمداً ﷺ مثله، قال لسليمان ﷺ: ﴿فَاْمُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢) وقال له ﷺ: ﴿ءَأَنتُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ... الآية﴾^(٣).

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ بدل من قوله: ﴿لِذِي الْقُرْبَى﴾، والمعطوف عليه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم وجهادهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ معطوف على ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ وهم الأنصار، ومعناه: ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المدينة، وأخلصوا ﴿الْإِيمَانَ﴾ كقوله:

(١) تفسير القمي ج ١: ٥٢، المستدرک علی الصحیحین ج ٤: ٤٨٠.

(٢) ص: ٣٩.

(٣) بصائر الدرجات: ٣٨٠.

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(١)

أو جعلوا الإيمان مستقراً ومتوطناً لهم لتمكّنهم فيه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك، أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في (الدار) مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه [أو سمى المدينة لأنها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان بالإيمان]^(٢).

﴿مِنْ قَلِيلِهِ﴾ من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والإيمان. ﴿وَلَا يَحِدُّونَ﴾ ولا يعلمون في أنفسهم ﴿حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: طلب محتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره، والمحتاج إليه قد يسمى حاجة. يقال: خذ منه حاجتك، وأعطاه من ماله حاجته، يعني: إن نفوسهم لم تطمح إلى شيء مما أعطوا يحتاج إليه.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: خلة، من خصاص البيت وهي فروجه.

وكان رسول الله ﷺ قسّم أموال بني النضير على المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم: أبو دجانة سمالك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة، وقال للأنصار: إن شئتم قسمتكم للمهاجرين من أموالكم ودياركم [وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم]^(٣) وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزلت^(٤).

(١) ديوان شعر ذي الرمة: ٦٦٤.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) أسباب النزول: ٢٩٩.

والشح: اللؤم، وأن تكون نفس المرء حريصة على المنع، كما قال الشاعر:

يُمَارِسُ نَفْسًا بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَرْزَةً إِذَا هَمَّ بِالْمَعْرُوفِ قَالَتْ لَهُ مَهْلًا^(١)

وقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه، والمعنى: ومن غلب ما أمرته به نفسه وخالف هواها بتوفيق الله وعونه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّافِرُونَ﴾ بما أرادوا.

وقيل: ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿يُحْيُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ لأنه عليه السلام لم يقسم لهم في بني النضير إلا للثلاثة^(٢).

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ وهم الذين هاجروا من بعد، وقيل: التابعون بإحسان^(٣).

﴿غَلًّا﴾ أي: حقدًا وعداوة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ

(١) أساس البلاغة ج ٢: ٣٠٦ دون نسبة.

(٢) إعراب القرآن ج ٤: ٣٩٦.

(٣) عن مقاتل. تفسير الماوردي ج ٥: ٥٠٧.

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
 كَشَلِّ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا أَوْبَالٍ أَمْرِهِمْ لَمْ يَعْلَمِ ﴿١٥﴾
 كَشَلِّ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا
 أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

ثم ذكر سبحانه أن المنافقين ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر، وهم يهود بني النضير، كانوا يوالونهم في السر ﴿وَلَا يُطِيعُ﴾ في قتالكم ﴿أَحَدًا﴾ يعنون محمدًا ﷺ وأصحابه. وفي هذا دلالة على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب، وعلى أنه سبحانه كما يعلم ما يكون، فإنه يعلم ما لا يكون أن لو كان كيف يكون. والتقدير: ولئن نصرهم المنافقون على الفرض والتقدير لينهزم المنافقون ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعد ذلك، أي: يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم. ﴿رَهْبَةً﴾ مصدر رهب المبني للمفعول، كآته قال: أشد مرهوبة.

وفي قوله: ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ دلالة على نفاقهم، والمعنى: إنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله.

﴿لَا يَقْقَهُوهُ﴾ أي: لا يعلمون الله حتى يخشوه حق خشيته.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لا يقدرون على مقاتلتكم.

﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين يعني: اليهود والمنافقين ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿فِي قُرَىٰ مُحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق والدروب ﴿أَوْ مِن رَّوَّاءِ جُدُرٍ﴾ دون أن يصحروا لكم وبيارزوكم، لأن الله عز اسمه قذف الرعب في قلوبهم، وقرئ: جدار.

﴿بِأَسْمِهِم بِئْتَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: قوتهم وشوكتهم فيما بينهم شديدة، فإذا

لا فوكم جنبوا ولم يبق لهم بأس وشدة، لأنّ الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله.
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ذوي ألفة واتحاد في الظاهر ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة مختلفة لا ألفة بينها.

﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الرشد.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثلهم كمثل الذين قتلوا بيد.

﴿قَرِيبًا﴾ في زمان قريب، وذلك قبل إجلاء بني النضير بستة أشهر، وانتصب
﴿قَرِيبًا﴾ بـ (مثل) على معنى: كوجود مثل أهل بدر قريباً، وعن ابن عباس: (إنّ
الذين من قبلهم بنو قينقاع)^(١)، وذلك أنّهم نقضوا العهد، فرجع رسول الله ﷺ
من بدر فأمرهم ﷺ أن يخرجوا، فقال عبد الله بن أبي: لا تخرجوا فإنّي أدخل معكم
الحصن فكان هؤلاء في ترك نصرتهم كأولئك ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء عاقبة
كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إيّاهم النصر ثمّ
إخلافهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ إذا استغوى الإنسان بكيدِهِ ثمّ تبرأ منه في العاقبة،
كما استغوى قريشاً يوم بدر بقوله لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ
لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾^(٢).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ

(١) تفسير الطبري ج ٢٨: ٣٢.

(٢) الأنفال: ٤٨.

النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ
 أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ
 اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
 الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
 السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ
 الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

نكر سبحانه النفس لاستقلال الأنفس الناطقة فيما تقدمه للأخرة، فكانته
 قال: ﴿وَلَتَنْظُرَنَّهُمْ﴾ واحدة في ذلك.

ونكر الغد لتعظيم أمره، أي: لغد لا يعرف كنهه لعظمه، والمراد بالغد يوم
 القيامة، وعن الحسن: (لم يزل يقربه حتى جعله كالغد)^(١). ونحوه في تقريب الزمان
 الماضي قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأَمْسِ﴾^(٢).

وكرر قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ لأن الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل،
 والثاني في ترك المحببات لأنه مقرون بالوعيد.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان، حتى لم
 يسعوا لها بما ينفعهم عنده، أو فأراهم من أهوال يوم القيامة ما نسوا فيه أنفسهم،

(١) الكشف ٤: ٥٠٨.

(٢) يونس: ٢٤.

كقوله: ﴿لَا يَزِيدُ فِيهِمْ طَرَفُهَا﴾^(١).

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وإيثارهم الدنيا على الآخرة كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار، والبون بين أصحابها [وأن الفوز مع أصحاب الجنة]^(٢)، فمن حقهم أن ينبهوا على ذلك، كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك، تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبه به بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البر والتعطف.

التصدع: التفرق بعد التلاؤم، وهذا تمثيل وتخيل كما مر في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾^(٣)، يدل عليه قوله: ﴿وَقِلَافَ الْأَمْتَلِ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ﴾، والغرض: توبيخ الإنسان على قلة تدبره للقرآن، [وتعقله لزواجه ومواعظه]^(٤).

﴿عَلِمُوا الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عالم المعلوم والموجود، وقيل: ما غاب عن الخلق وما شاهده^(٥)، أو السرّ والعلانية^(٦)، وعن الباقر عليه السلام: ((ما لم يكن وما كان))^(٧).

﴿الْفُؤُوسُ﴾ المنزهة عن القبائح، الطاهر من كل عيب ونقص، ونظيره: السبوح.

﴿السَّلَامُ﴾ بمعنى السلامة، وصف سبحانه به مبالغة في وصف كونه سليماً

(١) إبراهيم: ٤٣.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) في ب: وتعلقه لزواجه وقوارعه.

(٥) الكشف والبيان ج ٩: ٢٨٦.

(٦) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٦: ٢٠٢.

(٧) معاني الأخبار: ١٤٤ عن الصادق عليه السلام.

من النقائص، أو في إعطائه السلامة.

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ واهب الأمن.

﴿الْمُهَيِّمُ﴾ الرقيب على كل شيء والحافظ له، وقيل: الأمين الذي لا يضيع لأحد عنده حق^(١)، مفيعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء.

﴿الْجَبَّارُ﴾ القهار الذي جبر خلقه على ما أراد، وقيل: العظيم الشأن في الملك والسلطان^(٢)، ولا يطلق هذا الوصف على غيره إلا على وجه الذم.

﴿الْمَتَكَبِّرُ﴾ البليغ الكبرياء والعظمة.

﴿الْخَلِيقُ﴾ المقدر لما يوجده.

﴿الْبَارِئُ﴾ المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة.

﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الممثل.

وسئل النبي ﷺ عن اسم الله الأعظم، فقال: ((عليك بآخر الحشر))^(٣).

(١) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ٢٨: ٣٦.

(٢) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج ٤: ١٤٩.

(٣) الكشف والبيان ج ٩: ٢٨٩.

سورة الممتحنة

مدنية، وهي ثلاث عشرة آية.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة الممتحنة) كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة))^(١)، وعن علي بن الحسين عليهما السلام: ((من قرأ (سورة الممتحنة) في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه للإيمان ونور له بصره، ولا يصيبه فقر أبداً، ولا جنون في بدنه ولا في ولده))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي
تُيَسِّرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ (١) إِنْ يَشْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ
وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ (٢)
لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٢٩٠.

(٢) نواب الأفعال: ١١٨.

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
كُفْرًا بِكُمْ وَبَيْنَا وَبَيْنَكُمْ أَلْعَادُ وَالْبَعْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَحَدَّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن
شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أنَّ سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي
بن هاشم أتت رسول الله ﷺ وهو يتجهز للفتح فقال لها: أسلمتة جئت؟ قالت:
لا، [قال: أفمهاجرة جئت؟ قالت: لا] ^(١)، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأهل
والموالي والعشيرة، وقد ذهبت الموالي، تعني قتلوا يوم بدر، واحتجت حاجة شديدة،
فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها، فأتاها حاطب
وأعطها عشرة دنانير وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، نسخته: من حاطب بن أبي
بلتعة إلى أهل مكة، اعلموا أنَّ رسول الله يريدكم، فخذوا حذرکم، فخرجت سارة،
ونزل جبرائيل بالخبر، فبعث رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام وعمراً وعمر وطلحة والزبير
والمقداد وأبا مرثد - وكانوا كلهم فرساناً - وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فإنَّ بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، فخرجوا حتى
أدركوها في ذلك المكان فجحدت وحلفت، فهتموا بالرجوع، فقال علي عليه السلام: والله ما
كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال: أخرجني الكتاب وإلا والله لأضربنَّ
عنقك، فأخرجته من عقاص شعرها.

وروي: أنَّ حاطباً قال: يا رسول الله، والله ما كفرت منذ أسلمت، ولكني

كنت عزيزاً في قريش أي: غريباً ولم أكن من أنفسها، وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم وأموالهم، [فخشيت على أهلي]^(١) فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فعذره^(٢).

العدو وقع موقع الجمع.

﴿تَلْقُوتٌ﴾ حال من الضمير في ﴿لَا تَنْخِذُوا﴾، أو صفة لـ ﴿أُولَآئِكَ﴾، أو استئناف.

والإلقاء: عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم، والباء في ﴿بِالْمُودَةِ﴾ إما مزيدة مؤكدة للتعدي، مثلها في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣)، وإما ثابتة على أن مفعول ﴿تَلْقُوتٌ﴾ محذوف، ومعناه: تلقون إليهم أخبار الرسول بسبب المودة التي بينكم وبينهم. وكذلك قوله: ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ أي: تفضون إليهم بمودتكم سراً، أو تسرون إليهم أسرار رسول الله ﷺ بسبب المودة. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ حال من ﴿تَلْقُوتٌ﴾، أي: توادونهم أو تولونهم وهذه حالهم ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ هو كالتفسير لكفرهم، أو حال من ﴿كَفَرُوا﴾، و﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ تعليل لـ ﴿يُخْرِجُونَ﴾ أي: يخرجونكم لإيمانكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه، وهو متعلق بـ ﴿لَا تَنْخِذُوا﴾. والمعنى: إن كنتم أوليائي فلا تتولوا أعدائي.

﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ استئناف والمعنى: أي فائدة في إسراركم وقد علمتم

(١) ساقطة من ب، د.

(٢) أسباب النزول: ٣٠١.

(٣) البقرة: ١٩٥.

أَنْ الإخفاء والإعلان سيان في علمي، وأنا أطلع رسولي على ما تسرونه؟.

﴿وَمَنْ﴾ يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحقّ وحاد عن القصد.

﴿إِنْ يَشْفِقُوكُمْ﴾ أي: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ﴾ خالصي العداوة ﴿وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ يَأْسُوءُ﴾ بالقتال والشتم، وتمنوا لو ترتدون عن دينكم.

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ﴾ أي: قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذين توالون الكفار بسببهم، وتتقربون إليهم من أجلهم، ثم قال: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين أقاربكم وأولادكم، فما لكم عصيتم الله لأجلهم؟!

وقرئ: ﴿يَفْصِلُ﴾ ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عزّ وجل، أي: يميز بعضهم من بعض في ذلك اليوم، فلا يرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار، وقيل: معناه: يقضي بينكم من فصل القضاء.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ أي: قدوة ﴿حَسَنَةٌ﴾ ومذهب حسن يؤتسى ويتبع أثره ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وقومه، وهو قولهم لكفار قومهم حيث كاشفوههم بالعداوة: ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ، أَوْ مِنْ عِبَادَتِكُمْ، أَي: لا نعتد بشأنكم ولا بشأن ألهتكم، وما أنتم عندنا على شيء، والسبب في عداوتنا إيتاكم كفركم بالله. ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: جحدنا دينكم، والعداوة قائمة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ حتى تصدقوا بوحداية الله.

﴿وَلَا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ استثناء من قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، لأنّ المراد بالأسوة الحسنة قولهم الذي يجب أن يؤتسى به ويتخذ سنة، أي: فلا تقتدوا بإبراهيم عليه السلام في

قوله لأبيه: ﴿لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، فإنما ذلك لـ ﴿مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾^(١) بالإيمان ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ﴾ تابع لوعده بالاستغفار، كأنه قال: أنا أستغفر لك وما في وسعي وطاقتي إلا الاستغفار.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ يجوز أن يتصل بما قبل الاستثناء فيكون من قول إبراهيم وقومه، ويجوز أن يكون تعليلاً من الله سبحانه لعباده أن يفوضوا أمورهم إليه بأن يقولوه، فيكون المعنى: قولوا ربنا.

لَفَذَكَانَ لَكُرْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ
عَادَيْتُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ
الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَرْوَاهُمْ وَتَنَصِّطُوا
إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ
فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ۚ إِنَّهُنَّ عَلِيمَتُهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُهُمْ مَا
أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانِسْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا
بِعَصْمِ الْكُفَّارِ وَسَتَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَتِلَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَخَكِّمُ
بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

(١) التوبة: ١١٤.

(٢) التوبة: ١١٤.

كرر سبحانه الحث على الاقتداء بإبراهيم عليه السلام وقومه تأكيداً عليهم، ولذلك جاء به مصدراً بالقسم.

﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَكُمْ﴾ وذلك نوع من التأكيد، وكذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: ومن أعرض عن الالتساء بإبراهيم فإن الله هو الغني عن جميع خلقه لا يضره ذلك، وإنما ضرّوا به أنفسهم. ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأقربائهم من المشركين، فلما رأى الله سبحانه منهم الجد والصبر على الوجه الشديد، رحمهم ووعدهم تيسير ما تمتموه من إسلام أقاربهم، وحصول التصافي والتواد بينهم.

و﴿عَسَى﴾ وعد من الله على عادات الملوك، حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل، فلا يبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك، أو قصد به إطماع المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على قلبيل القلوب وتسهيل الأمور.

﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ لَمْ يَفْقَهُوا﴾، وكذلك ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ قَتَلْتُمْ﴾. والمعنى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ﴾ عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء. وهذا أيضاً رحمة لهم لتشددهم وجدّهم في العداوة، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بالقتال والإخراج من الديار، وهم خزاعة، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه، وعن مجاهد: (هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا)^(١).

﴿وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: وتعادلوا فيما بينكم وبينهم، وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم. أوصى سبحانه باستعمال القسط مع المشركين والتحامي عن ظلمهم، فما ظنك بحال من اجترأ على ظلم أخيه المسلم؟!.

﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ سَمَّاهُنَّ مَوْنَاتٍ لَتَصْدِيقَهُنَّ بِأَلْسِنَتِهِنَّ وَنَطَقَهُنَّ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ.

﴿فَأَمَّا جَنُوهُنَّ﴾ فاختبروهن بالحلف والنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن. وكان رسول الله ﷺ يقول للممتحنة: ((بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج، بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، بالله ما خرجت التماس دنيا، بالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله))^(١).

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَ﴾ منكم لأنكم لا تكسبون فيه علماً تطمئن معه نفوسكم وإن استحلقتموهن ورزتم أحوالهن، وعند الله حقيقة العلم به.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ العلم الذي يبلغه وسعكم، وهو غالب الظن بظهور الأمارات ﴿فَلَا﴾ تردوهن ﴿إِلَى﴾ أزواجهن ﴿الْكَفَّارِ﴾ لَأَنَّهُ لَا حِلَّ بَيْنَ الْمُشْرِكِ وَالْمُؤْمِنَةِ.

﴿وَمَا أَتَوْهُنَّ﴾ وَأَعْطَوْا أَزْوَاجَهُنَّ ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ أي: ما دفعوا إليهن من المهر. ثم نفى عنهم الجناح في تزويج هؤلاء المهاجرات إذا أتوهن أجورهن أي: مهورهن، لأن المهر أجر البضع.

﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد. العصمة: ما يعتصم به من عقد أو سبب، أي: لا يكن بينكم وبين الكافرات عصمة، ولا علاقة زوجية، سواء كن حريات أو ذميات.

﴿وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار، ﴿وَلَسَلُّوا مَا أَنْفَقُوا﴾ من مهور نسائهم المهاجرات.

﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾ يعني جميع ما ذكر في هذه الآية.

﴿حُكْمُ بَيْنَكُمْ﴾ كلام مستأنف، أو حال من ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ على حذف الضمير،

أي: يحكمه الله، أو جعل الحكم حاكماً، على المبالغة.

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاؤُوا الَّذِينَ
 ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ بِثَلَاثَةِ أَغْفُورٍ وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
 يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ
 شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ
 يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ
 فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَنُولُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا
 يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

لما نزلت الآية المتقدمة أدى المؤمنون ما أمروا به من نفقات المشركين على
 نسائهم، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهر الكوافر إلى أزواجهن المسلمين،
 فنزلت^(١).

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾ أي: وإن سبقكم وانفلت ﴿شَيْءٌ﴾ منكم ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أحد
 منهن ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾، وفي قراءة ابن مسعود: أحد.

﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ من العقبة وهي النوبة، شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين
 من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى،
 بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره. ومعناه: فجاءت عقبتكم من أداء
 المهر.

﴿فَاتُوا﴾ فأعطوا من فاته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة، ولا تعطوه زوجها الكافر، وعن الزهري: (يعطى من صداق من لحق بهم)^(١)، وقال الزجاج: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنتم^(٢). والذي ذهب زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر، وقرئ في الشواذ: فأعقبتم أي: دخلتم في العقبة، فعقبتم بالتشديد من: عقبه إذا قفاه، لأن كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه، فعقبتم من: عقبه يعقبه. وقال الزجاج في تفسير جميعها: (فكانت العقبي لكم، أي: كانت الغلبة لكم حتى غنتم)^(٣). وقيل: إن جميع من لحق بالمشركون من نساء المهاجرين ست نسوة، وأعطاهم رسول الله ﷺ مهرهن من الغنيمة^(٤).
﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ يريد: وأد البنات أو الإسقاط.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِنْتَيْنِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِمَا﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. كنى بالبهتان المفتري بين يديها ورجليها عن المولود الذي تلصقه بزوجها كذباً، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تلده به بين الرجلين.

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فيما تأمرهن به من المحسنات، وتنهاهن عنه من المقتحات، وكل ما دلّ العقل أو الشرع على وجوبه أو نديه فهو معروف. وروي في كيفية المبايعة: أنه عليه السلام دعا بقدرح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن

(١) الدر المنثور ج ٦: ٢٠٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٦٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٦٠.

(٤) الكشف والبيان ج ٩: ٦٩٢.

فيه^(١)، وقيل: كان يبايعهن من وراء الثوب^(٢).

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، كان قوم من فقراء المسلمين يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنهوا عن ذلك.

﴿قَدْ يَسُوا﴾ من أن يكون لهم حظ في ﴿الْآخِرَةِ﴾ لتكذيبهم برسول الله عناداً وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة ﴿كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ﴾ من موتاهم أن يبعثوا.

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٢٩٨، الكافي ج ٥: ٥٢٧.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ٦: ٩.

سورة الصف

مدنية، وهي أربع عشرة آية.

في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة عيسى) كان عيسى عليه السلام مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا، وهو يوم القيامة رفيقه))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة الصف) وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفّه الله تعالى مع ملائكته وأنبيائه المرسلين))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقِنُّوهُمْ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُوصٌ ④ وَإِذْ
قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٣٠١.

(٢) نواب الأعمال: ١١٨.

إِنَّكُمْ مُصَدِّقَاتُ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرَاتُ بِمَا فِي بَيْدِي أَسْمُهُ
أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ
﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

عن ابن عباس: (كان ناس من المؤمنين يقولون قبل أن يؤمروا بالقتال: لو
نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه، فدلهم الله سبحانه على الجهاد في سبيله،
فولوا يوم أحد فغيرهم) ^(١). وقيل: نزلت في قوم قالوا: أبلينا وفعلنا ولم يفعلوا وهم
كذبة فكذبهم ^(٢).

وقصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظه، وأسند إلى ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾،
ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على التفسير دلالة على أَنَّ قولهم ما لا يفعلون مقت خالص
لا شوب فيه، والمقت: أشدَّ البغض. ولم يقتصر سبحانه على أن جعل البغض
كبيراً حتى جعله أشده وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك لأنَّه إذا كبر مقتَه عند الله
فقد تناهى كبره وشدته. وذكر أنَّه قيل لبعض السلف: حدِّثنا، فسكت ثم قال:
تأمروني أن أقول ما لا أفعل، فاستعجل مقت الله ^(٣).

وفي قوله سبحانه: ﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ دليل على أَنَّ المقت
تعلّق بقول الذين وعدوا الثبات في القتال فلم يفوا.

(١) تفسير الطبري ج ٢٨: ٥٥.

(٢) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج ٦: ٢١٣.

(٣) الكشف ج ٤: ٥٢٣.

﴿صَفًّا﴾ صافين أنفسهم، أو مصفوفين كأنهم في تراصهم من غير فرجة ﴿بُنِينَ﴾ رص بعضه إلى بعض ورفض، وقيل: إنه يدل على فضل القتال راجلاً، لأن الرجال يصطفون على هذه الصفة^(١). وقوله: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنِينَ مَرَّضُونَ﴾ حالان متداخلتان.

﴿وَإِذْ قَالَ﴾ ظرف لأذكر.

﴿تُؤْذُونِي﴾ آذوه بأنواع الأذى، من قولهم: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾^(٢)، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾^(٣)، وطلبهم رؤية الله جهرة^(٤)، وعبادتهم العجل^(٥)، وغير ذلك. ﴿وَقَدْ تَعْمَلُونَ﴾ في موضع الحال، أي: تؤذونني عالين ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ وقضية علمكم بنبوتي ورسالتي تعظيمي وتوقيري لا إيذائي.

﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عن الحق ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأن منعهم الطافه.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ لا يُلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف، أو لا يهديهم إلى الجنة التي وعدوها المؤمنين.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أي: أرسلت إليكم في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة، وفي حال تبشيري ﴿بِرَسُولِي﴾ ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ وقرئ بسكون الياء وفتحها، وسيبويه والخليل يختاران الفتح^(٦). وعن كعب: (إنَّ الحواريين قالوا لعيسى:

(١) عن أبي بحرية. تفسير الطبري ج ٢٨: ٥٧.

(٢) المائدة: ٢٤.

(٣) الأعراف: ١٣٨.

(٤) كما أخبر عز وجل عنهم بقوله: ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ النساء: ١٥٣.

(٥) كما أخبر عز وجل عنهم بقوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ النساء: ١٥٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ٧٦١.

يا روح الله، هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة أحمد، حكماء علماء أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل^(١). وقرئ: هذا ساحر.

وأي الناس أشدّ ظلماً ممن يدعو ربه على لسان نبّيه إلى الإسلام الذي فيه السعادة الأبدية فيجعل مكان إجابته إليه افتراء على الله الكذب بقوله لكلامه: ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾؟!.

﴿يُطْفِئُوا﴾ هذه اللام تزداد مع فعل الإرادة تأكيداً له، والأصل: يريدون أن يطفئوا، كما في سورة التوبة^(٢)، وإطفاء ﴿تُورَ اللَّهُ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾ فأشبهت حالهم حال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه.

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ قرئ مضافاً، وبالتنوين ونصب نوره، أي: يتم الله الحقّ ويبلغه غايته.

و﴿وَدِينُ الْحَقِّ﴾ الملة الحنيفة.

﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: ليغلبه على جميع الأديان المخالفة له. وعن علي عليه السلام: ((والذي نفسي بيده لا تبقى قرية إلا وينادي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة وعشيّاً))^(٣).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَحَرُّفٍ تُجِيبُونَ عَذَابَ آلِ إِمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُحِبُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

(١) الكشف ج ٤: ٥٢٥.

(٢) الآية: ٣٢.

(٣) مجمع البيان ج ٩-١٠: ٢٨٠ عن العياشي.

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ يَقَعِرْ لَكُمْ دُؤُوبُكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ
مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ
اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَنَامَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾

﴿تُجِزْكُمْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف.

﴿تُؤْمِنُونَ﴾ استئناف، كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقل لهم: تؤمنون، وهو
خبر في معنى الأمر، ولهذا أجيب بقوله: ﴿يَقَعِرْ لَكُمْ﴾، وفي قراءة عبد الله: آمنوا بالله
ورسوله وجاهدوا، وإنها جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، فكأنه
امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين، ومثله قولهم: غفر الله لك ويرحمك
الله.

﴿ذَلِكَ﴾ الإيمان والجهاد ﴿حِزْ لَكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم، والمعنى: ﴿لأن
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنه خير لكم كان خيراً لكم حينئذ، لأنكم إذا علمتم ذلك أحببتم الإيمان
والجهاد فوق ما تحبّون من أنفسكم وأموالكم فتفوزون.

﴿وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا﴾ أي: ولكم مع هذه النعمة المذكورة الآجلة من المغفرة
والثواب والنعيم في الجنة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم، ثم فسرها بقوله:
﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وهو فتح مكة، وقيل: فتح فارس والروم وسائر فتوح
الإسلام على العموم^(١). وفي قوله: ﴿يُحِبُّونَهَا﴾ ذرو من التوبيخ على محبة العاجل.

﴿وَيَبْتَغِرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ لآته في معنى الأمر، فكأنه قال: آمنوا وجاهدوا يثبتكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك.
وقرئ: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ وأنصاراً لله، والمعنى: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى عليه السلام حين قال لهم: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من أنصاري متوجهين إلى نصرته الله؟ ومعناه: من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرته الله؟.

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: نحن الذين ينصرون الله. وإضافة ﴿أَنْصَارِي﴾ خلاف إضافة ﴿أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، ولا يصح أن يكون معناه: من ينصرني مع الله؛ لآته لا يطابق الجواب.

﴿فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ﴾ منهم بعيسى ﴿وَكَفَرَتْ﴾ به ﴿طَائِفَةٌ فَأَيْدَنَا﴾ مؤمنهم ﴿عَلَى﴾ كفارهم فظهروا عليهم أي: غلبوا، وقيل: معناه: فأمنت طائفة منهم بمحمد وكفرت به طائفة، فأصبح المؤمنون غالبين بالحجة والقهر^(١).

(١) عن إبراهيم. تفسير الطبري ج ٢٨: ٦١.

سورة الجمعة

مدنية، وهي إحدى عشرة آية.

في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة الجمعة) أُعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من الواجب على كل مؤمن أن يقرأ في ليلة الجمعة بـ(الجمعة) وسبح اسم ربك الأعلى) وفي صلاة الظهر بـ(الجمعة والمنافقين)، فإذا فعل ذلك فكأنما يعمل بعمل رسول الله ﷺ، وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنة))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ، وَبُزَّكَيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ② وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ④ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٣٠٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٨.

الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَشْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِ
 اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

في قوله: ﴿سَبَّحَ﴾^(١) تارة، و﴿يُسَبِّحُ﴾ أخرى إشارة إلى دوام تنزيهه عزَّ
 اسمه في الماضي والمستقبل.

والأميون هم العرب، لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم،
 وقيل: (بدأت الكتابة بالطائف، أخذوها من أهل الحيرة [وأهل الحيرة من أهل
 الأنبار]^(٢)^(٣)). والمعنى: إنه بعث في قوم أميين رجلاً أمياً ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من
 أنفسهم، يعلمون نسبه وأحواله.

﴿يَسْأَلُوا﴾ يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ عَيْنُهُ﴾ مع كونه أمياً مثلهم، لم يعهد منه قراءة ولم
 يعرف بتعلم، وقراءة أمي أخبار القرون الماضية بغير تعلّم على وفق ما في الكتب
 آية معجزة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهرهم من الشرك وأدناس الجاهلية.
 ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والشرائع.

﴿وَلَإِنْ كَانُوا﴾ هي (إن) المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، أي: كانوا في
 ﴿ضَلَالٍ﴾ لا ضلال أعظم منه.

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ عطف على ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ [أي: بعثه في الأميين]^(٤) الذين

(١) الحشر: ١.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٦٩.

(٤) ساقطة من ب.

على عهده ﷺ، وفي آخرين لم ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بعد وسيلحقون بهم. وروي: أنه لما قرأ هذه الآية قيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان فقال: ((لو كان الإيمان في الثريا لناله رجال من هؤلاء))^(١). وقيل: هم الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة^(٢). ويجوز أن يكون نصباً عطفاً على الضمير في ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ أي: ويعلمهم ويعلم آخرين، لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان وكان كله مستنداً إلى أوله فكانه ﷺ تولى كل ما وجد منه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في تمكينه رجلاً أمياً من هذا الأمر العظيم، واختياره إياه من بين سائر الخلق.

﴿ذَلِكَ﴾ الفضل الذي أعطاه محمد ﷺ وهو النبوة لكافة الخلق الأولين والآخرين إلى يوم القيامة هو ﴿فَضَّلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ إعطاءه وتقتضيه حكمته ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على خلقه ببعثه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ وهم اليهود الذين قرؤوها وحفظوها. ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ بكونهم غير عاملين بها، ولا منتفعين بآياتها، لأن فيها صفة نبينا ونعته والبشارة به ولم يؤمنوا به.

﴿كَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ أي: كتباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب، وكذا كل من علم علماً ولم يعمل بموجبه فهذا مثله.

﴿وَبَشِّرِ﴾ المثل أو بش مثلاً ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ وهم اليهود الذين كذبوا بالتوراة، أو بالقرآن، أو بآيات الله الدالة على نبوة محمد ﷺ.

(١) صحيح مسلم ج ٧: ١٩١.

(٢) عن ابن زيد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٨: ٦٣.

ومعنى قوله: ﴿حُمِّلُوا النَّوْرَةَ﴾: كلفوا علمها والعمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ثم لم يعملوها بها، فكأنهم لم يحملوها. وقوله: ﴿يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ في محل نصب على الحال، أو جرّ على الوصف للحمار، لأنّه مثل اللّثيم في قول الشاعر:

وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّثِيمِ يَسْبِي^(١)

قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ
النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَتَّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَسْمُنُوهُ أَبَدًا
بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ
الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا
قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ
لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ
التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

﴿هَادُوا﴾ تهودوا وسموا يهوداً، وكانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ﴾^(٢) يعني: إن كان قولكم حقاً ﴿فَتَمْنُوا الْوَتَّ﴾ وأن ينقلكم الله إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه.

ثم قال: ﴿وَلَا يَسْمُنُوهُ أَبَدًا﴾ بسبب ما قدّموه من الكفر، وقد قال لهم

(١) البيت لرجل من بني سلول. الكتاب ج ٣: ٢٤، وبقية: فمضيت ثم قلت لا يعنيني.

(٢) المائدة: ١٨.

النبي ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منهم إلا غصّ بريقه))^(١). فلو لا أنهم عرفوا صدق النبي ﷺ وأتهم لو تمتوا لما اتوا من ساعتهم لتمنّوا، ولم يتمّناه أحد منهم، فكان هذا أحد معجزاته ﷺ.

﴿قُلْ إِنَّ أَلَمَوْتَ الَّذِي لَا تَجْرُونَ أَنْ تَمْنَوْهُ﴾ **﴿إِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾**
لا تفوتونه، والفاء لتضمّن الذي معنى الشرط، يعني: إن رمتم الفرار منه فإنّه ملاقيكم **﴿ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَى﴾** الله سبحانه فيجازيكم **﴿بِمَا﴾** تستحقّونه.

والجمعة كان يقال لها العروبة، وقيل: إنّ أول من سمّاها جمعة كعب بن لؤي^(٢)، وقيل: إنّ الأنصار قالوا: إنّ لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، فهلّمّوا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عزّ وجل ونصلي، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة^(٣) فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم، فسمّوه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، فأنزل الله تعالى آية الجمعة، فهي أول جمعة كانت في الإسلام^(٤). فأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه فهي أنّه لما قدم المدينة نزل قباء على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل وأسس مسجدهم، وأقام بها إلى يوم الجمعة، ثم خرج عامداً إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم - قد اتخذ اليوم هناك مسجد - فخطب وصلى

(١) دلائل النبوة ج ٦: ٢٧٤.

(٢) الأوائل: ٣٤.

(٣) أسعد بن زرارة بن عدس الانصاري الخزرجي النجاري، قديم الإسلام، شهد العقبتين وكان نقيباً على قبيلته، مات في حياة النبي ﷺ قبل بدر. ينظر: الإصابة ج ١: ٣٤.

(٤) مصنف عبد الرزاق ج ٣: ١٥٩.

الجمعة^(١).

﴿إِذَا تَوَدَّى﴾ معناه: إذا أذن لصلاة الجمعة. ﴿فَاسْعَوْا﴾ أي: فامضوا إلى الصلاة مسرعين [غير متثاقلين]^(٢)، وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس: فامضوا، وروي ذلك عن أئمة الهدى عليهم السلام، وعن الحسن: (ليس السعي على الأقدام ولكنه على النيات والقلوب)^(٣). وفي الحديث: ((إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد، بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب، يكتبون الأول فالأول على مراتبهم))^(٤).

وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرّج، وقيل: أوّل بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة، وعن ابن مسعود: أنّه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه، فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول: (أراك رابع أربعة، وما رابع أربعة بسعيد)^(٥).

﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلى الخطبة التي تتضمن ذكر الله.

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ وتجارة الدنيا وبادروا إلى تجارة الآخرة. والظاهر يقتضي أنّ البيع [في وقت النداء فاسد؛ لأنّ النهي يدلّ على فساد المنهي عنه، وكذا جميع التصرفات، وإنّما خصّ البيع]^(٦) بالنهي عنه لكونه من أعمّ التصرفات في أسباب

(١) سيرة ابن هشام ج ٢: ١٥٩.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) الدر المنثور ج ٦: ٢١٩.

(٤) صحيح البخاري ج ١: ١٦٥ بالمعنى، الكافي ج ٣: ٤١٣ باختلاف يسير.

(٥) سنن ابن ماجه ج ١: ٣٤٨ ح ١٠٩٤ وفيه: ببعيد بدل بسعيد.

(٦) ساقطة من ج.

المعاش.

وفرض الجمعة يلزم جميع المكلفين إلا أصحاب الأعذار من السفر والمرض والعمى، والنساء، والشيوخ الذين لا حراك بهم، والعبيد، ومن كان على رأس أكثر من فرسخين. وعند حصول الشروط لا تجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه للصلاة. ولا تنعقد إلا بثلاثة سوى الإمام عند أبي حنيفة^(١)، وبأربعين عند الشافعي^(٢)، وبسبعة عند أهل البيت^(٣).

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا إطلاق بعد الحظر في الانتشار وابتغاء الرزق مع الوصية بإكثار ذكر الله، وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه؛ لأنّ الفلاح منوط به، وعن ابن عباس: (لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا، إنّما هو عيادة المرضى، وحضور الجنائز، وزيارة أخ في الله)^(٤). وعن الحسن وسعيد: (طلب العلم)^(٥). وعن الصادق^(٦): ((الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت))^(٧).

وعن جابر بن عبد الله: (أقبل عير ونحن نصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة، فانفضّ الناس إليها، فما بقي غير اثني عشر رجلاً أنا منهم)^(٨). وعن الحسن: (قدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة من زيت الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة،

(١) المبسوط للرخسي ج ٢: ٢٤٠.

(٢) كتاب الأم ج ١: ١٦٩.

(٣) تهذيب الأحكام ج ٣: ٢٠.

(٤) الدر المنثور ج ٦: ٢٢٠.

(٥) معالم التنزيل ج ٤: ١٥٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه ج ١: ٤٢٤، الكشف والبيان ج ٩: ٣١٧.

(٧) أسباب النزول: ٣٠٦.

فقاموا إليه بالبقيع خشية أن يسبقوا إليه، فلم يبق عند النبي ﷺ إلا رهط، فنزلت الآية، فقال ﷺ: ((والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً))^(١). وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق، وهو المراد باللهو، وعن قتادة: (فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير، كل ذلك يوافق يوم الجمعة)^(٢).

والتقدير: ﴿وَإِذَا رَأَوْا مَحْجَرَةً﴾ انفضوا إليها ﴿أَوْهَوْا﴾ انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وعن الصادق ﷺ: انصرفوا إليها.
﴿وَتَرَكُوكَ فَايَمًا﴾ تخطب على المنبر ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب على سماع الخطبة والثبات والصلاة مع النبي ﷺ ﴿خَيْرٌ﴾ وأحمد عاقبة.

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٣١٧.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٨: ٦٧.

سورة المنافقون

مدنية، وهي إحدى عشرة آية.

وفي حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة المنافقين) برئ من النفاق))^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَلَّاهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ شهادة يوافق فيها السر الإعلان، ويوافق

القلب اللسان.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ على الحقيقة.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ إنيهم ﴿لَكَذِبُونَ﴾ في ادعائهم المواطأة، أو كاذبون في قولهم وشهادتهم؛ لأنها إذا خلت عن المواطأة لم تكن شهادة حقيقة.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا، ويجوز أن يكون قولهم: ﴿تَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ يمينا من أيمانهم الكاذبة، لأن الشهادة تجري مجرى الحلف، وقرأ الحسن: إيمانهم أي: ما أظهروه من الإيمان بالستهم.

﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصددهم الناس ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. وفي ﴿سَاءَ﴾ معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أي: ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالاً بسبب ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والاستئذان بالإيمان، أي: ذلك كله بسبب ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، أي: نطقوا بكلمة الشهادة ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بما اطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن حير! ونحوه: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(١)، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾^(٢)، أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر إذا خلوا بأشباههم ﴿فَطَعَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ففسدوا على كل عزيمة.

وكان عبد الله بن أبي رجلاً جسيماً فصيحاً [صحيحاً ذلق اللسان]^(٣)، وقوم

(١) التوبة: ٦٦.

(٢) التوبة: ٧٤.

(٣) ساقطة من ج.

من المنافقين في مثل صفته، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه، فشبّتهم الله سبحانه في عدم الانتفاع بحضورهم وإن كانت هياكلهم معجبة وألستهم ذلقة، بالخشب المسندة إلى الحائط، أو بالأصنام المنحوتة من الخشب.

والخطاب في ﴿رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ لرسول الله، أو لكل من يخاطب.

وقوله: ﴿كَانَتْهُمْ خُشْبٌ﴾ كلام مستأنف لا محلّ له، أو في محلّ رفع على هم كأنهم خشب، وقرئ: خشب و﴿خُشْبٌ﴾، والتحريك لغة أهل الحجاز واحداً: خشبة، كبدنة وبدن، وثمره وثمر.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ مفعول ثان، أي: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ واقعة عليهم لجبنهم إذا نادى مناد في العسكر، أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعاً بهم، ويوقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويتبدأ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي: الكاملون في العداوة.

﴿فَأَحْذَرُكُمْ﴾ ولا يغرنك ظاهرهم.

﴿فَنُلْهِمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك.

﴿أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق [تعجباً من جهلهم وضلالتهم عن الحق] مع وفور أدلته.

﴿لَوْزَأُ رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك واستكباراً. قرئ بالتخفيف والتشديد للكثير.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(١) أي: يستوي

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) زيادة يقتضيه السياق.

استغفارك لهم [وعدم استغفارك لهم] ^(١) لأنهم لا يعتدون به لكفرهم، أو لأن الله لا يغفر لهم.

هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تِلْكَ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

ازدحم على الماء في غزاة بني المصطلق رجل من المهاجرين ورجل من بني عوف بن الخزرج واقتتلا، فغضب عبد الله بن أبي وقال: والله، ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سَمَنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني: بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله، ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؟ أما والله لو أمسكتهم عنهم فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم ^(٢) - وهو حدث - فقال: أنت والله الذليل القليل المبغض في

(١) ساقطة من ج.

(٢) زيد بن أرقم بن زيد الانصاري الخزرجي، شهد سبع عشرة غزوة مع النبي ﷺ، وشهد صفين مع

قومك، ومحمد في عز من الرحمن ومودة وقوة من المسلمين، فقال عبد الله: اسكت، فإنها كنت ألعب، فأخبر زيد رسول الله ﷺ فأرسل إلى عبد الله وقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيدا لكاذب، وذلك قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَنْبَاءَهُمْ جُنَّةً﴾ وقال الحاضرون: يا رسول الله، شيخنا وكبيرنا، لا تصدق عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم، فعذره ﷺ، وفشت الملامة من الأنصار لزيد، فلما نزلت لحق رسول الله ﷺ زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال: وف أذنك يا غلام إن الله صدقك وكذب المنافقين، فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتوني أن أومن فأمنت، وأمرتوني أن أزكي مالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾، ولم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات^(١).

﴿بَنَفْضُوا﴾ أي: يتفرقوا.

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويبيده الأرزاق فهو يرزقكم منها.

﴿وَلَيْكِنَّ﴾ عبد الله وأمثاله جاهلون ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ أي: الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده. وعن الحسن بن علي عليه السلام: ((إن رجلاً قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً! قال: ليس بتيه ولكنه عزة، وتلا هذه الآية))^(٢).

﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾ والتصرف فيها وابتغاء التلذذ بها.

عليه السلام، توفي بالكوفة سنة ٦٨ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٥٥٦.

(١) أسباب النزول: ٣٠٧.

(٢) الكشف ج ٤: ٥٤٣.

﴿وَلَا أَوْلَدُكُمْ﴾ وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بما يصلحهم
 ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين.
 ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾ في تجارتهم، إذ باعوا الخطير الباقي بالحقير الفاني.
 ﴿مِنْ مَا رَزَقْنَكُمْ﴾ ﴿مِنْ﴾ للتبعض أي: أنفقوا الواجب منه.
 ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمْ أَلْمُوتَ﴾ فيرى دلائله ويتعذر عليه الإنفاق،
 ويتحسر على المنع، ويفقد ما كان متمكناً منه.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ أي: هلا أخرت موتي ﴿إِلَّا أَجَلٌ قَرِيبٌ﴾ إلى زمان
 قليل ﴿فَأَصْدَقَ﴾ فأصدق، وقرئ: ﴿وَأَكُنْ﴾ عطف على محل ﴿فَأَصْدَقَ﴾،
 كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن. وقرئ: وأكون على اللفظ. وعن ابن عباس:
 (تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل)^(١).
 وعنه: (ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل
 أن يأتيه الموت، فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها)^(٢). وقيل: نزلت في مانعي الزكاة^(٣).
 وعن الحسن: (ما من أحدكم لم يزك ولم يحج ولم يصم إلا سأل ربه الرجعة)^(٤).

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ﴾ نفى للتأخير على وجه التأكيد [الذي معناه منافاة المنفي
 الحكمة]^(٥)، والمعنى: إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه [وأنه

(١) الكشف ج ٤: ٥٤٤.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٨: ٧٦.

(٣) عن الضحاك. تفسير الماوردي ج ٦: ١٩.

(٤) الكشف ج ٤: ٥٤٤.

(٥) ساقطة من ج، د، ط.

هاجم لاحالة^(١)، وأنّ الله عليم بأعمالكم، لم يبق إلا المسارعة إلى أداء الواجبات.
وقرئ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء، فالتاء على عود الضمير إلى قوله: ﴿نَفْسًا﴾
لأنّه في معنى الجمع.

سورة التغابن

يختلف فيها، وهي ثمان عشرة آية. وفي حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة التغابن) رفع عنه موت الفجأة))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة التغابن) في فريضة كانت شفيعة له يوم القيامة، وشاهد عدل عند من يميز شهادتها، ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمَكُمْ كَافِرٌ وَمُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بَذَاتِ الصُّدُورِ ۝ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٣٢٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٨.

لَنْ يَبْعُثَ أَقْلٌ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُمْ لِنَبِّئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾
 فَاتَّبِعُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾
 يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
 صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ
 الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ على الحقيقة دون غيره لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه، والمهيمن عليه.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ دون غيره لأن أصول النعم وفروعها منه دون غيره، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده.
 ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ آت بالكفر وفاعل له ﴿وَمِنْكُمْ﴾ آت بالإيمان وفاعل له والله ﴿بَصِيرٌ﴾ بكفركم وإيمانكم اللذين هما من جملة أفعالكم. والمعنى: هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الإيجاد من العدم، فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح فتكونوا مؤمنين موحدين، فما فعلتم ذلك مع تمكّنكم، بل تفرقتم أمّا ﴿فَإِنَّكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾، وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالغرض الصحيح والحكمة البالغة.

﴿وَصُورُكُمْ فَآخَسَ صُورُكُمْ﴾ بأن جعلكم أحسن الحيوان وأبهاء، بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على صورة جنس آخر من الحيوان.

ونبه سبحانه بعلمه ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ثم بعلمه ما يسره العباد وما يعلنونه، ثم بعلمه ذوات الصدور أنَّ شيئاً من الكليات والجزئيات لا يعزب عن علمه ولا يخفى عليه، فحقه أن يتقى ويحذر من معصيته.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب للكفار.

و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا، وما أعدّه لهم من عذاب الآخرة ﴿يَأْتُهُ﴾ بأنّ الشأن والحديث ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

﴿أَبَشِّرْهُدُونَا﴾ أنكروا أن يكون الرسل بشراً، ولم ينكروا أن يكون الإله حجراً. والبشر يقع على الواحد والجمع ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(١).

﴿وَأَسْتَعِىَ اللَّهُ﴾ أطلق اللفظ ليتناول كل شيء، ومن جملة: إيمانهم وطاعتهم، والمراد: وظهر استغناء الله حيث لم يضطرهم إلى الإيذان مع قدرته على ذلك.

الزعم: ادعاء العلم. وفي الحديث: ((زعموا مطية الكذب))^(٢).

﴿أَنْ لَّنْ يَبْعَثُوا﴾ [أنهم لن يبعثوا]^(٣) وسدّ مسدّ مفعولي ﴿زَعَمَ﴾.

﴿يَلَنَ﴾ إثبات لما بعد (لن) وهو البعث.

﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يصرفه عنه صارف.

﴿وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلْنَا﴾ هو القرآن.

وقرئ: نجمعكم، ونكفر عنه، وندخله بالياء والنون.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ ظرف لقوله: ﴿لَتَنْبُوْنَ﴾ أو لـ ﴿خَيْرٌ﴾ لما فيه من معنى

(١) يس: ١٥.

(٢) سنن أبي داود ج ٤: ٢٩٥ ح ٤٩٧٢، وفيه: بش مطية الرجل زعموا.

(٣) ساقطة من د.

الوعيد، كأنه قال: والله معاقبكم يوم يجمعكم.

﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون.

﴿التَّغَابُنِ﴾ مستعار من تغابن القوم في التجارة، وهو أن يغبن بعضهم بعضاً.

وعن النبي ﷺ: ((ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة))^(١).

وهو معنى ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ فيظهر في ذلك اليوم [الغابن والمغبون، فالتغابن فيه هو]^(٢) التغابن على الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وإن عظمت وجلت.

﴿صَالِحًا﴾ صفة للمصدر، أي: عملاً صالحاً.

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوَّلَادِكُمْ عُدُّوْا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ
تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا
أَمْرُكُمْ وَأَوَّلُكُمْ وَفَنَّهُ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْقُضُوا اللَّهَ مَا
أَسْطَقْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِمُوا
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(١) صحيح البخاري ج ٤: ١٣٩.

(٢) ساقطة من ب.

﴿يَا ذَنِّ اللَّهَ﴾ بتقديره ومشيتته، كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يُلطف به ويشرحه للزيادة من الطاعة والخير، وعن ابن عباس: (يهد قلبه للاسترجاع عند المصيبة)^(١). وعن مجاهد: (إن ابتلي صبر، وإن أعطي شكر، وإن ظلم غفر)^(٢). وعن الضحاك: (يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه)^(٣).

﴿لَا تَمْنُنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أزواجاً يعادينكم ويخاصمنكم، ومن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ أولاداً يعادونكم ويعقونكم.

﴿فَاذْرُوهُمْ﴾ الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعاً، أي: فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرورهم.

﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا﴾ عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة، وتجاوزوا عنهم، وتستروا عليهم ما فرط منهم.

﴿فَاتَّبَعَ اللَّهُ﴾ يغفر لكم ذنوبكم، ويكفر عنكم سيئاتكم.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء ومحنة وسبب لوقوعكم في الجرائم والعظائم، وقيل: إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد عنهما^(٤).

﴿فَالْتَوَى اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ جهدكم ووسعكم، أي: ابذلوا فيها جهدكم واستطاعتكم.

(١) التبيان ج ١٠: ٢٣ بالمعنى.

(٢) الكشف ج ٤: ٥٤٩.

(٣) الكشف ج ٤: ٥٤٩.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج ٥: ١٨٢.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما توعظون به.

﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما تؤمرون به وتنهون عنه.

﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الوجوه التي تجب عليكم النفقة فيها.

﴿خَيْرًا﴾ منصوب بمحذوف، والتقدير: اتتوا خيراً لأنفسكم، أي: افعلوا

ما هو خير لها وأنفع. وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان أنَّ هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد، وما أقبلتم عليه من زبارج الدنيا ولذاتها الفانية.

وذكر القرض تلتطف في الاستدعاء.

﴿يُضَاعَفْهُ لَكُمْ﴾ يكتب لكم بالواحد عشر أو سبعمائة إلى ما شاء من

الأضعاف المضاعفة.

﴿شُكْرًا﴾ مجاز، أي: يفعل بكم ما يفعله المبالغ في الشكر من الأجر الجزيل

والثواب العظيم.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم.

سورة الطلاق

مدينة، وهي إحدى عشرة آية بصري، واثننا عشرة غيرهم، لم يعد البصري: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الطلاق) مات على سنة رسول الله ﷺ))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة الطلاق) والتحريم) في فرائضه أعاده الله من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف أو يحزن، وعوفي من النار، وأدخله الله الجنة بتلاوته إياهما ومحافظة عليهما، لأنها للنبي ﷺ))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْحَةٍ مُنَيَّةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ
اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَاَمْسِكُوهُنَّ
يَمْعُورٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ يَمْعُورٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ

(١) الكشف والبيان ج ٩: ٣٣١.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٩.

وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
 مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
 بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَئِسْنَ مِنَ
 الْمَحِضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي
 لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَٰئِكَ الْأَتْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ
 اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَن
 يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ بالنداء، وعم بالخطاب كما يقال للرئيس المتقدم في القوم: يا فلان افعلوا كذا، إظهاراً لتقدمه واعتباراً بأنه وحده في حكم جميعهم، والمعنى: إذا أردتم تطليق النساء، كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(١)، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾^(٢) تنزيلاً للمقبل على الأمر منزلة الشارع فيه.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان عدتهن، والمراد: أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه، وهو الطلاق للعدة، لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها، والمعنى: لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن، وهو مذهب الشافعي^(٣) وأهل البيت^(٤). وقيل: إنَّ المعنى: فطلِّقوهن مستقبلات لعدتهن، كقولك: أتيت ليلة خلت من

(١) المائدة: ٦.

(٢) الإسراء: ٤٥.

(٣) كتاب الأم ج ٥: ١٦٢.

(٤) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ٩ من أبواب الطلاق.

الشهر، فتكون العدة الحيض، وهو مذهب أبي حنيفة^(١).

﴿وَأَحْصُوا أَلْعَدَّةَ﴾ واضبطوها بالعدد وعدوها ثلاثة أقراء، وإنها أمر بإحصاء العدة لأن للمرأة فيها حقاً، وهو النفقة والسكنى، وللزوج فيها حقاً وهو المراجعة ومنعها من الأزواج.

﴿وَلَا تَخْرُجُوهُنَّ﴾ حتى تنقضي عدتهن ﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة، وهي بيوت الأزواج، وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى.

﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾ بأنفسهن إن أردن ذلك.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ قرئ بفتح الباء وكسرها، أي: مظاهرة أو ظاهرة، وعن الحسن ومجاهد: (الفاحشة: الزنا)^(٢)، وعن ابن عباس: (هي البذاء على أهلها)^(٣)، وروي ذلك عن أئمة الهدى^(٤).

﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ وهو أن يغير رأي الزوج ويوقع في قلبه أن يراجعها. والمعنى: فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة لعلكم ترغبون فيهن بعد الرغبة عنهن فراجعوهن.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار فراجعوهن إن شئتم وأمسكوهن بالمعروف والإحسان.

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ إن شئتم بترك الرجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بأن تركوهن حتى

(١) المبسوط للسرخسي ج ٦: ٥.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٨: ٨٦.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٨: ٨٦.

(٤) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ٢٣ من أبواب الطلاق.

يخرجن من العدة فينبئ منكم.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ والظاهر يقتضي وجوب الإشهاد، على ما ذهب إليه أصحابنا في الطلاق^(١).

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: لوجه الله لا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق.

﴿ذَلِكَم﴾ الأمر بالحق والحث على إقامة الشهادة ﴿يُوعِظُ بِهِ﴾ المؤمنون.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فطلّق للسنة، واحتاط في إيقاعه على الوجه المأمور، وأشهد عليه ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كل هم وضيق ﴿وَنَزِقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فتكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق.

ويموز أن تكون جملة أتى بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ﴿ذَلِكَم﴾ يُوعِظُ بِهِ. ويكون المعنى: ومن يتق الله يجعل له مخلصاً من غموم الدنيا والآخرة. وعن النبي ﷺ: ((إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فما زال يقرأها ويعيدها))^(٢).

وقرى: ﴿بَلِّغْ أَمْرِهِ﴾ بالإضافة، وبألف أمره بالنصب، أي: يبلغ ما يريده، لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب.

﴿فَدَجَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: تقديراً وتوقيتاً، وفيه بيان لوجوب التوكل على الله، لأنه إذا علم أن كل شيء بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم لذلك والتفويض إليه.

(١) الانتصار: ٢٩٩، الخلاف ج ٤: ٤٥٤.

(٢) سنن ابن ماجه ج ٢: ١٤١١، ح ٤٢٢٠.

﴿وَالَّتِي يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ سَائِكُمْ﴾ فلا يحضن ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ فلا تدرون، لكبر ارتفع حيضهن أم لعارض.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ فهذه عدة المرتاب بها - وقدر ذلك بما دون خمسين سنة - وهو مذهب أهل البيت (عليه السلام).^(١)

﴿وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ أي: لم يبلغن المحيض من الصغائر، والمعنى: إن ارتبتم أيضاً في أن مثلها تحيض فعدتين ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة المذكور قبل عليه، وقدر ذلك بتسع سنين فما زاد.

﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وعن ابن عباس: (هي في المطلقات خاصة)^(٢)، وهو المروي عن أئمتنا (عليهم السلام).^(٣) فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فعدتين أبعد الأجلين^(٤)، فإن مضت بها أربعة أشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل.

﴿يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: ييسر عليه أمور الدنيا والآخرة بسبب التقوى.

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يريد: ما علم من حكم المعتدات، والمعنى: ﴿وَمَنْ يَنْقُ اللَّهَ﴾ في العمل بما ﴿أَنزَلَهُ﴾ من الأحكام في الطلاق والرجعة والعدة، وحافظ على الحقوق الواجبة عليه من الإسكان والنفقة وترك الضرار ﴿تُكْفِرُ﴾ الله عنه سَيِّئَاتِهِ، وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾ في الآخرة وهو الثواب.

(١) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ٤ من أبواب العدد.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٨: ٩٣.

(٣) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ٩ من أبواب العدد، تفسير الطبري ج ٢٨: ٩٣.

(٤) تهذيب الأحكام ج ٨: ١٥٠.

أَسْكَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِأُصْحَابِ عَلَيْهِمْ
وَأِنْ كُنْ أَتْلُو حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَصْنَعُوا حَمَلَهُمْ إِنْ أَرْضَعْنَ
لَكُمْ فَآتُوهُمْ أَجُورَهُمْ وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَ رُمْ فَسَدِّضْ
لَهُمُ الْآخِرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ
فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ
بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَانَ مِنْ قَرَابَةِ عَنَّتٍ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ
فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذِبْنَهَا عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا
وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى
الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِكُمْ
آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنْ
اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

بَيَّنَّ سبحانه كيف يعمل بالتقوى في أمر المعتذات فقال: ﴿أَسْكَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ
سَكَنْتُمْ﴾ أي: بعض مكان سكناكم كما قال: ﴿يَقْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾^(١) أي: بعض
أبصارهم، وعن قتادة: (إن لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه)^(٢).
﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ عطف بيان لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ وتفسير له، كأنه قال:
أسكنوهم مكاناً من مسكنكم مما تطيقونه، والوجد: الوجد: الوسع والطاقة. والسكنى

(١) النور: ٣٠.

(٢) الدر المنثور ج ٦: ٢٣٧.

والنفقة واجبتان للمطلقة الرجعية بلا خلاف، وعندنا: أَنَّ المبتوتة^(١) لا سكنى لها ولا نفقة^(٢)، وحديث فاطمة بنت قيس^(٣) أَنَّ زوجها بت طلاقها فقال لها رسول الله ﷺ: ((لا سكنى لك ولا نفقة))^(٤) يدل عليه.

﴿وَلَا تَضَارُّوهُنَّ﴾ ولا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير في السكنى والنفقة.

﴿لِيُضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ حتى تضطروهن إلى الخروج، وقيل: هو أن يراجعها إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها.

﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ﴾ أي: حوامل، ﴿فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ سواء كن رجعيات أو مبتوتات.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ يعني: هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدأنهن أو من غيرهن بعد انقطاع عصمة الزوجية ﴿فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ فأعطوهن أجره الرضاع. ﴿وَأَنْتُمْ رُؤُوسُ بَيْتِكُمْ مِمَّا مَعْرُوفٍ﴾ يقال: ائتمر القوم وتأَمروا إذا أمر بعضهم بعضاً. والمعنى: وليأمر بعضكم بعضاً، والخطاب للآباء والأمهات.

﴿مِمَّا مَعْرُوفٍ﴾ بجميل في إرضاع الولد وهو المسامحة، وأن لا يهاكس الأب، ولا تعاسر الأم، لأنه ولدتهما معاً وهما شريكان فيه.

﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَتَسْرُضِعْ لَهَا أُخْرَى﴾ له للآب، أي: سيجد الأب مرضعة غير

(١) البت: القطع، يقال: لا أفعله البتة لكل أمر لا رجعة فيه، ويقال: طلقها ثلاثاً بته. (الصحيح: مادة بت)

(٢) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ٨ من أبواب النفقات.

(٣) فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية، كانت من المهاجرات الأول، وكانت عند أبي عمرو بن حفص المخزومي فطلقها، فتزوجت بعده أسامة بن زيد. ينظر: الإصابة ج ٤: ٣٨٤.

(٤) صحيح مسلم ج ٤: ٢٠٠.

معاصرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه.

﴿لِيُنْفِقَ﴾ كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه، يريد: ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات، وهو مثل قوله: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ﴾^(١).

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ هذا موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم، أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا.
﴿وَكَايْنِ﴾ أي: وكم ﴿مِنْ﴾ أهل ﴿قَرَبَةٍ﴾ أعرضوا ﴿عَنْ أَمْرِ﴾ رَبِّهِمْ عتوا وعناداً، وجاوزوا الحد في المخالفة.

﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاء والمناقشة.

﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي: منكرًا عظيمًا. والمراد: حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال، ويلقون من الخسران، وجيء به على لفظ الماضي كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(٢)، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٣) ونحو ذلك، لأن ما هو كائن فكان قد كان.

وقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير للتوعيد، وبيان لكونه مترقباً، ويجوز أن يراد إحصاء السيئات عليهم في الدنيا وهو إثباتها في صحائف أعمالهم، وإعداد العذاب الشديد لهم في الآخرة، وأن يكون ﴿عَذَابٌ﴾ وما عطف عليه صفة للقرية، و﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾ جواب لـ ﴿كَأَيِّنْ﴾.

﴿رَسُولًا﴾ هو جبرئيل عليه السلام، أبدل من ﴿وَكُرَّا﴾ لأنه وصف بتلاوة آيات الله

(١) البقرة: ٢٣٦.

(٢) الأعراف: ٤٤.

(٣) الأعراف: ٥٠.

عزَّ اسمُه، فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر، فلذلك صحَّ إيداله منه، أو أريد بالذكر الشرف كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(١)، فأبدل منه، كأنه في نفسه شرف، إما لآله شرف للمنزَل عليه، وإما لآله ذو شرف ومجد عند الله، أو أريد ذا ذكر، أي: ملكاً مذكوراً في الأمم، أو دلَّ قوله: ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ذِكْرًا﴾ على أرسل، فكانه قال: أرسل رسولاً، أو أعمل ﴿ذِكْرًا﴾ في ﴿رَسُولًا﴾ أي: أنزل الله أن ذكر رسولاً أو ذكره رسولاً، ويجوز أن يكون المراد على هذا بقوله: ﴿رَسُولًا﴾ محمداً ﷺ.

﴿يُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعد إنزاله لأنهم كانوا وقت الإنزال غير مؤمنين، وإنما آمنوا وأصلحوا بعد الإنزال والتبليغ، أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون. وقرئ: ﴿يُدْخِلُهُ﴾ بالياء والنون.

﴿فَدَحَسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ فيه معنى التعجب والتعظيم لما يرزق المؤمن في الجنة من أنواع النعيم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿مِثْلَهُنَّ﴾ عطف على ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾، قالوا: ما في القرآن آية تدلُّ على أنَّ الأرضين سبع إلا هذه الآية.

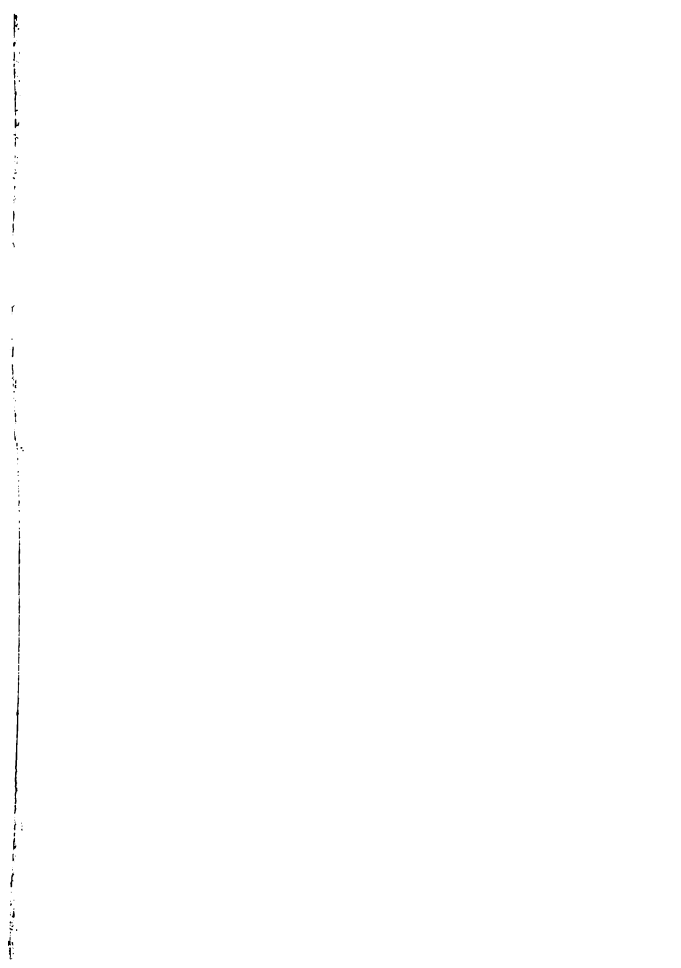
﴿يَنْزِلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: يجري أمر الله وحكمه بينهن، ويدبّر تدبيراته فيهن، ﴿لَتَعْلَمُوا﴾ بالتدبير في خلق السموات والأرض ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ الذي أنشأهما وأوجدتهما.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لكونه قادراً لذاته.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ لكونه عالماً لذاته.

فهرس المحتويات





فهرس المحتويات

٥	سورة ص
٣١	سورة الزمر
٥٩	سورة غافر
٨٤	سورة فصلت
١٠٤	سورة الشورى
١٢٤	سورة الزخرف
١٤٩	سورة الدخان
١٦٢	سورة الجاثية
١٧٤	سورة الأحقاف
١٩٠	سورة محمد
٢٠٨	سورة الفتح
٢٢٨	سورة الحجرات
٢٤٢	سورة ق
٢٥٧	سورة الذاريات

٤٢٠	جوامع الجامع/ ج ٥
٢٧٠	سورة الطور
٢٨٠	سورة النجم
٢٩٣	سورة القمر
٣٠٥	سورة الرحمن
٣١٨	سورة الواقعة
٣٣٣	سورة الحديد
٣٤٧	سورة المجادلة
٣٥٨	سورة الحشر
٣٧١	سورة الممتحنة
٣٨١	سورة الصف
٣٨٧	سورة الجمعة
٣٩٥	سورة المنافقون
٤٠٢	سورة التغابن
٤٠٨	سورة الطلاق
٤١٧	فهرس المحتويات